خطب الجمع والأعياد

أُلقيت على منبر خير العباد ﷺ

أعدها وألقاها

عبد الله بن محمد بن زاحم

الإمام والخطيب بالمسجد النبوي الشريف

ورئيس محاكم منطقة المدينة المنورة المساعد

المجلد الأول

الإيمان

خرج آياتها وأحاديثها

الشيخ عبد القادر حبيب الله السندي

نزيل المدينة المنورة

دار المنار

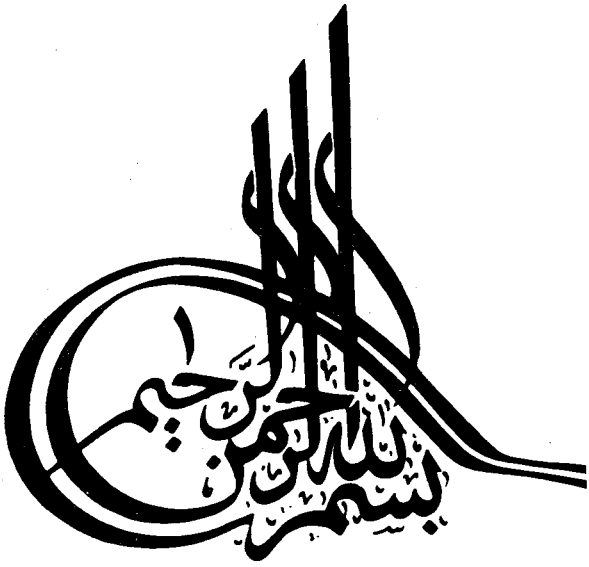

خطب الجمع والأعياد

حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى
١٤١٤هـ ١٩٩٣م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلمة تعريفية موجزة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فقد شرع الله تعالى على لسان نبيه محمد ﷺ - عن طريق الكتاب والسُنَّة - أحكاماً وعبادات وسلوكاً وسياسة وغيرها من الأمور السامية العظيمة ، ثم شرح ربنا جلَّ وعلا كيفية إبلاغ وإسماع هذا التشريع العظيم إلى كافة الناس ، وإلى هذا المعنى الواضح المبارك يشير الحديث النبوي الشريف الذي أخرجه مسلم في الصحيح : « كتاب الجمعة » ، وذلك من حديث عمار بن ياسر ، رضى الله عنهما ، بإسناده عن واصل بن حيان الأسدي الكوفي (المتوفى سنة ١٢٠ هـ) قال : قال أبو وائل شقيق بن سلمة الأسدي الكوفي رحمه الله تعالى : خطبنا عمار ، فأوجز وأبلغ ، فلما نزل ، قلنا : يا أبا اليقظان ، لقد أبلغتَ وأوجزتَ ، فلو كنت تنفستَ - أي أطلتَ قليلاً - فقال : إني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « إن طول صلاة الرجل ، وقصر خطبته مئنة - أي علامة - من فقهه ، فأطيلوا الصلاة وأقصروا الخطبة ، وإن من البيان سحراً » [١] .... الحديث ، فهذا هو الحديث النبوي الشريف الذي قد حمل المعاني الكثيرة في طياته ، ومنها هذا المعنى الواضح البيِّن الذي يلمع في هذه الخطب القيمة التي ألقاها سماحة الأخ الشيخ « عبد الله بن محمد بن زاحم » على منبر مسجد رسول الله ﷺ منذ

---

(١) أخرجه مسلم في الصحيح ، كتاب « الجمعة » ، حديث رقم (خاص ٤٧) ، و (عام ٨٦٩) : ٢/٥٩٤

عشرات السنين عند مقدمه الميمون إلى هذه البلدة الطاهرة المقدسة عام ١٣٩٠ من هجرة رسول الله ﷺ ، ولقد أجاد فيها وأفاد وأبلغ فيها وأوجز ، وقد شملت هذه الخطب العالية العظيمة ، الجوانب العديدة المهمة في حياة المسلم المادية والمعنوية بأسلوبه البلاغي الجذّاب مع إلقائه إياها على أكبر وأعظم منبر عرفه التاريخ الإسلامي الحافل ، ألا وهو منبر مسجد رسول الله ﷺ ، وقد وضعت هذه الخطب السامقة الرائعة ، نقاطاً على حروف الخلاف ، مع ما حملت في طياتها عدة عناصر قوية تتركز عليها حياة الفرد المؤمن والجماعة المؤمنة ، في كل زمان ومكان بذاك الشمول والوفاء بعبارات فصيحة جزلة بليغة دعا فيها إلى الحق والإنصاف والعدل والصواب وجمع كلمة المسلمين ، ووحدتهم في أنحاء المعمورة ، ويأمر بسد الخلل والحد من الفساد والانحراف بجميع أنواعه وأشكاله ، ويقوي عزائم المسلمين نحو السير الحثيث إلى التقدم ، والازدهار والأمن والاستقرار والمحبة والوئام والحرية الحقيقية المستمدة من كتاب الله تعالى وسُنّة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وإجماع الأمة المسلمة المرحومة في القرون المتقدمة ، نعم : إنها خطب تتصل اتصالاً مباشراً بالضمائر الحية والقلوب الواعية ، والأرواح المنورة فتزيدها قوةً وبهاءً ونبراساً أصيلة وقواعد ثابتة لا تتزعزع ولا تضطرب أمام التحديات ، وتدعو إلى الخير والنور والعلم بأساليب حكيمة ، كما سوف يشاهدها - إن شاء الله تعالى - مَنْ تعمق فيها أو قرأها أو نظر فيها ، وسوف ينفع الله تعالى بها الأمم والخلائق فى أنحاء الدنيا لما فيها من معاني الحق والإنصاف والعدل والخير والعزة والعزيمة والإخلاص والزهد والورع ، والخوف والرجاء في النفس بجزالة الأسلوب ، وفصاحة الكلمة والكلام مع الاستدلال القوى والاستنباط الأصيل من آيات القرآن الكريم إما نصاً أو إشارة أو اقتباساً ، وهكذا ثنى بالسُنّة المحمدية على صاحبها الصلاة والسلام في جميع المشاكل والحلول التي وضع لها حلولاً أو منهجاً محكماً لا يتزعزع ، ولا يضطرب أمام تحديات العصر .

ومن هنا جاز لي أن أقول - وأنا لست ممن يفصل أو يشرح أو يقوم بإبداء ما ينبغي أن يظهر جلياً - بما في هذه الخطب المنبرية على طول الزمن وكر الدهر ، من منهج مبارك وبرنامج سامق ، يتصل بالإنسان وبحياته الفردية والجَماعية في هذه الدنيا والآخرة وحياته البرزخية بعد الموت ، فإن سماحة الخطيب قد برع في بيانه فيها وإيضاحه وأظهر ودعا إلى الحقوق والواجبات والفرائض ، التي افترض اللّه تعالى على عباده على لسان رسوله محمد ﷺ ، وقد مكث سماحة الخطيب عشرات سنين على هذا المنبر المبارك ، وهو يؤدي واجبه الديني - ولا يزال - نحو إخوانه المسلمين في أنحاء العالَم الإسلامي وغيره من بني الإنسان بصفة عامة ، وكنت أسمع إلى هذه الخطب أثناء تواجدي بهذه البلدة الطيبة المباركة عندما كنت بجوار أم القرى (من عام ١٣٨٨ هـ إلى نهاية عام ١٣٩٩ هـ) ، وكنت أحرص أشد الحرص على سماعها والاستفادة منها لأمور عديدة :

١ - لكون هذه الخطب البارعة مركزة ومنظمة تعتمدة على نصوص الكتاب والسُنَّة وآثار الصحابة رضى اللّه عنهم والتابعين رحمهم اللّه ، فيطمئن السامع والقارئ إلى صدق القول وصحة الأحكام .

٢ - إن هذه الخطب مع قصرها وجزالة لفظها ، وفصاحة معانيها منقولة مرتبطة برباط وثيق بمعاني كتاب اللّه تعالى وسُنَّة رسوله الكريم ﷺ ، إما نصاً وروحاً ، وإما إشارة واستنباطاً أو اقتباساً ، كما سوف يظهر ذلك جلياً واضحاً من تخريج نصوصها في الهامش ، وهذه ميزة ممتازة جيدة فيما أرى .

٣ - إن طريقة الأداء والإيصال إلى أسماع الناس بتلك الكيفية التي سمعها العالَم الإسلامي هنا وهناك عن طريق الإذاعة أو شاهدها مَنْ شاهدها هنا وهناك عن طريق البث المباشر التلفازي كان أروع صورة حية أثرت في النفوس وحركت الضمائر والقلوب ، إلى الحق والصواب والعدل والإنصاف في جميع حركات الإنسان مادياً ومعنوياً .

٤ - الشيء المهم العظيم الذي لاحظت أنا - وأنا لست ممن يلاحظ - أن النصوص التي أوردها سماحة الخطيب في خطبه استدلالاً بها أو استشهاداً لم تكن نصوصاً ضعيفة البتة ، وإنما كانت نصوصاً صحيحة كما يظهر لك واضحاً جلياً من التخريج ، وإذا كان هناك ضعف في بعض الأسانيد فقد أشار إليه سماحة الخطيب مع إيراد نص آخر صحيح بمعناه ، ومن هنا نرى أن كثيراً من الخطباء في العالَم الإسلامي ، لا يهتمون بهذا الموضوع البتة إلا نادراً ، والنادر لا حكم له إلا ما شاء الله تعالى .

٥ - ولقد اهتم سماحة الخطيب فيها اهتماماً بالغاً بأمر العقيدة الإسلامية الصحيحة ، فوضّحها وبيّنها بياناً شافياً كافياً بذاك الأسلوب الفصيح الذي لم يكن مملاً ولا مخلاً ، وإنما كان جذاباً بارعاً بالحكمة المثالية والموعظة الحسنة والمجادلة الطيبة مع سلامة الألفاظ من الشدة والغلظة ، وكأنه - حفظه الله ورعاه - وضع نصب عينيه إلى ما قاله جَلَّ وعلا مخاطباً نبيه محمداً ﷺ وذلك في سورة آل عمران : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ (١)

هَذا هو المنهج المبارك الذي أمر الله تعالَى نبيه ﷺ بالسير عليه في السراء والضراء ، ومن هنا كان سماحة الخطيب مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بهذا المعنى الواضح المبارك ، وهذا هو سر نجاح الخطيب والداعى والموجه والمربي في جميع تصرفاته ، وقد لاحظتُ هذا المعنى وهو عنصر أساسي أثناء عملي في تخريج نصوص هذه الخطب رغبة مني في الخير لأستفيد أولاً ثم الآخرون ممن كتب الله تعالى لهم الهداية والرشاد والسداد والتوفيق من هذه الآثار الحقة . وقرأ في هذه الخطب .

٦ - ولقد جاءت هذه الخطب المنبرية في أوقات مناسبة بمقتضى الحال والطلب ، لها صلة قوية بالمشاكل الاجتماعية والأخلاق والضمائر ، فلا بد من دراستها

---

(١) آل عمران : ١٥٩

دراسة جدية وأسباب وجودها ، ثم يتكلم الخطيب في هذه الأسباب ثم في المسببات ، ومن هنا كانت هذه الخطب موضع إعجاب وتقدير لدى كل مَن له صلة بالعلم والعلماء والحكمة والحكماء ، وإن هناك ميزات كثيرة أخرى سوف يجدها القاريء أثناء دراسته ونظرته في هذه الخطب ولو في أوقات فراغه ، لكي يتسنى له المتعة الروحية بعد أن يستيقظ من نومه المبكر ، ويستشعر بالمعاني السامية المثالية التي وردت في هذه التوجيهات القيمة ، ولقد شرفني الرجل بهذا الشرف وطلب إليّ لرغبة أكيدة سابقة في نفسي نحو تحقق هذا الحلم ، مع أن كل كلمة صافية نقية تصدر اليوم للدفاع عن الحق ورفع الظلم وبث الخير والنور ورد الظلم والعدوان ودفع الفساد والبغي ، لفيها خير عظيم ونفع عميم لجميع الكائنات على وجه الأرض فضلاً عن الإنسانية ، فكيف وقد صدرت هذه الكلمات المباركات التي حملت الخير والرشاد من فيّ رجل حافظة لكتاب اللّه تعالى وعامل به إن شاء اللّه وهو واقف على أعظم وأكبر منبر عرفه التاريخ الإسلامي الحافل ، يدعو إلى الخير والعلم والتواضع والمحبة والنور والهداية . تقبّل اللّه تعالى منه هذا الجهد الجيد المبارك وجعله خالصاً لوجهه الكريم ويتقبل منه مع رفع درجاته في الأولى والآخرة ، إنه سميع مجيب ، وبالإجابة جدير .

وصلى اللّه وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وعملي المتواضع في تحقيق هذه المادة العلمية المنقولة كما يلي :

١ - قراءة مادة الخطبة الواحدة بالإمعان والتمحيص .

٢ - وضع الفواصل بين الكلمات والجمل حسب المنهج المعروف في الكتابة الحديثة .

٣ - تخريج الآيات القرآنية التي أوردها سماحة الخطيب بوضع العزو في هامش الخطبة بالوضوح ثم ذكر اسم السورة ورقم الآية .

٤ - تخريج الأحاديث النبوية المرفوعة بالاختصار ، فإذا كانت هذه الأحاديث مخرّجة لدى الشيخين « البخاري » و « مسلم » أو في أحدهما عزوتها في

الهامش مع ذكر رقم الحديث والباب وعنوانه .. وإذا كانت في غير هذين المصدرين مثل السنن الأربعة أو مسند الإمام أحمد ، أو المعاجم الثلاث للإمام أبي القاسم الطبراني أو الحاكم في المستدرك أو البيهقي في السنن الكبرى أو ابن حبان أو غيرهم ، عزوتُ الحديث إليهم مع ذكر اسم الصحابي ودرجة الإسناد وذلك نقلاً عن أئمة الحديث ونقاده ، وإذا وجد - لا سمح الله - حديث ضعيف الإسناد فأورد له شاهداً صحيحاً أو حسناً حسب القدرة والإمكان .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

العبد الفقير إلى مولاه

عبد القادر بن حبيب الله

أحد علماء المدينة المنورة

* * *

موجز عن حياة سماحة الشيخ عبد اللّه بن محمد بن زاحم « أمدَّ اللّه في عمره المديد »

● **اسمه ، ونسبه :**

هو الشيخ عبد اللّه ، بن محمد ، بن عبد الوهاب ، بن عثمان ، بن محمد بن عبد الوهاب ، بن زاحم ، من آل فضل ، من المرازيق من قبيلة البقوم ، من الأرد من قحطان .

● **أما مولده ونشأته :**

فإنه ولد - حفظه اللّه - في قرية القصب من قرى اليمامة بنجد في الوشم ، فى عام ١٣٥٠ هـ ، ونشأ فيها عند والديه ، على التقوى ، والصلاح ، وكان والده الشيخ « محمد بن عبد الوهاب » - رحمه اللّه - حافظاً للقرآن الكريم ، وإماماً لمسجد في القصب .

فدرس على والده ، في دروس بعد العصر ، وبعد المغرب ، يقرأ القرآن الكريم ، وقد بدأ بالحفظ ، من قصار المفصل ، إلى آخر سورة طه ، وكما أنه قرأ ودرس ، على المقريء في القصب « الشيخ عبد العزيز بن محمد المحارب » ، وعلى المقريء « الشيخ عبد العزيز بن عليّ بن عوجان » .

ولما توفي والده الشيخ « محمد بن عبد الوهاب » في عام ١٣٦٢ هـ في القصب ، وقد بلغ سن الشيخ « عبد اللّه بن محمد » ، اثني عشر عاماً ، انتقل إلى عمه الشيخ « عبد اللّه بن عبد الوهاب بن عثمان بن محمد بن زاحم » في الرياض ، وكان عمه رئيساً للمحكمة الكبرى الشرعية هناك ، وفى عام ١٣٦٣ هـ انتقل عمه الشيخ « عبد اللّه بن عبد الوهاب » رحمه اللّه تعالى إلى المدينة المنورة ، عن طريق مكة المكرمة ، فانتقل معه ، وقد أدوا فريضة الحج في العام

نفسه ، ويقول الشيخ عبد الله - صاحب هذه الترجمة - : وتلك أول مرة في حياته يرى فيها مكة المكرّمة ، والكعبة المشرّفة ، والبقاع المطهّرة ، قلت : لا شك أنها لحظة مباركة ، يتمناها كل مسلم ، وموقف عجيب ، وهو محبب للنفس ، ووقت نفيس لا يمكن نسيانه ، بل هو ثابت في الذاكرة .

وبعد أداء فريضة الحج ، توجه مع عمه والأسرة إلى المدينة المنورة ، فوصلوا في ١٣٦٤/١/١ هـ ، ثم التحق بالمدرسة الناصرية الابتدائية ، بالسنة الرابعة ، وقد بلغ سنه - آنذاك - ثلاث عشرة سنة ، وكان يدرس فيها علم الفرائض بالسنة الرابعة ، وهذا دليل قوي على مستواه التعليمي الجيد ، وهكذا أنهى دراسته الابتدائية بالمدينة المنورة ، ثم التحق بوظيفة في المحكمة الكبرى بالمدينة المنورة لظروف الحياة التي قد تتعرض للإنسان ، فعين مساعداً لكاتب ضبط ، وفى هذه الأثناء كان يأخذ العلم مساءً على كل من مشايخ المدينة المنورة :

١ - عمه الشيخ « عبد الله بن زاحم » رحمه الله .

٢ - الشيخ « محمد الخيال » رحمه الله .

٣ - الشيخ « عبد العزيز بن صالح » ، بارك الله في حياته .

وكان يأخذ على هؤلاء الأجلاء العقائد والفرائض ، واللغة العربية ، والفقه .

٤ - وكان يأخذ الحديث وعلومه على « الشيخ عبد الرحمن بن يوسف الأفريقي » ، رحمه الله [١] . ولما فتح المعهد العلمي في عام ١٣٧١ هـ في الرياض ، ترك الوظيفة ، فالتحق به للدراسة ، وكان يحضر دروس سماحة الشيخ « محمد بن إبراهيم » ، والشيخ « عبد اللطيف بن إبراهيم » في المسجد [٢] ، والشيخ « عبد اللطيف سرحان » والشيخ « حمد الجاسر » والشيخ « عبد الرحمن ابن عودان » والشيخ « عبد العزيز بن رشيد » - جزاهم الله خيراً [٣] ، وكان

---

(١) وأخذ في التفسير وعلومه عن العلامه الشيخ محمد الأمين الشنقيطي .

(٢) وممن أخذ عنهم في المعهد والكلية سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز بار الله فى حياته . والشيخ عبد الرزاق العفيفي .

(٣) وغفرنيتهم .

يعود إلى المدينة المنورة خلال العطلات الصيفية لملازمة علمائها المذكورين للأخذ عنهم ، وكان من أساتذته [١] .

٥ - في هذه الأثناء كان يقرأ على الشيخ « محمد بن الأمين الشنقيطي » رحمه الله للأخذ عنه في التفسير .

وبعد تخرجه من المعهد العلمي بالرياض التحق بكلية الشريعة بالرياض ، وفى عام ١٣٧٨ هـ تخرج من الكلية وأتم دراسته الجامعية .

وفى ١٣٧٩/٤/١١ هـ عين مساعداً لرئيس محكمة حائل ، وبعد إحالة رئيس المحكمة للتقاعد عين « الشيخ عبد الله » رئيساً لها بتاريخ ١٣٨٠/٤/٤ هـ .

ثم عين رئيس محكمة (ب) في ١٣٨٥/٧/١ هـ ، ثم رئيس محكمة (أ) في ١٣٨٦/٧/١ هـ .

وفي عام ١٣٩٠ هـ عاد إلى المدينة المنورة وكلف بعمل مساعداً لرئيس المحكمة بالمدينة المنورة .

وفي آخر عام ١٣٩١ هـ عين إماماً وخطيباً للمسجد النبوي الشريف .

وفي ١٣٩٧/١٢/١٢ هـ عين على وظيفة قاضي تمييز ، ولا يزال على هذه الوظيفة ويعمل مساعداً لرئيس محاكم منطقة المدينة المنورة وإماماً وخطيباً للمسجد النبوي ، ولم يرغب الخروج من المدينة المنورة طوال هذه المدة ، وأحب البقاء في المدينة النبوية الشريفة والموت فيها .

أمد الله تعالى في عمره بالعمل الصالح وأجزل له مثوبته [٢] .

عبد القادر حبيب الله

أحد علماء المدينة المنورة

* * *

(١) في التجويد الشيخ قاري عبد الرؤوف . والشيخ خليل عبد الرحمن .

(٢) أكثر هذه المعلومات التقيت من بعض الإخوة القريبين من الشيخ عبد الله .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة المؤلف

الحمد لله رب العالمين ، أوجب الموعظة في كل أسبوع على المؤمنين ، وأوجب السعى إليها عند النداء ، وترك البيع والشراء .. والصلاة والسلام على رسول الله القدوة الحسنة .

وبعد ..

فإن خطبة الجمعة واجبه بنص الكتاب والسُنَّة قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٩ ﴾ (١)

وعن جابر بن سمرة رضى الله عنه قال : « كانت للنبى ﷺ خطبتان يجلس بينهما ، يقرأ القرآن ويُذكِّر الناس ، فكانت صلاته قصداً وخطبته قصداً » (رواه مسلم) (٢) .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال : « كان النبى ﷺ يخطب خطبتين . كان يجلس إذا صعد المنبر حتى يفرغ آذان المؤذن ثم يقوم فيخطب ثم يجلس ولا يتكلم ثم يقوم فيخطب » (رواه أبو داود) (٣) .

وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال : « كان النبى ﷺ يخطب قائماً ثم يجلس ثم يقوم ويخطب قائماً » (رواه مسلم) (٤) .

---

(١) الجمعة : ٩

(٢) المشكاة : ٤٤١/١

(٣) المشكاة : ٤٤٣/١

(٤) المشكاة : ٤٤٤/١

فخطبة يوم الجمعة من هَدْي النبي ﷺ ، ولما كان المقصود من الخطبة هي الموعظة والتذكير بحق اللّه تعالى على خلقه وحق المخلوقين بعضهم على بعض والتذكير بتقوى اللّه وبكتاب اللّه العزيز وبفعل الخير . حرصْتُ على أن تكون الخطب مشتملة على مقاصدها الشرعية . مستمدة من كتاب اللّه وسُنّة رسوله ﷺ مقتدياً بأهل الفضل والتقوى والهدى ، مستمداً من كتب التفسير والحديث وشروحها وكتب الفقه .

وتلبيه لطلبات بعض الإخوة الأعزاء بطلب طبع الخطب التى ألّفتها وألقيتها على منبر رسول اللّه ﷺ . رأيتُ طبع الخطب رجاء أن ينفع اللّه بها كل مَن يقرأها ، ورجاء أن يكون علماً يُنتفع به . وهى جهد المقل ، ورتبتها على أبواب الفقه ، كل مجموعة تتعلق بموضوع أو متقاربة تحت عنوان واحد تسهيلاً للقاريء وتقريباً للراغب في أي موضوع ، ابتداءً بالخطب التي تتعلق بالإيمان - وعددها ستون خطبة - في المجلد الأول ، ثم التفسير والفضائل - وعددها ستون خطبة - في المجلد الثاني ، ثم الطهارة والصلاة والزكاة والصوم - وعددها سبعون خطبة - في المجلد الثالث ، ثم الحج والبيوع والأطعمة - وعددها خمسة وستون خطبة - في المجلد الرابع ، ثم الجهاد والنكاح والجنايات - وعددها ستون خطبة - في المجلد الخامس .

وأسأل اللّه أن يجعله عملاً خالصاً للّه يعود عليّ ثوابه يوم الحاجة إليه ، لقوله صلى اللّه عليه وسلم : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم يُنتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » (١) .

ورجائى ممن يطلع عليها أن يدعو لى بالرحمة والمغفرة ، سواء أكنتُ حياً أو ميتاً .. وصلى اللّه على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وسلم .

المؤلف

عبد اللّه بن محمد بن زاحم

* * *

(١) الترمذي ص ١٣٩٦

الباب الأول

الإيمان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ - بعثة الرسول ﷺ من أكبر النِعَم (١)

(الخطبة الأولى)

الحمد لله على نعمه ، فلا نحصى لها عداً .

وأشهد أنْ لا إله إلاَّ الله ، وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

أرسله بالهدى ، ودين الحق ، بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً .

اللَّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ، ومَن آمن برسالته ، وعمل بسُنَّته ، إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فإن أعظم نعمة على أمة محمد ﷺ هى نعمة الإسلام .

أرسل الله إلينا رسولاً من أنفسنا نعرف نسبه خياراً من خيار من خيار .

﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾(٢) فأخرجهم الله به من الظلمات إلى النور ، ومن الغفلة إلى

---

(١) ألقيت في ١٤٠٢/٥/١ هـ .

(٢) آل عمران : ١٦٤

اليقظة ، ومن الجهالة إلى المعرفة ، ومن الفُرْقة إلى الوحدة ، ومن العداوة إلى الألفة ، ومن الذلة إلى العزة . ومن الشحناء إلى الأخوة ، ومن اللهو واللعب إلى الجد والعمل ، ومن العبودية إلى الحرية . ومن الهلاك إلى النجاة ، ومن شفا حفرة من النار إلى رياض الجنة .

اختار الله لهم ديناً قيماً ، وملة سمحة ، وشريعة كاملة شاملة ، وافيةً ضافيةً ، في اعتقادها وتصوراتها ، وفي عباداتها وشعائرها ، وفي معاملاتها واقتصادها ، وفي سلوكها وأخلاقها ، وفي صلاتها وسياستها .

فأيس أعداء الإسلام أن ينالوا منه ، أو أن يحرفوه أو ينقصوه .

﴿ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ ﴾ (١)

﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾ (٢)

لقد شهد الله تعالى لهذا الدين بالتمام والكمال ، وجعله خاتم الرسالات ، وكلّفَ به جميعَ الثقلين - الجنَ ، والإنس - فى جميع الأوقات ، وفي كل الأجيال والشعوب

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ (٣)

---

(١) المائدة : ٣

(٢) الأنعام : ١١٥ - ١١٦

(٣) آل عمران : ٨٥

لقد تكفل الله بحفظ هذا الدين . وحمايته ، من أهواء الضالين ، وتحريف المحرِّفين ، وغلو الغالين ، فلم يستطع أحد من أعدائه أن ينال منه .

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ (١)

ولقد صمدَ أمام أعدائه وخصومه ألفاً وأربعمائة سنة غضاً طرياً كيوم أنزل . ولن يزال كذلك إلى أن يرث الله الأرض ومَن عليها ،. إن شاء الله تعالى .

ولقد تكفل الله لمن اتبع هذا الدين - قولاً وعملاً واعتقاداً - أن يمكن له ، وأن يعزه وأن ينصره وأن يرد عنه كيد أعدائه .

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾

إن هذا الدين له أعداء وخصوم ، من أول ما أنزل وفي وقت الوحى والنبوة والقرون المفضلة ، وفي كل زمان ومكان .

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾

فهم يحاولون أن يصدوا المسلمين عن دينهم ، وأن يشككوهم في عقيدتهم ، ونظام ربهم ، والتحريشَ بينهم ، وتفريقَ جمعهم ، وتشتيتُ شملهم ، وإضعاف قوتهم ، وعزيمتهم .

---

(١) الحجر : ٩

(٢) النور : ٥٥

(٣) الأنعام : ١١٢

﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ﴾ (١)

وكل مَن تمسك بهذا الدين نصب لهم خصومه العداء ، وكل صاحب نعمة محسود ، فأنتم أيها المؤمنون في هذه البلاد المحروسة . محسودون على ما أنتم فيه ، نعمَ متكاثرة مترادفة ، إيمان باللّه ، وعمل بسُنّة رسول اللّه ﷺ ، وأمن واستقرار ، ورخاء ، وعافية ، يترك أحدُكم بابه مفتوحاً في الليل والنهار ، لا يخشى إلا اللّه ، ويسافر الرجل بما شاء من الأموال ، ويبيت في الصحراء لا يخاف إلا اللّه .

وأنتم تعلمون ما كانت عليه الحال من قبل ، من الخوف والجوع . والسلب والنهب ، وسفك الدماء . والفوضى .

فأبدل اللّه ذلك الخوف أمناً .. وذلك الجوع شبعاً ورياً .. وتلك الفوضى عدلاً ونظاماً ، كل ذلك بفضل اللّه سبحانه ثم بفضل هذه الحكومة التي جعلت دستورها القرآن .. ومنهجها الإسلام ، حكمت بما أنزل اللّه ، واتبعت شريعة اللّه . شعارها كلمة الإخلاص والتوحيد : « لا إله إلاّ اللّه ، محمد رسول اللّه » . وخُلقها العدل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . تخشى اللّه وتخافه ، فانتشر الأمن وفتح اللّه عليها كنوز الأرض ، فعمت الخيرات . وصارت لبلادنا وأمتنا مكانةٌ عالية في العالَم . وصفة مرموقة في الدنيا . تجبى إلينا ثمرات كل شيء . من جميع المعمورة .

وهذه من نِعَم اللّه علينا يجب شكرها ، والاعتراف بها والمحافظة عليها .. يجب أن نتقى اللّه فيها .. فاتقوا اللّه أيها المؤمنون ، يجب أن نعرف الأمور ونعطيها حقها ، ونعترف بالفضل لأهله .

---

(١) البقرة : ١٢٠

كما أنه من عذاب الله على الأمة أن يُولى عليها شرارُها وسفهاؤها . يحكمون فيهم بغير ما أنزل الله ، ويمنعونهم من إقامة شعائر الله .. ينهبون أموالهم . ولا يعدلون بينهم .

وأعظم من ذلك الذين يطعنون في دين الله ، ويردون سُنَّة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وينالون من أئمة الهدى والتقوى .

فكونوا على حذر يا أمة الإسلام من أعدائكم وأعداء دينكم .

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ ﴾ (١)

اللّهم بارك لنا في القرآن العظيم .

اللّهم احفظ لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، ودنيانا التي فيها معاشنا .. وآخرتنا التي إليها معادنا .. وارزقنا شكر نعمك وأتمها علينا ، واكفنا شرور أعدائنا ، وجنبنا كل سوء وبلاء .. واغفر لنا ولجميع المسلمين .. إنك أنت الغفور الرحيم .....

* *

(١) إبراهيم : ٤٢

١ - ما يراد بالأمة [١]

(الخطبة الثانية)

الحمد لله حمداً كثيراً كما أمر ، وأشكره ، وقد وعد بالزياة لمن شكر .

وأشهد أنْ لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له إرغاماً لمن جحد به وكفر .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله سيد البَشر الشافع المشفع في المحشر ، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه السادة الغرر ، ما اتصلت عين بنظر ، وأذن بخبر .

أما بعد ..

فأوصيكم وإياي بتقوى الله تعالى . ثم اعلموا أن أعداءكم وأعداء دينكم يبذلون كل جَهدهم ، وطاقاتهم ، لصدكم عن دينكم ، وصرفكم عن صراط ربكم، والعدو السافر معلوم يُخشى ويُتقى ، ولكن الخوف من المنافق الذي يدَّعي الإسلام . وهو عدو الإسلام ، يستهزيء به ويُحاول أن ينال منه فيرد سُنَّة رسولنا صلى الله عليه وسلم . وصدق الله العظيم : ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ ۖ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ﴾ [٢]

يجب على الأمة الإسلامية في كل مكان . أن تعرف ما أحيط بها ، وأن تعرف ما يُراد بها ، وأن تتمسك بدينها وعقيدتها ، وقرآنها ، فإنه لا عزّ لها ولا نصر ولا كرامة ، إلا بهذا الدين .

وصلوا على البشير النذير ، صلى الله عليه وسلم .....

* * *

---

(١) ألقيت في ١/٥/١٤١٠ هـ .

(٢) الأعراف : ١٧٥ - ١٧٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢ - رسالة محمد ﷺ رحمة للعالَمين (١)

(الخطبة الأولى)

الحمد لله رب العالَمين . ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ ﴾(٢)

وأشهد أنْ لا إلَه إلاَّ اللّه وحده لا شريك له ، هو الرحمن الرحيم .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، أرسله شاهداً ومبشراً ونذيراً ، ومنةً على المؤمنين ، ورحمة للعالَمين .

اللّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فإنَّ في كتاب اللّه العزيز آيةً محكمةً موجزةً معجزةً ، كثيراً ما تقرع الأسماع ، وتمر على الشفاه ، وكثيراً ما ترِد في سياق الاستدلال ، إنها تقرر القاعدة الأساسية لرسالة نبينا محمد ﷺ ومهمتها في العالَمين .

قال تبارك وتعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾(٣) ، قال الحافظ ابن كثير : يخبر تعالى أن اللّه جعل محمداً ﷺ رحمة للعالَمين . أى أرسله رحمة لهم ، فمَن قبل هذه الرحمة وشكر هذه النعمة سعد في الدنيا والآخرة ، ومَن ردها وجحدها خسر الدنيا والآخرة .

---

(١) ألقيت في ١٤١٠/٨/١٢ هـ .

(٢) الفتح : ٢٨

(٣) الأنبياء : ١٠٧

وقال مسلم في صحيحه وساق السند عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قيل : يا رسول الله ، ادع على المشركين قال : « إني لم أبعث لعّاناً وإنما بعثتُ رحمة » (١) .

وفى حديث آخر : « إنما أنا رحمة مهداة » (٢) .

فمَن نظر بعقل وبصيرة وتأمل شريعة محمد ﷺ وآثارها . وحال مَن لم يؤمن بها عَلِم حاجة العالَم إلى رسالته عليه الصلاة والسلام ، أكثر من حاجتهم إلى الطعام والشراب ، فإنَّ مَن فقد الغذاء مات في الدنيا ، ويكون في الآخرة بحسب إيمانه وعمله ، وأما مَن حُرِم الإيمان بشريعة محمد ﷺ فله العذاب .

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾(٣) من آمن به ومَن لم يؤمن به ، فمَن آمن كتبت له الرحمة في الدنيا والآخرة . ومَن لم يؤمن به شملته الرحمة في الدنيا . بالمعافاة مما أصاب الأمم السابقة من الخسف والقذف والمسخ والهلاك الجَماعي . ويتمتع في ظل الإسلام الوارف بالأمن والعدل والاستقرار ، وبما دل عليه لإصلاح الأبدان والمعاش . وبما أرشد إليه للبحث والإنتاج والتصنيع .

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾(٣) بُعث صلى الله عليه وسلم على فترة من الرسل في زمن طغت فيه الجاهلية وغلبت العادات ، وتحكمت الأهواء ، تحريفٌ وتبديل ، وكفر وإلحاد ، وشرك واستبداد ،. نزعاتٌ عنصرية ، وتجمعات قوميّة ، القوى يأكل الضعيف ، الأمْن مفقود . ليس إلا السلب والنهب والقتل ، والمنكراتُ ظاهرة ، والفواحش مشتهرة .

---

(١) مسلم في الصحيح ، كتاب « البر والصلة » برقم (خاص ٢٨٧) ، و (عام ٢٥٩٩) : ٢٠٠٦/٤

(٢) أورده الإمام ابن كثير في تفسيره : ٦٠٤/٤ وهو مرسل أخرجه أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف برقم (١١٨٣١) : ٥٠٤/١١ ، وهكذا قال البخاري إنه مرسل ولم يكن مرفوعاً ، والمرفوع لم يصح ، ولم يخرج هذا الحديث أصحاب الكتب الستة ولا الإمام أحمد في المسند ، وقد أطال الإمام ابن كثير كلامه حول هذا المتن والإسناد وإنَّ معناه لصحيح بلا شك ولا شبهة ، والله أعلم .

فكان الناس في جاهلية وضلال . وأهلُ الكتابين في حيرة من دينهم لحصول التحريف في كتبهم والتبْديل في منهجهم ، فلم يكن لطالب الحق سبيل إلى الفوز والثواب ، فأرسل اللّه نبيه محمداً ﷺ بالكتاب والسُنّة ، فصدع صلى اللّه عليه وسلم بما أُمِر ، ورغّب وحذّر وبشّر وأنذر ، وشرع الأحكام ، وبيّن الحلال والحرام : فأحلّ الطيبات وحرّم الخبائث ، ووضع عنهم الآصار والأغلال . وبيّن سَبيل الثواب ورغّب فيه ، وحذّر من سُبُل الضلال ، وحفظ الحقوق وصان الكرامات ، وعرّف كلاً من الذكر والأنثى بالحق الذى له والحق الذى عليه ، وأخذ بأيدي الناس إلى الهدى ، ومسك بُحُجُزِهم عن النار . ورسم نظام الفرد والجماعة والدولة ، وربط بين السياسة والدين ، ووضع قواعد ثابتة لا تتغير ولا تتبدل ، قادرةً على معالجة القضايا في كل العصور والأجيال ، شاملةً لكل متطلبات البَشر ، متّسعةً للحالات المتجددة في مستقبل العصور ، وقَسّم المسئوليات وفرض الحدود وبيّن التعزيرات ، لإصلاح الأمة ولقمع مَن في نفسه شره .

فأرسَى الأمن وقواعده . ووضع العدل وميزانه ، وصار الإنسان يسير من إقليم إلى إقليم ، لا يخشى إلا اللّه . فسُعد العالَم برسالة خاتم الأنبياء صلى اللّه عليه وسلم . وكان للحيوان والطيور حظ وافر في تلك الرحمة ، فقد أمر صلى اللّه عليه وسلم بالإحسان إلى الحيوان ونهى عن تكليفه ما لا يطيق ، ونهى عن تعذيبه وعن قتله عبثاً وعن اتخاذه غرضاً [١] وعن جعلها منابر [٢] . وأمر صاحب الجمل بإطعامه كفايته [٣] ، وقال في الحُمَّرَةِ : « مَن فجع هذه في ولدها ؟

---

(١) إشارة إلى حديث من حديث ابن عمر رضي اللّه عنهما ، مسلم في الصحيح ، برقم (خاص ٥٩) ، و (عام ١٩٥٨) ، و (٥٨) من حديث عبد اللّه بن جعفر رضى اللّه عنهما .

(٢) أبو داود : برقم (٢٥٦٧) : ٣٧/٣ من حديث أبي هريرة رضى اللّه عنه ، وإسناده فيه ضعف .

(٣) أحمد في المسند : ٢٠٤/١ ، ٢٠٥ ، وأبو داود : برقم (٢٥٤٩) من حديث عبد اللّه بن جعفر رضى اللّه عنهما .

ردوه عليها » [١] ، وأخبر بأن امرأة دخلت النار في هِرة [٢] تحذيراً ، وأن بغياً دخلت الجنة في كلب ترغيباً في الإحسان إلى الحيوان [٣] ، وقال : « في كل ذي كبد رطبة أجر »[٤] فلما رغب المسلمون عن منهج اللّه إلى وضع البَشر أبعد الإسلام عن القيادة وصار المسلمون أتباعاً في مؤخرة مسيرة الحياة . فكانت النكسة الكبرى والجاهلية العمياء فصارت القيادة لإبليس وحزبه ، ظلم واستبداد وقهر وتشريد ، وأقوام يحرقون فائض الطعام وأقوام يموتون جوعاً ، وأقوام يخرجون من مساكنهم وأرْض معاشهم وتعطى للغزاة ولا حول ولا قوة إلا باللّه : إن الإسلام منهج متكامل متوازن - لا يُعذب الجسد لتسمو الروح . ولا يهمل الروح ليستمتع الجسد ولا يكبت طموحات الفرد لمصلحة أحد ، ولا يطلق للفرد نزواته يؤذي أحداً .. وكافة التكاليف التي جاء بها الإسلام ملحوظ فيها طاقة البَشر ومصلحتهم . وقد زُود الإنسان بالاستعدادات والقدرات التي تعينه على أداء تلك التكاليف وتجعلُها محببةً إليه .

ولهذا كان هذا الدين ظاهراً على كل الأديان : بالنصر والتمكين . وبالحُجَّة والتبيين ، يوافق الفطرة والعقل السليم ، ولقد أثبتت التجارب والحس والواقع أن الإسلام سابق لخطوات البَشر وتصوراتهم قابلاً لنمو الحياة وتنوع مطالبها بكل ارتباطاتها نمواً مطرداً .

---

(١) أحمد في المسند : ٤٠٤/١ من حديث ابن مسعود رضي اللّه عنه وإسناده صحيح .

(٢) البخاري في الصحيح : ٣٧٩/٦ - ٣٨٠ ، ومسلم : (٢٧٥٦ عام) و (خاص ٢٥) من حديث أبي هريرة رضى اللّه عنه .

(٣) مسلم في الصحيح برقم (١٥٤ ، ١٥٥ خاص) و (عام ٢٢٤٥) : ٣ / ١٧٦١ من حديث أبي هريرة رضى اللّه عنه .

(٤) جزء من حديث أبي هريرة رضى اللّه عنه أخرجه الشيخان في الصحيح ، البخاري : ١١٦/٢ - الفتح ، ومسلم برقم (٤٣٧) في الصلاة ، باب « تسوية الصفوف » ، وبرقم (١٩١٤) ، وبرقم (٢٢٤٤) ، باب « فصل ساقي البهائم المتمرنة وإطعامها » .

ولقد حاول الناس اتباعَ خُطا الإسلام فصاروا يتعثرون لأنهم لا يهتدون بنور الإيمان .

وقد يقول وسواس من الجن أو الإنس : إن المسلم تصيبه مصائب وكوارث ، فيقال له : ما يصيب المسلم فَبِما كسبت يداه من المعاصي .

﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾(١)

﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ ﴾(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

إن ما جاء به الرسول ﷺ لم يكن سبباً لشيء من المصائب ولا تكون طاعة الله ورسوله قط سبباً لمصيبة ، بل طاعة الله والرسول لا تقتضي إلا جَزاءَ أصحابها بِخَيْرَيّ الدنيا والآخرة . ولكن قد تصيب المؤمن بالله وبرسوله مصائبُ بسبب ذنوبهم كما لحقهم يومَ أُحد بسبب ذنوبهم لا بسبب طاعتهم ، وكذلك ما ابْتُلوا به في السرّاء والضرّاء والزلازل ليس بسبب إيمانهم وطاعتهم لكن امتحنوا به ليَتَخلّصوا مما فيهم من الشر وفُتنوا به كما يُفْتن الذهب بالنار ليتميز طيبُه من خبيثه ، والنفوس فيها شر ، والامتحان يُمحص المؤمن من ذلك الشر الذي في نفسه قال تعالى : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾(٣)

---

(١) النساء : ٧٩

(٢) الشورى : ٣٠

(٣) آل عمران : ١٤٠ - ١٤١

﴿ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ﴾(١)

ولهذا كانت المصائب تُكفِّر سيئات المؤمنين . وبالصبر عليها تُرْفَع درجاتهم ، وأما ما يلحقهم من الجوع والعطش والتعب في سبيل الله فذاك يُكتب لهم به عمل صالح ..

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ (٢)

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾(٣)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ ﴾(٤)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ ﴾(٥)

اللّهم بارك لنا في القرآن العظيم . اللّهم بارك لنا في شعبان وبلغنا رمضان .....

* *

---

(١) آل عمران : ١٥٤

(٢) التوبة : ١٢٠

(٣) الأنبياء : ١٠٧

(٤) الحج : ١

(٥) فاطر : ٣

٢ - متابعة النبى عليه الصلاة والسلام

(الخطبة الثانية)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ ﴾(١)

وأشهد أنْ لا إله إلاَّ اللّه وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك ، نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فإنَّ متابعة النبي ﷺ . وإخلاص العبادة للّه وحده تشْرحُ الصدر وتريح النفس وتصلح البال .

﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾(٢)

فالإيمان له نورٌ يجعلُه اللّه فى قلب المؤمن يَشْرح به صدرَه . رُوى عن عبد اللّه ابن مسعود رضي اللّه عنه بطرُق متعددة يشُد بعضها بعضاً عن النبى ﷺ أنه قال : « إذا دخل النورُ القلبَ انفسح وانشرح » ، قالوا : وما علامة ذلك يا رسول اللّه ؟ قال : « الإنابة إلى دار الخلود ، والتجافى عن دار الغرور ، والاستعداد للموت قبل نزوله » .

فإذا فقد القلبُ هذا النورَ ضاق الصدر فلا يطيب لصاحبه عيش ولا يهدأ له بال . مهما كان ومهما نال من الدنيا وملذاتها. فالكفر والشرك من أعظم أسباب ضيق الصدر قال تعالى : ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾(٣)

---

(١) الفاتحة : ٢ - ٣

(٢) الزمر : ٢٢

(٣) الأنعام : ١٢٥

فعلماء الإسلام صدورهم منشرحة وقلوبهم مطمئنة مَهْما حصل لهم من البلاء والاختبار .

والأعمال الصالحة كبيرُها وصغيرها من أسباب شرح الصدر .

والأعمال السيئة كبيرُها وصغيرُها من أسباب ضيق الصدر . ومحبة الله تعالى ومحبة رسوله ﷺ والإحسان إلى خلق الله ونفعُهم بالمال والجاه وبأنواع الإحسان من أسباب شرح الصدر . كما أن الكفر والشرك والبدع من أسباب ضيق الصدر .

وأيضاً فُضُول البصر .. فالنظر وفضولُ القول والاستماع . وفضول الأكل والمخالطة ، وفضولُ النوم من أسباب ضيق الصدر . فهى تتحول آلاماً وهموماً في القلب تَحْصُره وتحبسه وتعذبه في الدنيا وفي الآخرة .

فاتقوا الله أيها المؤمنون . وراقبوا ربكم أيها الناس ، واسألوا ربكم الهداية والثبات ، وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾(١)

* * *

(١) الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣ - ضرورة الإيمان للإنسان (١)

(الخطبة الأولى)

الحمد لله ﴿ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ ﴾ (٢) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلاَّ اللَّه وحده لا شريك له ، يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، بلّغ رسالة ربه ، ونصح لأمته ، وجاهد في اللَّه حق جهاده .

اللّهم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان .

أما بعد ..

فكما أن الإنسان لا يستغني عن الطعام والشراب والهواء فإذا فقدها مات . فكذلك لا يستغني عن الإيمان بربه ، فإذا فقد الإيمان مات .. غِذاءُ أبدان وغذاءُ أرواح ، موت أبدان وموت أرواح ، موتٌ حسي وموتٌ معنوي .

﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ (٣)

---

(١) ألقيت في ١٤٠٢/٢/٨ هـ .

(٢) جزء من آية البقرة : ٢٥٥

(٣) الأنعام : ١٢٢

فالإنسان بلا إيمان كسائر الحيوان . يُسيم في شهواته كما تسيم بهيمة الأنعام في الأعشاب .

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ (١)

﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ۚ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾ (٢)

﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ ﴾ (٣)

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ۚ ﴾ (٤)

هذه أمثالٌ للذين ليس عندهم إيمان .. إنها حقيقة واقعية يقررها القرآن في هذه الأمثال .

الإيمان الحقيقي هو الذي تظهر آثاره على الجوارح . قول سديد وعملٌ صالح ، وخضوعٌ لخالق هذا الكون واعترافٌ برسالاته قولاً وعملاً ، اتباعاً وتطبيقاً .

الإنسان في ذاته خاضع لنظام الله في هذا الكون ، ففي جسمه حركات غير

---

(١) الأعراف : ١٧٩

(٢) الأعراف : ١٧٥ - ١٧٦

(٣) المدثر : ٤٩ - ٥١

(٤) الجمعة : ٥

اختيارية ، في أجهزةٍ من بدنه تعمل وتَتحرك بقدرة الله ليس للإنسان الاختيار في تشغيلها ، ولا توقيفها .

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ (١)

لكن حركات الإنسان الخارجية خاضعة لإرادته هو واختياره ، فبإرادته يتَّبعُ الهُدى ،. وبإرادته يتَّبع سبيل الغي والردى ، وبإرادته يتكلم ويسكت ،. وبإرادته يضرُّ وينفع ، ويعطي ويمنع في إطار النظام العام الإلَهى ، والمشيئة الربانية ، والإنسان تَتوارد عليه شهواتٌ ورغباتٌ ، ووساوسُ وأوهامٌ ، وفي نفس الوقت أمامه نور وبرهان ، وآيات ونظام ، فإن أخضع إرادته للنظام الإلَهى وسار بها في النور واتبع البرهان ، فاز ونجى وأصلح وأفلح . وإن اتبع الشهوات والأوهام ضل وهوى

﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ (٢)

وروى مسلم في الصحيح عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال : « والذى نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذى أرسلت به إلا كان من أصحاب النار » (٣) .

فإذا اجتمعت عواملُ الغَيِّ والغُرور مع شهوات النفس ووساوس إبليس على

---

(١) فصلت : ٥٣ - ٥٤

(٢) النازعات : ٣٧ - ٤١

(٣) مسلم : ١٣٤/١ رقم ١٥٣/٢٤٠

الإنسان غلبت على بصيرته وعقله .. فتُخرجه إلى منزلة الاستعلاء والكبرياء وادعاء ما ليس له بحق .

﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧ ﴾ (١)

ومن هذا القبيل ما أخبر الله به عن الذي حاج إبراهيم عليه السلام في ربه - ويقال إنه نمرودُ بن كنعان ملكُ بابل - :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٢٥٨ ﴾ (٢)

فلم يؤمن ولم يخضع لرسالة الله ولا لحكم الله فأرسل الله إليه جُنداً من أضعف خلقه وأحقره ، جيشاً من البعوض سلّطه الله على نمرود وحزبه ، مزّق لحومهم وامْتَصّ دماءهم . (ذكره ابن كثير رحمه الله في تفسيره) (٣) .

وفرعون لما مكّن الله له في الأرض وأعطاه من الخيرات والأشجار والأنهار طغى وتكبر ﴿ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٤ ﴾ (٤) ، فاستعبد خلق الله بقتل أبنائهم وسامهم سوء العذاب . فبإرادة الله ، بإرادته النّافذة وقدرته القاهرة : نشأ موسى عليه السلام في قصر فرعون رغم أنفه ورغم حذره ، ليكون لهم عدواً وحزناً . فلما أوحي الله إلى موسى بالرسالة إلى فرعون : ﴿ فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ۝٢٠ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ۝٢١ ﴾ (٥) ، فكانت العاقبة نجاةُ موسى وقومه وغرق

---

(١) العلق : ٦ - ٧

(٢) البقرة : ٢٥٨

(٣) ابن كثير : تفسيره تحت هذه الآية : ١/٥٥٦ - ٥٥٧ بدون إسناد .

(٤) النازعات : ٢٤

(٥) النازعات : ٢٠ - ٢١

فرعون وجنوده : ﴿ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْآخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰ ﴾ (١) هذه سُنَّة الله في خلقه . وهذا هو نظام الله في ملكوته .. لا يختص بها أحد عن أحد ، ولا بلد عن بلد ، ولا زمن عن زمن ، لا تبديل لكلمات الله ، ولا تغيير لسُنَّة الله . فاتقوا الله أيها الناس .. أنقذوا أنفسكم من عذاب الله .

إن الذين يتحكمون في خلق الله بغير نظام الله . ويُسيطرون على أرض الله بغير شرع الله ، ويستعبدون عباد الله ، ويسومونهم سوء العذاب بدون حق . ويطفئون نور الله بأفواههم وبأيديهم . وبقواتهم الّتي أعطاهم الله يحادون كتاب الله ، وينكرون سُنَّة رسول الله ﷺ ؛ وينسبُونها إلى القصور ، وعدم الكمال والله تعالى يقول : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ (٢)

إنها ردّة هذا العصر ، وفراعنة القرن الرابع عشر شر من أسلافهم ، ففرعون موسى يقتل الأبناء ويستحي النساء ، وأولئك يقتلون الأبناء والنساء .

إن طغاة عصرنا لم يكونوا أقوى من فرعون ونمروذ في وقتهما ، ولم يكونوا خارجين عن إرادة الله ، وقهره . فمصيرهم إن شاء الله تعالى كأسلافهم .

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ ﴾ (٣)

﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ (٤)

---

(١) النازعات : ٢٥

(٢) المائدة : ٣

(٣) إبراهيم : ٤٢

(٤) القصص : ٥ - ٦

يجب على الأمة المسلمة أن تُصلح معاملتها مع الله . وأن تُقوى صلتها بالله . وأن تستمد قوتها من الله - مع فعل الأسباب التي أباحها الله ، وأن تسير على نظام الله ، وأن تكون من حزب الله : ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ﴾[1]

اللّهم بارك لنا في القرآن العظيم .....

* *

(١) طه : ٨٢

٣ - من خوارق العادات

(الخطبة الثانية)

الحمد لله رب العالمين .. خلق العالم بقدرته ، ورباهم بنعمته .

وأشهد أنْ لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له . وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

صلى الله وسلَّم عليه وعلى آله وأصحابه وعلى أتباعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فإن الله تبارك وتعالى أجرى الأشياء على سُنن كونية منتظمة متقنة من أجل مصالح العباد ، ولكنه تعالى يغير ما شاء متى شاء لحكم ومصالح ، فالمعروف من سنن الكون الربانية أن الولد يُخلق من أب وأم ، ولكن الله تعالى خلق عيسى عليه السلام من أم دون أب .

والمعروف أن الإنسان إذا مات تعفن ، ويبس وعاد عظاماً ورفاتاً .. إلا الأنبياء فلا يأكل لحومهم الدود بل تبقى على ما كانت عليه غضة طرية [١] .

والطعام إذا مضى عليه زمن فسد ، والماء إذا طال مكثه أسن ونضب ، إلا طعام عزير وشرابه بقي مائة عام لم يتغير .. وجسده أيضاً وهو ميت لم يتغير ، أما حماره فقد مضت عليه السُنَّة العامة . فتمزقت أشلاؤه وتبدَّدت عظامه . قال

---

(١) إشارة إلى حديث أوس بن أبي أوس رضي الله عنه أخرجه أحمد في المسند : ٨/٤ ، وإسناده لا بأس به وهو مجال سكنه دمشق ، وقد أخرج حدثه السنن الأربعة أبو داود ، والنسائي ، وابن ماجه ما عدا الترمذي والدارمي في سننه أيضاً ، وله ترجمة طويلة في تاريخ دمشق لابن عساكر : ١٨٦/٣ - ١٨٩ . وقد أشار الحافظ في الإصابة رقم الترجمة (٣٣٧) من : ٨٢/١ إذ قال : روى له أبو داود والنسائي وابن ماجه وصح من طريقه أحاديث .

قلت : وإلى هذا المتن أشار الحافظ مع عدم إيراد لفظه ، والله أعلم ، وصححه ابن حبان (٥٥٠) ، وابن خزيمة في الصحيح (١٧٣٣) ، والحاكم في المستدرك : ٢٧٨/١

الله تعالى ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ ﴾(١)

آيات بيِّنات لأولي الأبصار ولأولي الألباب ، إننا نشاهد دائماً خوارق عادات . وتغيراً في نظام بعض الموجودات ، مثل الكسوف والخسُوف ، والزلازل ، والفيضانات ، والجدب والقحط ، ونزع البركة والعز والذل والفقر والغنى ، وسقوط بعض الطائرات .. وفشل بعض المصنوعات ، ومواليد تنقص خلقتُهم عن السنن المعتادة ، كل هذه الآيات تدل على أن الله تعالى قاهر فوق عباده ، متصرف في هذا الوجود بحكمته وإرادته : ﴿ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾(٢)

فاتقوا الله عباد الله ، واعرفوا لربِّكم حقه وأقدروا قدره حَسَب استطاعتكم ، واسألوه الهداية والثبات فإن القلوب بين إصبعين يقلبها كيف يشاء (٣) . وصلُّوا على البشير النذير .....

* * *

---

(١) البقرة : ٢٥٩

(٢) الأنعام : ٣٣

(٣) أخرجه أحمد في المسند : ١٦٨/٢ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، وأخرجه مسلم في الصحيح رقم (٢٦٥٤) وله شاهد بهذا اللفظ أخرجه الترمذي برقم (٢١٤١) من رواية أنس بن مالك رضي الله عنه وإسناده حسن ، وأخرجه أيضاً البغوي في شرح السُنَّة برقم (٨٨) : ١٦٤/١ - ١٦٥ ، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه وله شاهد ثالث من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه ، أخرجه أحمد في المسند : ١٨٢/٤ وإسناده صحيح وأن هناك خطأ في نسخة المسند .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤ - إفراد الله بالعبادة [١]

(الخطبة الأولى)

الحمد لله ﴿ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾[١]

وأشهد أنْ لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد ..

فإن الله تعالى بعث رسوله محمداً ﷺ ، بالهدى ودين الحق .، أرسله رحمة للعالَمين ، فأخرج به الناس من الظلمات إلى النور ، وهداهم به إلى صراط مستقيم ، فبلَّغ رسالة ربه ، ونصح لأمته ، وعرَّف العباد بخالقهم جلَّ جلاله ، وبيَّن حقوقه عليهم ، وكان أحرص ما يكون صلى الله عليه وسلم على تثبيت قواعد الإيمان في النفوس ، وتحقيق العبادة لله ، وحده لا شريك له ،. وحماية جناب التوحيد من شوائب البدع ، وأعمال الجاهلية ، وصيانة قواعد الإيمان من الزيغ والشكوك ، كل ذلك حرصاً على سعادة أُمته وفلاحها في الدنيا والآخرة .

أيها المسلمون .. تأملوا هذه الكلمات الموجزات التي علَّمها النبى ﷺ لابن عمه عبد الله بن عباس . وما اشتملت عليه من المعاني وأسمى المقاصد ، والخير الكثير .

---

(١) ألقيت في ١٣٨٣/٨/١٠ هـ .

(٢) جزء من آية الملك : ١

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كنت خلف النبي ﷺ يوماً . فقال : « يا غلام ، إني أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك . احفظ الله تجده تُجاهك ، إذا سألتَ فاسأل الله ، وإذا استعنتَ فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رُفِعت الأقلام وجفَّت الصحف » (١) .

وفي رواية : « احفظ الله تجده أمامك ، تعرَّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة . واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وما أصابك لم يكن ليخطئك . واعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفَرَج مع الكرب ، وأن مع العُسر يُسراً » (٢) .

هذا الحديث أصل عظيم في مراقبة الله ومراعاة حقوقه والتوكل عليه وتفويض الأمر إليه ، وتحقيق توحيده وإفرادِه بالعبادة وحده لا شريك له ، وأن المخلوقين كلهم عاجزون ومفتقرون إليه .

فهو قاعدة من قواعد الدين ، وحصن يحمي حمى التوحيد والإيمان ، وهو صلى الله عليه وسلم أعرف الناس بربهم وأعلم بما فيه سعادة أمته ، وأحرص على أمته من أنفسهم ، أمر بمراقبة الله في السر والعلانية وملازمة طاعته ، واجتناب نواهيه ، واستحضار عظمته وقدرته . والإكثار من ذكره ، وحمده وتسبيحه ، فإذا فعل العبد ذلك حفظه الله في نفسه وأهله ، وماله ودينه ، ودنياه ، وثبَّته على الصراط المستقيم ، الموصل إلى الله وإلى جنات النعيم ، يوفقه ويعينه ويكون له أنيساً في جميع أحواله . يشرح صدره ويطيب نفسه ، ويغنيه عمن سواه ، فهو الذي بيده ملكوت كل شيء ، وبيده أزِمّة الأمور ،

---

(١) أحمد في المسند : ٢٩٣/١ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما وإسناده حسن .

(٢) أحمد في المسند أيضاً : ٣٠٧/١ - ٣٠٨ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، من وجهين عنه وإسناده لا بأس به جيد .

وعنده خزائن الكون ، ومفاتيح كل شيء . وهو الذي يقضي الحاجات ، ويجيبُ الدعوات ، وهو القادر على كل شيء .

فهو المستحق لأن يُسألَ ويُستعانَ به في جميع الأمور والأحوال ، وأما الخلق فكلهم فقراء إليه ، لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً .

وأقربُ الناس إلى الله تعالى وأعزُهم على الله وأعرفهم بالله هو صفوتهُ من خلقه وخيرته من أنبيائه ، نبينا محمدٌ ﷺ فهو أكرم الخلق على الله وأقربُهم منزلة عند الله ، ومع هذا يقول صلى الله عليه وسلم لابنته فاطمة وعمه وعمته رضي الله عنهم : « سلوني من مالي ما شئتم لا أغني عنكم من الله شيئاً » [١] ، ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي ضَرّٗا وَلَا نَفۡعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ ﴾[٢] فما بالكم بمن دونه صلى الله عليه وسلم ؟ فإذا كان المخلوق - كائناً مَن كان - لا يملك لنفسه خيراً . ولا يدفع عن نفسه ضراً . فهو إذاً لا يملك لغيره نفعاً ولا يدفع ضراً .

أخي المسلم .. كيف تسأل عبداً من عباد الله أن يعطيك ما لا يستطيعه لنفسه ؟ وكيف تطلب منه أن يدفع عنك ما لا يدفعه عن نفسه ؟﴿ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦۚ ﴾[٣] وإن تعجب فعجب [٤] فعل مَن يلجأ إلى بعض المخلوقين ، من النبيين والصالحين ، يدعوهم ويطلب منهم العون والمدد . وقضاء الحوائج وكشف الضر ، وتفريج الهم والكرب ، ويقرِّبون لهم القرابين وأنواع العبادة التي لا يجوز صرف شيء منها لغير الله تعالى ، ويطلبون منهم ما لا يقدر عليه إلا الله جلَّ

---

(١) إشارة إلى حديث أبي هرير رضي الله عنه . البخاري في الصحيح : الوصايا برقم (٣٧٥٣) : ٣٨٢/٥ : الفتح ، وأحمد في المسند : ٢٠٦/١

(٢) يونس : ٤٩

(٣) يونس : ١٠٧

(٤) إشارة إلى آية ٥ من سورة الرعد .

جلاله ، بل ويعلقون آمالهم بالجمادات والأشجار من الحديد والأحجار والحيطان .

ويزعمون أن لها بركة تلحقهم إذا تمسحوا بها لا يفرِّقون بين ما شرعه الله ورسوله وبين ما نهى الله عنه ، ورسوله .

﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾(١)

فاتقوا الله عباد الله ، وراعوا حقوق الله ، وتمسكوا بكتاب الله وسُنَّة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ففيهما الخير والبركة والسعادة والفوز والنجاة ، وإياكم وبدع المبتدعين ، الذين شرَّعوا ما لم يأذن به الله ، فإن كل عمل يخالف أمر المصطفى صلى الله عليه وسلم وتشريعه مردود على صاحبه .

عباد الله .. لقد اشتمل هذا الحديث على بشارتين من المصطفى صلى الله عليه وسلم لعباد الله المؤمنين ، أولاهما : أن مَن تقرَّب إلى الله في وقت سعته وقدرته على العمل فامتثل أمره واجتنب نهيه وأكثر من ذكره ، واستحضار عظمته ، يجد ذلك ذخراً عند الله في وقت شدته وضعفه وعجزه عن العمل ، فيكتب له من الأجر مثل ما كان يعمل ، ويؤيده ويؤنس وحشته ، وأحوج ما يكون الإنسان إلى ذلك وقت الموت ونزعات الروح فيرحمه مولاه ويثبته ويقوى أمله ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾(٢)

وثانيهما : أن الشدة لا تدوم على حال فلا بد أن تكشف ، وكل شيء إذا بلغ منتهاه أعقبه ضده ، فآخر الصبر هو أول النصر . وآخر الكرب هو أول الفَرَج ، وآخر العُسر هو أول اليُسر ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ ﴾(٣)

---

(١) فاطر : ٨

(٢) الأعراف : ٥٦

(٣) الشرح : ٥ - ٦

وكلما اشتد الأمر على المؤمن إزداد إيماناً باللّه وتوكلاً عليه ، ورغب فيما عنده ، وأيس من جميع المخلوقين ، لأنه تيقن أنهم لا يملكون له نفعاً ولا يدفعون عنه ضراً ، وإنما الأمر كله للّه وحده لا شريك له ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ ﴾ (١)

اللّهم إنّا نسألك إيماناً صادقاً ، ويقيناً كاملاً ، ونسألك نعيماً لا ينفد ، وقرة عين لا تنقطع ، ونسألك الرضا بعد القضاء ، وبرد العيش بعد الموت ، ولذة النظر إلى وجهك الكريم .

أقول قولي هذا واستغفر اللّه لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

* *

(١) الأنعام : ١٧

٤ - قول العالم الحنفى

(الخطبة الثانية)

الحمد للّه رب العالَمين ، تفرَّد بتصريف هذا الكون في أُولاه وأُخراه .

وأشهد أنْ لا إلَه إلاَّ اللّه وحده لا شريك له ، ليس له شبيه ولا نظير ، ولا ند له ولا وزير ، لا يشغله شأن عن شأن ولا كبيرٌ عن صغير .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، تركنا على المحَجَّة ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك [١] .

اللّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فقد ذكر عالِم من علماء الأحناف - رحمه اللّه - في كتاب له نفيس دافع فيه عن الإيمان والتوحيد سماه « الرد على مَن ادعى أن للأولياء تصرفات في الحياة وبعد الممات على سبيل الكرامات » .

ومما قاله : قد ظهر الآن فيما بين المسلمين جماعاتٌ يدَّعون أن للأولياء تصرفات بحياتهم وبعد مماتهم ويُستغاث بهم في الشدائد والبليات ، وبِهِمَمِهِم تُكشف المهمات ، فيأتون قبورهم وينادونهم في قضاء الحاجات . مستدلين أن ذلك منهم كرامات ، وقالوا : منهم أبدال ونقباء وأوتاد ونجباء ، وسبعون وسبعة .

---

(١) إشارة إلى حديث العرباض بن سارية رضي اللّه عنه ، أحمد في المسند : ١٢٦/٤ ، وإسناده صحيح أيضاً ، المقدمة باب (٦) .

وأربعون وأربعة ، والقطب هو الغوث للناس وعليه المدار بلا التباس [١] وجوّزوا لهم الذبائح ، والنذور ، وأثبتوا لهم فيها الأجور قال : وهذا كلام فيه تفريط وإفراط ، بل فيه الهلاك الأبدي والعذاب السرمدي ، لما فيه من روائح الشرك المحقق ، ومصادمة الكتاب العزيز المصدق . ومخالفة لعقائد الأئمة ، وما اجتمعت عليه الأمة ، وفي التنزيل : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾ [١]

ثم أخذ رحمه الله برد تلك المغالي فقرة فقرة من كتاب الله وسُنّة رسوله ﷺ ، ولا يتسع لها المقام ، فيُرجى من إخواننا المغرورين بتلك المقالة أن يراجعوا ذلك الكتاب وأمثاله من كتب أهل السُنّة والجماعة ، ليعرفوا الأمر على حقيقته ، وليُكشف تلبيس إبليس وجنوده .

اللّهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه .

اللّهم إنّا نعوذُ بك من مضلات الأهواء ومن زَيْغ القلوب ، ومن سوء الاقتداء ، إخوة في الله . لقد أمرنا الله بأمر بدأ فيه بنفسه فقال تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [٣]

* * *

(١) ذكره الخطيب في تاريخ بغداد : ٣ / ٧٤ - ٧٦ في ترجمة محمد بن عليّ بن جعفر الكتانى .

(٢) النساء : ١١٥

(٣) الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥ - الإسراء ثابت بالكتاب والسُّنَّة (١)

(الخطبة الأولى)

الحمد لله رب العالَمين ، كل شيء خاضع لإرادته منقاد لمشيئته ..

﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾(١)

وأشهد أنْ لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ ﴾(٢)

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، اصطفاه وأدناه ، ورفعه منزلة لم يبلغها أحد من الخلق سواه .

اللَّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن اتبع ملَّته وعمل بسُنَّته .

أما بعد ..

فإن قدرة الله لا تُدركها عقول البَشر . ولا تُقاس بقدرة الناس وطاقاتهم . فمَن الذي يحيط بالقدرة التي جاءت بعرش بلقيس من اليمن إلى نبي الله سليمان عليه الصلاة والسلام في القدس قبل أن يرتد إليه طرفه .

وأين العقل الذي يدرك القدرة التي قَلَبت عصى موسى صلى الله عليه وسلم حينةً تسعى تلقف الحِبَال والعِصى فلا يبقى لها أثر .

---

(١) ألقيت في ١٤١٣/٧/٢٢ هـ .

(٢) الأنعام : ١٨

(٣) الأنعام : ٣

أم كيف يُدْرك القدرة التى رَدّت الروحَ والحياةَ في الطيور التي مَزّقها إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، وجعل على كل جبل منهن جزءاً ، فلما دعاهن أتينه سعياً ، يَطِرْن ليس بهن بأس ، فسبحان العزيز الحكيم .

فكذلك الإسراء والمعراج قدرة إلَهية وحكمة ربانية خارجة عن إدراك البَشر وطاقاتهم . إنها حركة مختارة من اللطيف الخبير ، ربط اللّه بالإسراء والمعراج بين عقيدة التوحيد من إبراهيم عليه الصلاة والسلام إلى خاتم النبيين محمد ﷺ ، وربط بين المسجدين المطهرين - المسجد الحرام والمسجد الأقصى - فَنَبِيُّنا محمد ﷺ وارث الرسالات ، ومُقدسات الرسل قَبْله . فالقدس حق للمسلمين أتباع الرسول محمد ﷺ .

والإسراء آية صاحبتها آيات ، فالنقله الخارقة التى ربطت بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى في برهة وجيزة لم يَبْرُد فيها فراش رسول اللّه ﷺ آية من آيات اللّه وقدرة عظيمة ، فسبحان اللّه والحمد للّه ولا إله إلا اللّه واللّه أكبر ، آمنا باللّه وبقدرة اللّه .

وأما قصة الإسراء والمعراج ، فرواها أهل الحديث فى كتبهم عن عشرين صحابياً ، ومنها ما رواه الإمام مسلم في صحيحه عن أنس [١] بن مالك رضي اللّه عنه : أن رسول اللّه ﷺ قال : « أُتيتُ بالبراق وهو دابة طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرْفه ، قال : فركبته حتى أتيتُ بَيت المقدس ، قال : فربطته بالحلقة التى يَرْبط به الأنبياء ، قال : ثم دخلت المسجد فصليتُ فيه ركعتين ثم خرجتُ فجاءنى جبريل عليه السلام بإناء من خمر وإناء من لبن ، فاخترتُ اللبن فقال جبريل ﷺ : اخترتَ الفطرة ، ثم عَرَج بنا إلى السماء فاستفتح [٢] جبريل فقيل : مَن أنت ؟ قال : جبريل ، قيل : مَن معك ،

---

(١) صحيح مسلم مع النووي : ٢٠٩/٢ . قال القرطبي (٢١٠/١٠) : المسجد الحرام قبل المقدس بأربعين سنة ، البخاري كتاب « التوحيد » ابن كثير : ٣٤/٣

(٢) صحيح مسلم مع النووي باب « الإسراء » : ٢٠٩/٢ . المتن : ١٧/١ - عدد (عام ٢٧٩) و (خاص ١٧٣) كتاب الإيمان .

قال : محمد ، قيل : وقد بُعِثَ إليه ؟ قال : قد بعث إليه ، ففُتِح لنا . فإذا أنا بآدم فرحبَّ بى ودعا لى بخير . ثم عَرَج بنا إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل عليه السلام فقيل : مَن أنت ؟ قال : جبريل . قيل : ومَن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه . ففتح لنا فإذا أنا بابنى الخالة عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا صلوات اللّه عليهما فرحبَّا ودَعَوا لى بخير ، ثم عَرَج بي إلى السماء الثالثة فاستفتح جبريل - وذكر المناقشة كما تقدم - قال : ففُتِح لنا فإذا أنا بيوسف صلى اللّه عليه وسلم ، فإذا هو قد أعطى شطر الحُسن فرحبَّ بي ودعا لى بخير . ثم عَرَج بنا إلى السماء الرابعة فاستفتح جبريل - وذكر كما تقدم - ففتح لنا فإذا أنا بإدريس فرحبَّ ودعا لي بخير .. قال اللّه عَزَّ وجَلَّ : ﴿ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ ﴾[1] ، ثم عَرَج بنا إلى السماء الخامسة فاستفتح جبريل - وذكر مثلما تقدم - ففتح لنا ، فإذا أنا بهارون صلى اللّه عليه وسلم فرحبَّ بي ودعا لي بخير . ثم عَرَج بنا إلى السماء السادسة فاستفتح جبريل عليه السلام - وذكر مثلما تقدم - ففتح لنا فإذا أنا بموسى صلى اللّه عليه وسلم فرحبَّ ودعا لي بخير . ثم عَرَج بنا إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل - وذكر مثلما تقدم - قال : ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم صلى اللّه عليه وسلم مُسنداً ظهره إلى البيت المعمور ، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف مَلَك لا يعودون إليه . ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى ، وإذا ورقها كآذان الفيلة . وإذا ثمرها كالقلال ، قال : فلما غشيها من أمر اللّه ما غشى تغيرت . فما أحد من خلق اللّه يستطيع أن ينعتها من حسنها ، فأوحى اللّه إليّ ما أوحى ، ففرض عليّ خمسين صلاةً في كل يوم وليلة ، فنزلتُ إلى موسى صلى اللّه عليه وسلم فقال : ما فرض ربك على أمتك ؟ قلت : خمسين صلاة ، قال : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك لا يطيقون ذلك فإنى قد بلوتُ بني إسرائيل وخبرتهم ، قال : فرجعتُ إلى ربي فقلت : يارَبِّ ؛ خفف على أمتي فحَطَّ عني خمساً فرجعتُ إلى موسى فقلت :

---

(١) مريم : ٥٧

حطَّ عني خمساً ، قال : إنَّ أمتك لا يطيقون ذلك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف ، قال : فلم أزل أرْجع بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى عليه السلام حتى قال : يا محمد ؛ إنهن خمسُ صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشرٌ فذلك خمسون صلاة . ومَنْ هَمَّ بحسنه فلم يعملها كُتبت له حسنة ، فإن عملها كُتبت له عشراً ، ومَنْ هَمَّ بسيئة فلم يعملها لم تُكتب شيئاً ، فإن عملها كُتبت سيئةً واحدة . قال : فنزلتُ حتى انتهيتُ إلى موسى صلى اللّه عليه وسلم فأخبرته فقال : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف . فقال رسول اللّه ﷺ : قد رجعت إلى ربي حتى استحييتُ منه » .

قال القرطبي في التفسير [١] : ومما ليس في الصحيحين ما خرَّجه الآجري عن أبي سعيد الخدري في قوله : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ [٢] ، ذكر بعدَ صفة البراق قال : « فسمعت نداء عن يميني : يا محمد على رِسْلك حتى أسألك ، فمضيتُ ولم أعرج عليه ، ثم سمعتُ نداء عن يساري : يا محمد على رِسْلك ، فمضيتُ ولم أعرج عليه ، ثم استقبلتني امرأة عليها من كل زينة الدنيا رافعة يديها تقول : على رِسْلك حتى أسألك فمضيتُ ولم أعرج . فأخبر جبريل بذلك . فقال جبريل : إن الداعي على اليمين داعي اليهود ولو وقفتَ لتهوَدت أمتك ، وإن الداعي على الشمال داعي النصارى ولو وقفتَ لتنصّرت أمتك ، وقال في المرأة : تلك الدنيا ولو وقفتَ لاخترتَ الدنيا على الآخرة » .

وأخبر النبي ﷺ أم هانيء بالقصة ثم قام ليخرج فتشبَّثت بثوبه فقال : « مالك » ؟ قالت : أخشى أن يكذِّبك قومك إن أخبرتهم . قال صلى اللّه عليه وسلم : « وإن كذَّبوني » فخرج وجلس إليه أبو جهل فأخبره رسول ﷺ بحديث

---

(١) الجزء العاشر ص ٢٠٦ . وقال : ذكرها أبو الربيع سليمان بن سبع في كتاب « شفاء الصدور » .

(٢) الإسراء : ١

الإسراء ، فقال أبو جهل : يا معشر بني كعب بن لؤي هلم ، فحدثهم فمَنْ بين مصدِّق وواضع يده على رأسه تعجباً وإنكاراً . وارتدّ ناس ممن كان آمن به صلى اللّه عليه وسلم ، وسعى رجال إلى أبى بكر الصدِّيق رضى اللّه عنه فقال : أوَ قال ذلك ؟ قالوا : نعم ، قال : فأنا أشهد لئن كان قال ذلك لقد صدق ، قالوا : فتصدقه في أن يأتى الشام في ليلة واحده ثم يرجع إلى مكة قبل أن يصبح . قال أبو بكر رضي اللّه عنه : نعم أنا أصدقه بأبعد من ذلك ، أصدقه بخبر السماء . فسُمِى الصديقُ رضي اللّه عنه وأرضاه . ثم سألت قريش النبي ﷺ عن البيت المقدس فوصفه لهم . وسألوه عن عيرهم فأخبرهم بها وبوقت قدومها . فوجدوا الأمر كما ذكر الصادق المصدوق صلى اللّه عليه وسلم .

والرسول ﷺ لم يتخذ من واقعة الإسراء والمعراج معجزةً لتصديق رسالته مع إلحاح قومه في طلب الخوارق ، لأن دعوة الإسلام لا تعتمد على الخوارق ، إنما تعتمد على منهاجها وأسلوبها ومخاطبتها للفطرة القويمة المتفقة مع صحة الإدراك وصحة التصور . وحكمة الإسراء والمعراج كما قال تعالى : ﴿ لِنُرِيَهُ مِنْ ءَايَتِنَآ ﴾ .

والربط بين افتتاح السورة بالتسبيح والعبودية للّه . وبين الإسراء والمعراج . ﴿ سُبْحَانَ الَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِه ﴾ فيه تقرير الألوهية والكمال للّه . وتقريرُ العبودية للنبى ﷺ فى مقام الإسراء والمعراج الذي هو من خوارق العادات لكى لا يلتبس على الناس مقام العبودية بمقام الألوهية كما التبسا على النصارى بسبب ما أُعطى عيسى عليه الصلاة والسلام من خوارق العادات .

وبمعرفة الفرق بين العبودية والألوهية تبقى عقيدة الإسلام صافيةً نظيفةً خالصة للّه وحده منزّهة من كل شبهه من قريب أو بعيد . ولا يجوز للمسلم أن يقتدي بالنصارى فى أعيادهم وحفلاتهم ، فقد أُمرنا بمخالفة اليهود والنصارى والاقتداء بالنبي ﷺ في هَدْيه . فيوم عاشوراء يوم نجى اللّه فيه موسى وقومه فصامه صلى اللّه عليه وسلم وأمرنا بصيامه وبمخالفة اليهود ، بصوم يوم قبله أو يوم

بعده . ولم يكن من سُنَّته عليه الصلاة والسلام ولا من سُنَّة الخلفاء الراشدين ولا من عادات أهل الإيمان والتقوى الاحتفال بالمناسبات والذكريات الإسلامية . فيجب على المسلم أن يقتدي بالنبي المطهر صلى الله عليه وسلم . وبأهل القرون المفضَّلة في سيرتهم . فمَن كان يُحب الرسول ﷺ فليقتد به ولا يزيد عن شريعته وسُنَّته . فإن العبادات مبناها على التوقيف . فلا يجوز للإنسان أن يعمل عبادة باستحسانه أو استحسان غيره . قال صلى الله عليه وسلم : « مَن أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » (متفق عليه) (١) .

وفى رواية لمسلم : « مَن عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد » . قال النووي رحمه الله في شرح صحيح مسلم : هذا الحديث مما ينبغي حفظه في إبطال المنكرات . وقال ابن حجر : هذا حديث معدود من أصول الدين وقاعدةٌ من قواعده .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، عليكم بسُنَّة النبي المختار ﷺ وسُنَّة الخلفاء الراشدين ، عضوا عليها بالنواجذ . وإياكم ومحدثات الأمور فإنها شر وضلالة كما قال صلى الله عليه وسلم : « وشر الأمور محدثاتها وكلُّ بدعة ضلالة » (٢) ،

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ٢٠ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ٢١ ﴾ (٣)

اللهم بارك لنا في القرآن العظيم ، وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم ، واغفر لنا ولجميع المسلمين .....

* *

---

(١) رياض الصالحين ص ٨٥

(٢) رياض الصالحين ص ٨٦

(٣) الأنفال : ٢٠ - ٢١

٥ - سعادة الأمة في صلاح أخلاقها

(الخطبة الثانية)

الحمد لله رب العالمين . نظّم سلوك المسلمين ودلّهم على مسارب الخير ونهاهم عن مصائد الشيطان .

وأشهد أنّ لا إلَهَ إلاّ اللّه وحده لا شريك له . حثّ على الفضائل ونهى عن الرذائل وبيّن طرق السلامة والنجاة .

وأشهد أنّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله . صاحب الخُلُق العظيم والدين القويم .

اللّهم صلِّ وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدى بهَدْيه واستقام .

أما بعد ..

فإن سعادة الأمة وفلاحَها مبنية على أخلاقها ، فمتى صلحت الأخلاق توفر أسباب الفلاح .

وأخطر المعاصي على المجتمع جريمة الزنا . فيه انتهاك حُرُمات اللّه ، وتعدٍ على حدوده . وفيه خيانة للبيت والفراش . وجريمة على النطفة التي توضع في رحم حرام . وفيه اختلاط الأنساب ، وفيه تحطيم مستقبل الزانية وهتكُ أستار الحياء والعفة .

والزنا محرَّم في دين الإسلام ، ورتَّب عليه عقوبة . فإن كان الزاني ذكراً أو أنثى محصناً فحده الرجم بالحجارة حتى يموت .

وإن كان بكراً فيُجلد مائة جلدة ويُغَرَّب عاماً . قال تعالى : ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى

دين الله إن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الأخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١) .

فاتقوا الله أيها المؤمنون ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ ۖ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ (٢)

« يا معشر الشباب ؛ مَن استطاع منكم الباءة فليتزوج ، ومَن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء » .

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ (١)

* * *

(١) النور : ٢

(٢) الإسراء : ٣٢

(٣) الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٦ - سورة الإسراء لم تذكر المعراج [١]

(الخطبة الأولى)

الحمد لله رب العالمين . وهو القاهر فوق عباده وهو الحليم الخبير .

وأشهد أنْ لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له . بيده ملكوت السموات والأرض ، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله اصطفاه لعبادته . وشرَّفه برسالته وكرَّمه برفع ذكره . وخرق له العادات تكريماً لنبيه وإظهاراً لقدره وتثبيتاً لفؤاده .

اللَّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وخلفائه وأزواجه ومَن اهتدى بهَدْيه واستقام على سُنَّته .

أما بعد ..

فإن القرآن حينما يتحدث عن واقعة من الوقائع ، أو عن قصة من القصص ، لا يهتم بالتاريخ الزمني الذي وقعت فيه لأن العبرة بمدلولاتها التشريعية .

ومن ذلك قصة الإسراء والمعراج قال تبارك وتعالى : بسم الله الرحمن الرحيم :

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [٢]

والآية الكريمة لم تذكر المعراج من البيت المقدس إلى السموات العلا وإلى

---

(١) ألقيت في ١٤٠٤/٧/٢٦ هـ .

(٢) الإسراء : ١

سدرة المنتهى . لكن أشير إليه في سورة النجم بقوله تبارك وتعالى :﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٨﴾﴾ (١)

فالإسراء آية من آيات الله صاحبتها آيات : ﴿لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾﴾ (٢)، تفتح قلوب المصطفين من عباد الله على مكنونات هذا الوجود . وتكشف من أسرار هذا الكون لمن شاء الله من أنبيائه .

فالقصة إذاً أبعد من حدود الزمان والمكان ، وتشير إلى أبعاد أوسع وإلى معاني أعظم .

والقرآن الكريم لم يُفَصِّل الآيات التي رآها نبينا محمد ﷺ . وهكذا أسلوب القرآن فهى آيات أضخم وأعظم من إدراك البشر لكيفيتها ووصفها ، وجاء فى الأحاديث أن النبى ﷺ رأى الجنة على حقيقتها (٣) . ورأى النار على طبيعتها وفوقها الصراط ، ورأى في كل سماء عُمَّارها واستقبله مقرَّبوها (٤) ، ورأى البيت المعمور وما يدخله من الملائكة ، ورأى سدرة المنتهى وما يغشاها . وسمع صريف الأقلام (٥) وتلقى الوحي من الكبير المتعال دون واسطه . وناجاه وراجعه في تخفيف الصلوات من خمسين حتى جُعِلت خمس صلوات في كل يوم وليلة . ثم هبط ومعه الأنبياء إلى بيت المقدس وصلى بهم - عليه وعليهم أفضل الصلاة وأزكى التسليم - هذه النقلة العجيبة . وهذه الرحلة السريعة في برهة من الزمن .

---

(١) النجم : ١٣ - ١٨

(٢) طه : ٢٣

(٣) مسلم مع النووي : ٢٠٩/٢ ، مسلم مفرد : ٧/١

(٤) مسلم مع النووي : ٢٢٢/٢ ، مسلم مفرد : ١٤٩/١

(٥) مسلم مع النووي : ٢٢٢/٢ ، مسلم مفرد : ١٤٩/١

غادر فيها صلى اللّه عليه وسلم فراشه ورجع إليه في ليلته ولم يبرد بعد . إنها قدرة إلهية وكرامة نبوية لها حكمتها وغاياتها .

ولعل من ذلك تمرين النبي ﷺ على تلك الآيات التي حُجبت عن البَشر . حتى إذا كان يوم القيامة يكون قد عرفها وتمرن على رؤيتها ، ليتفرغ للشفاعة الكبرى والمقام المحمود الذي خُص به صلى اللّه عليه وسلم في ذلك الموقف العظيم . كما أن الإسراء والمعراج حركة تشريعية . ربطت بين عقائد التوحيد من إبراهيم عليه السلام إلى خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ ، تربط بين الأماكن التي قدَّسها ربها بِوَحْيه ورسالاته لديانات التوحيد .

ومنها إعلان وراثة الرسول ﷺ لمقدسات الرسل قبله ، وأن رسالته مصدِّقة لتلك الرسالات ، فالرسالة المحمدية مصدِّقة لما قبلها ومهيمنة عليها . فلا يقبل اللّه من أحد ديناً إلا دين اللّه الذي أنزله على خاتم رسله محمد ﷺ . ولقد جمع اللّه لنبيه صلى اللّه عليه وسلم بين الإيمان بعلم اليقين وبين الإيمان بعَيْن اليقين . ليكون ذلك أقوى له في تلقي الرسالة . والنهوض لتبليغها والصبر على ما يلاقيه فيها من أذى وتكذيب . وجهاد وقتال . كما أنه صلى اللّه عليه وسلم حصلت له في هذه القصة المقارنة بين الدنيا وما فيها . وبين الآخرة وما فيها ، ولذلك زهد في الدنيا ورغب في الآخرة . وخرج من الدنيا ولم يشبع فيها ثلاثة أيام متواليات من خبز الشعير ، فهو عرف الآخرة وأعطاها حقها ، وعرف الدنيا وأعطاها حقها .

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ (١)

اللّهم بارك لنا في القرآن العظيم .....

* *

(١) الأحزاب : ٢١

٦ - لا يجوز إطراء الرسول عليه الصلاة والسلام

(الخطبة الثانية)

الحمد لله الولي الحميد . وهو على كل شيء شهيد .

وأشهد أنْ لا إلَه إلاَّ اللّه وحده لا شريك له . ذو العرش المجيد ، فعّال لما يريد .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، حَمى حِمَى التوحيد ، صلّى اللّه وسلّم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فإذا تأملنا مستهل سورة الإسراء وجدناها بُدئت بالتسبيح وهو تنزيه اللّه تعالى عن كل ما لا يليق به . وإذا تأملنا خاتمتها وجدناها ختمت بقوله تعالى : ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾ ﴾(١) ، كما أنه تعالى قرن قصة الإسراء بنبيه صلى اللّه عليه وسلم بأشرف صفاته وهي العبودية للّه تعالى . فالجمع بين مقام التسبيح للّه . وبين مقام عبودية محمد ﷺ لربه . وبين الحمد للّه وتنزيهه عن الولد والشريك والولي من الذل . والأمر بتكبيره وتعظيمه .

في هذا سر عظيم لتنبيه هذه الأمة وإنقاذها من الأخطاء التي وقعت فيها النصارى . حيث اختلط عليهم مقام العبودية ومقام الألوهية بسبب خوارق العادات التي حصلت لعبد اللّه ورسوله عيسى عليه السلام . فكانت خوارق العادات التي أعطاها الخالق تبارك وتعالى لعبده عيسى سبباً لفتنتهم .

---

(١) الإسراء : ١١١

ولذلك كان نبينا محمد ﷺ يحذرنا من الأخطاء التي وقعت فيها النصارى . وكان صلى الله عليه وسلم حريصاً على حماية جناب العقيدة والإيمان من الشوائب التي دخلت على النصارى .

فقال عليه الصلاة والسلام : « لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ، إنما أنا عبد الله ورسوله » .

ولما جاء إليه رجل فقال : ما شاء الله وشئتَ . قال عليه الصلاة والسلام : « أجعلتني لله نداً ؟ بل ما شاء الله وحده » .

فالواجب على المسلم أن يتبصّر في دينه وأن يأخذ عقيدته وعباداته من وحي الله الذي أنزله على نبيه صلى الله عليه وسلم في الكتاب والسُنّة .

وأن يتثبت فيما يقول ويفعل .

فاتقوا الله عباد الله . وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾(١)

* * *

(١) الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٧ - الاحتفال بالإسراء [١]

(الخطبة الأولى)

الحمد لله رب العالمين ..

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾[٢]

وأشهد أنَّ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له ، كل شيء خاضع لقدرته . وكل شيء هالك إلا وجهه ، له الحكم وإليه تُرجعون .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله . اصطفاه ربه فأواه . شرح له صدره . ورفع له ذكره ، واتخذه كليماً وخليلاً . ورفعه منزلة لم يبلغها أحد من الخلق سواه .

اللّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ، ومَن أحسن اتباعه واستقام على شريعته .

أما بعد ..

فحينما اتكلم عن الإسراء والمعراج ، لا على سبيل الاحتفال به ، ولا على أن لمناسبته وتاريخه أعمالاً مخصوصة ، وإنما على أنه حقيقة واقعية اشتملت على فوائد وتشريع وحكم وأسرار تتصل بالإيمان وعقيدة التوحيد يجب أن تكون محل اهتمام المسلم وأن يعمل بها في كل الأوقات .

---

(١) ألقيت في ١٤٠٢/٧/٢٨ هـ .

(٢) الفرقان : ١

الإسراء والمعراج ثابتان بالكتاب والسُنَّة .

فاسري بنبينا محمد ﷺ من المسجد الحرام فى مكة المكرَّمة إلى المسجد الأقصى في بيت المقدس في الشام .

ثم عرج به إلى السموات يستقبله من كل سماء مقرَّبوها ، حتى تجاوز السمواتِ السبعَ وبلغ سدرة المنتهى .

بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾(١)

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن الرسول ﷺ حدَّثهم عن ليلة اسري به . وجاء فيه : « أنه صلى الله عليه وسلم أُتِى بالبراقِ وهو دابة دون البغل وفوق الحمار ، يضع حافره عند أقصى طَرْفه . فركبه حتى أتى بيت المقدس . فصلى فيه ركعتين . وجاءه جبريل عليه السلام بإناءٍ فيه خمرٌ وإناءٍ فيه لبنٌ ، فاختار اللبن فقال جبريل : اخترتَ الفِطْرة .

ثم عرج به إلى السموات . فكلما مرَّ بسماء رحب به مقرَّبوها ورأى الأنبياء في السموات .

ورأى عن يمين آدم أسْوِدَةً ، وعن شماله أسودَة . فإذا نظر إلى يمينه ضحك وإذا نظر إلى شماله بكى ، فقال جبريل : هذا آدم وهؤلاء نَسَمُ ذريته . فأهل الجنة على يمينه وأهل النار على شماله .

ورأى البيت المعمور يدخله كلَّ يوم سبعون ألف مَلَك لا يعودون إليه .

ثم رُفع إلى سدرة المنتهى ورأى ما يغشاها ، ورفع منزلة حتى سمع صريف الأقلام تكتب بأمر الله ما شاء من الأقدار .

---

(١) الإسراء : ١

وفُرِضت عليه الصلواتُ : خمسين صلاةً في كل يوم وليلة ، وَحْياً من اللّه دون واسطة المَلَك . فما زال يراجع ربه ويسأله التخفيف حتى جُعِلت خمس صلوات وهى تعْدل خمسين صلاة في الأجْر والثواب . وأُعطى معها خواتيم سورة البقرة : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾[1] .... إلى آخر السورة .

وغُفر لمن لا يُشرك باللّه من أمته شيئاً . ثم أُدخل الجنة ورأى فيها كُثْبانَ اللؤلؤ والمسك .

ثم عاد إلى الأرض . وصلّى بالأنبياء في المسجد الأقصى .

لقد رأى من آيات ربه الكبرى . ورأى من عظيم قدرة اللّه وأسرار خلق اللّه .

شُقَّ صدره وبطنه قبل الإسراء ومُلِئ إيماناً وحكمه لتثبيت روعه صلى اللّه عليه وسلم ليتحمل ما يرى من أسرار هذا الكون .. عمليةٌ جراحية فى لحظة ، ثم عاد كل شيء على ما كان عليه ، إنها آية كبرى .

وتلك الرحلة الطويلة والمسافات البعيدة ذهاباً وإياباً وما صاحبها من كلام وسلام ومناجاة وتشريع ومراجعة لطلب التخفيف .

تلك الرحلة التي ربطت بين علم اليقين وعَيْن اليقين لنبينا محمد ﷺ ، وربطت بين أول النبوات وآخرها ، وربطت بين حَمَلة الرسالات وخاتمهم - عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم .

ربطت بين الإيمان والتوحيد من أول وجود بني آدم على الأرض إلى أن تقوم الساعة .

كل ذلك في جزء من ليلة . فسبحان ذي القوة المتين ، فكل شيء خاضع لأمره وداخل تحت قهره ، يصطفى مَن يشاء من خلْقه ، ويعطي الحكمة مَن يشاء من عباده . فالذي عنده علم من الكتاب أحضر عرش بلقيس من اليمن إلى سليمان في الشام في طرفة عَيْن .

---

(١) البقرة : ٢٨٦

وعصا موسى غُصن يابس من شجرة . ينقلب بأمر اللّه حيةً تسعى ، تلقف ما يأفك سحرة فرعون وتبطل كيدهم . ثم تعود إلى سيرتها الأولى .

الإسراء والمعراج حركة تشريعية . وتعريف لنبينا محمد ﷺ وأمته بالفوارق بين الدنيا والآخرة . وبين قدرة اللّه وقدرة خلقه . وبين مُلك اللّه ومُلك عباده . لتثبت قلب محمد ﷺ في تبليغ رسالة ربه . وحمل راية الجهاد لِيُعبد اللّهُ وحده . وتعليمٌ لأمته لتسير على منهاجه وطريقته .

إنَّ للإسراء والمعراج آفاقاً بعيدة أبعد مما يظنه بعض العوام وأشباه العوام .

فاتقوا اللّه عباد اللّه . وتعرَّفوا على مقاصد التشريع وحكمه ، ولا تتبعوا سُنَن الأمم التي كانت قبلكم ، وتوبوا إلى اللّه جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون .

اللّهم بارك لنا في القرآن العظيم .....

* *

٧ - تاريخ الإسراء غير ثابت

(الخطبة الثانية)

الحمد للّه ، نحمده ونستعينه ، ونستغفره ونتوب إليه . ونعوذ باللّه من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا .

مَن يهده اللّه فلا مضلّ له ، ومَن يضلل فلا هادى له .

وأشهد أنْ لا إلَه إلاّ اللّه وحده لا شريك له .

وأشهد أنّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللّهم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فإنّ الشريعة الإسلامية لا تُعَلّق شيئاً من الأحكام والتشريع على تاريخ الوقائع والأحداث . ولذلك لم نرَ فى القرآن ولا فى السُنّة المطهره تحديداً لتاريخ واقعة مثل الإسراء أو البعثة أو المولد ، ولم يخصها بأحكام ولا عبادات .

ولم يرد عن النبي ﷺ ولا عن خلفائه الراشدين . ولا عن الأئمة الأربعة ولا غيرهم من أئمة الهدى العارفين بكتاب اللّه وسُنّة رسوله ﷺ .

والعبادات مبناها على التوقيف والتشريع من اللّه على لسان رسوله ﷺ :

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾(١)

---

(١) النجم : ٣ - ٤

إنَّ الاحتفال بالإسراء والمعراج لم يرد عن النبي ﷺ ولا عن الخلفاء الراشدين ولا عن أئمة الدين . فاتقوا الله أيها المسلمون .

وصلُّوا على البشير النذير ، فقد أمرنا ربنا بذلك في كتابه المنير فقال جلّ وعلا : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾[1]

* * *

(١) الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٨ - الحكمة في الإسراء والمعراج [١]

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴾ [٢]

وأشهد أنْ لا إلَه إلاَّ اللّه وحده لا شريك له ، قائماً بالقسط .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، خصَّه بخصائص ، وفضَّله بكرامات ، فقرَّبه وأدناه ورفعه فوق السموات .

صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم وأصحابه الذين اختارهم لصحبة رسوله ، وطهّرهم لتلقي رسالته ، وتبليغ دعوته ، ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فيقول الخالق تبارك وتعالى في محكم التنزيل : بسم اللّه الرحمن الرحيم :

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [٣]

الإسراء والمعراج حق ، ثابتان بالكتاب والسُنَّة .

فلقد أسرى بنبينا محمد ﷺ من المسجد الحرام في مكة المكرَّمة . إلى البيت المقدس . ثم عُرِج به إلى السموات العلى يستقبله من كل سماء مقرَّبوها ، حتى بلغ سدرة المنتهى . فأوحى اللّه إلى عبده ما أوحى . وفرض عليه الصلوات

---

(١) ألقيت في ١٤٠١/٨/٢٣ هـ .

(٢) الكهف : ١

(٣) الإسراء : ١

المكتوبة فكانت أول ما فُرِضت خمسين صلاةً . فما زال صلى الله عليه وسلم يراجع ربه ويسأله التخفيف لأمته ، حتى جُعلت خمس صلوات ، في كل يوم وليلة ، وثوابُها يعدل [١] خمسين صلاة .

﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [٢]

والإسراء آية من آيات الله . دالة على قدرة الله الخالق تبارك وتعالى ، وكمال قهره لهذا الكون فهو نظّمه وسيّره ﴿ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ ﴾ [٣] وهو سبحانه يغيِّر ما شاء كيف يشاء . ويخرق العادات على ما شاء متى شاء لمن يشاء ، يفتح قلوب المصطفين من عباده على آفاق عجيبة في هذا الوجود .

ويكشف عن بعض الطاقات المخبوءة عن أنظار البَشر وقدرتهم ، في أسرار هذا الكون ، لمن يشاء من عباده المصطفَيْن ، والإسراء مع أنه معجزة عظيمة وخارق عاده . تخرج عن إدراك البَشر . لأنه عليه الصلاة والسلام أُسْرِيَ به وعُرِجَ به ، ورأى ما رأى ، وأوحِي إليه ما أوحى وصلّى بالأنبياء ، ورجع إلى فراشه في جزء من ليلة [٤] . وروي أن فراشه لم يبرد [٥] ، فسبحان ذي القوة المتين .

ومع هذا فلم يكن المقصود منه إقامة الحُجَّة على منكري رسالة نبينا محمد

---

(١) إشارة إلى حديث أنس رضي الله عنه أخرجه الشيخان في صحيحيهما وعزاه السيوطي في الدر : ١٨٤/٥ إليهما وإلى ابن جرير وابن مردويه وهذا لفظه .

(٢) التوبة : ١٢٨

(٣) طه : ٥٠

(٤) هذا جزء من حديث أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى وابن عساكر عن ابن عمر وأم سلمة وعائشة وأم هانيء وابن عباس رضي الله عنهم وإسناده صحيح . انظر الدر المنثور : ٢٠٩/٥ - ٢١٠

(٥) لم أقف عليه من شدة البحث والله أعلم بصحته .

صلى الله عليه وسلم ، فكان الإسراء والمعراج ليلاً على غفلة من الناس ، ولم يطلع عليه أحد من أهل مكة ، وإنما كان المقصود منه ما ذكره الله تعالى في الآية الكريمة : ﴿ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ﴾(١) . وفعلاً قد رأى من آيات ربه الكبرى .

وكذلك خوارق العادات التي أعطيت لخاتم الرسالات صلى الله عليه وسلم . مثل تسبيح الحصى في كفه (٢) . ونبع الماء من بين أصبعيه الشريفتين (٣) ، وحنين الجذع (٤) ، وسلام الحَجَر عليه (٥) وكلام الحيوان معه (٦) ، ونزول البركة في الطعام والماء الذي دعا فيه (٧) ، وإجابة دعوته على الفور فَيَبْرأ المريضُ ويُشفى العليل (٨) وما أشبه ذلك . ليست لإقامة الحُجَّة على المعاندين وإنما هى

---

(١) جزء من آية الإسراء : ١

(٢) إشارة إلى حديث أبي ذر رضي الله عنه بسياق طويل أخرجه البيهقي في الدلائل وعزاه الإمام ابن كثير في شمائل الرسول ودلائل نبوته وفضائله ص ٢٥٢ - ٢٥٤ بطرق عديدة وبمجموعها يكون قد حسن هذا المتن والذي عقد عليه الإمام ابن كثير عنوانه : قائلاً : باب « تسبيح الحصى في كفه عليه الصلاة والسلام » .

(٣) مسلم : الفضائل حديث رقم (٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه والبخاري برقم (٣٥٧٢) .

(٤) إشارة إلى حديث ابن عمر رضي الله عنه : البخاري برقم (٣٥) - الفتح : ٦٠١/٦ ، وأحمد في المسند : ١٤٩/١

(٥) إشارة إلى حديث مسلم في الصحيح : الفضائل برقم (٢ خاص) ، و (عام ٢٢٧٧) : ١٧٨٢/٤ من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه .

(٦) إشارة إلى حديث أنس بن مالك : أحمد في المسند : ١٥٨/٣ - ١٥٩ ، وإسناده جيد بسياق طويل .

(٧) إشارة إلى أحاديث كثيرة أخرجها البخاري في الصحيح : المناقب باب (٢٥) حديث رقم (٣٥٧١) : ٥٨٠/٦ وهو من حديث عمران بن الحصين رضي الله عنهما .

(٨) إشارة إلى أحاديث كثيرة جداً وعقد لها الإمام ابن كثير (الشمائل ص ٣٠٢ - ٣٢٣) عنواناً مستقلاً بهذا المعنى وبعضها في الصحيح وبعضها في السنن والمسانيد وقد بلغت حد التواتر .

لتكريم سيد الأوّلين والآخرين صلى الله عليه وسلم وتطمين قلبه ، وشد أزره في تبليغ رسالته ، والدعوة إلى ربه ، وبيان منزلته عند خالقه تبارك وتعالى ، فلم تكن معجزاته صلى الله عليه وسلم بالآيات الكونية الظاهرة . ولا بخوارق العادات ، كما حصلت للأنبياء قبله ، بل كانت أقوى وأبقى وأعم ، فالآيات الكونية الظاهرة والخوارق ، تأتى للتخويف والترهيب فقط . وتنتهي بانتهائها . ومصير الأمة التي تكذّب بها الهلاك والدمار مثل قوم نوح ، وعاد وفرعون وثمود وقوم لوط ، وأصحاب الأيكة وقوم تبع [١] .

والنبي ﷺ لا يريد هلاك أمته . لا أمة الدعوة . ولا أمة الإجابة . فلما استأذنه مَلَك الجبال في أن يُطْبق الأخشبين - جبلي مكة - على المكذّبين ، قال عليه الصلاة والسلام : « لا ، لعل الله أن يخرج مَن أصلابهم مَن يعبد الله » [٢] . وإنما كانت معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم معجزة رحمة وترغيب وترهيب ، وإقناع ، تخاطب العقول بالحسنى والحكمة ليحصل التجاوب بالرغبة والرهبة ، وهي هذا القرآن العظيم ، فهي باقية ما بقيت رسالته ، ورسالته هي خاتمة الرسالات إلى يوم القيامة .

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [٣]

---

(١) إشارة إلى آيات كثيرة وردت في كتاب الله تعالى ومنها قوله تعالى في سورة (ق آية ١٤) : ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ، كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴾ .

(٢) إشارة إلى حديث أخرجه البخاري : بدء الخلق رقم (٣٢٣١) : ٦/٣١٣ - ٣١٤ من حديث عائشة رضي الله عنها ، وكذا مسلم في الجهاد حديث رقم (١١١) من هذا الوجه واللفظ بسياق طويل عنها .

(٣) الحجر : ٨٧

﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾(١)

﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ ﴾(٢)

﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾(٣)

اللّهم بارك لنا في القرآن العظيم ..... إلخ .

* *

(١) الإسراء : ٨٨

(٢) هود : ١٣

(٣) يونس : ٣٨

٨ - الإسراء حركة تشريعية

(الخطبة الثانية)

الحمد للّه الولي الحميد . وهو علي كل شيء شهيد .

وأشهد أنْ لا إلَه إلاّ اللّه وحده لا شريك له . ذو العرش المجيد ، فعّال لما يريد .

وأشهد أنّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، حَمَى حِمَى التوحيد ، صلى اللّه عليه وسلم .

اللّهم صلِّ على نبينا وعلى آله وأصحابه ، ومَن اهتدى بهَدْيه ودعا بدعوته وسلّم تسليماً كثير .

أما بعد ..

فإذا تأملنا المقاصد السامية التي تشتمل عليها قصة الإسراء والمعراج نجدها أبعد مدى وأوسع آفاقاً مما يتصوره بعض الناس ، فليست مجرد خارقة عادية ، وليست رحلة استطلاعية . وإنما لها أهداف سامية ومقاصد عالية ، لا تَرْتبط بزمان دون زمان ، ولذلك لم يثبت تاريخ الإسراء والمعراج .

وإنما الإسراء والمعراج . حركة تشريعية . ربطت بين إيمان محمد ﷺ بعلم اليقين ، وبين إيمانه بعَيْن اليقين ، ليكون ذلك أقوى له في تبليغ الرسالة ، وأصلب لعوده في تحمل المشقة التي ستلحقه . وأطمن لقلبه أمام تكذيب قومه له ، ولمعرفة هذه الدنيا وفنائها ، ومعرفة الآخرة وبقائها ، فكان صلى اللّه عليه وسلم كما أراد له ربه . رغب عن الدنيا إلى الآخرة ، فلم يشْبَع ثلاثة أيام متوالية من خبز الشعير [١] . وصبر وكافح وجاهد وبلّغ رسالة ربه وأدى أمانته .

---

(١) إشارة إلى حديث أبي هريرة رضي اللّه عنه أخرجه البخاري في الصحيح برقم (٥٤١٤) : ٥٤٩/٩ - الفتح ، وأخرجه مسلم في الصحيح في الزهد حديث رقم (٢٢) .

ونصح لأمته - صلى الله عليه وسلم - كما أن الإسراء والمعراج ربط بين عقائد التوحيد الكبرى من وقت إبراهيم عليه السلام إلى خاتمهم محمد ﷺ ، ربط بين الأماكن المقدسة لديانات التوحيد جميعاً المسجد الحرام وبيت المقدس .

وقصة الإسراء والمعراج تنبه لنبينا محمد ﷺ بأنه وارث لرسالات الأنبياء والرسل قبله من نوح عليه السلام إلى خاتمهم محمد ﷺ .

﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾(١)

وأن رسالته مهيمنة على جميع الرسالات حيث صلّى بالأنبياء في بيت المقدس

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾(٢)

فالإسراء والمعراج إذاً عقيدة وتشريع لأمة محمد ﷺ ، تربط القلوب المؤمنة بخالقها تبارك وتعالى . ثم بالملأ الأعلى بالجنة وبالملائكة وبالنبيين ، يعطي الخالق حقه ، ويعطي المخلوق حقه . ولا يعطي أحداً من الخلق شيئاً من حق الله ، ولذلك بدأ السورة بتسبيح الله . أي تنزيهه وتقديسه ، ثم ثنى بأشرف مقام يتصف به نبينا محمد . وهو العبودية لله . فقال جلّ شأنه : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ﴾(٣)

فأشرف مقام يتصف به الإنسان هو مقام العبودية لله . والجمع بين مقام التسبيح لله ، ومقام العبودية لمحمد ﷺ لحماية هذه الأمة من الأخطاء الفظيعة التي وقعت فيها النصارى . حيث اشتبه عليهم مقام الألوهية ومقام العبودية بسبب خوارق العادات التي حصلت بإذن الله لعيسى عليه السلام مثل كلامه في

---

(١) النساء : ١٦٣

(٢) المائدة : ٤٨

(٣) الإسراء : ١

المهد [١] وخلق كهيئة الطير من الطين [٢] وإبراء الأبرص والأكمه [٣] وإحياء الموتى [٤] والإخبار عن المغيَّبات في البيوت [٥] وكل ذلك بأمر الله وإذنه ، فكانت سبباً لفتنتهم . والتباس مقام الألوهية ، ومقام العبودية .

ولذلك كان نبينا محمدٌ ﷺ أحرص ما يكون في حماية العقيدة الإسلامية . من أخطاء المسيحية فقال عليه الصلاة والسلام : « لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد الله ورسوله » [٦] . وقال له رجل : ما شاء الله وشئتَ فقال : « أجعلتني لله نداً . بل ما شاء الله وحده » [٧] ، وقال عليه الصلاة والسلام : « إنه لا يُستغاث بي إنما يُستغاث بالله » [٨] . وغير ذلك من الأحاديث التي حمى بها المصطفى حمى العقيدة والتوحيد . فواجب على كل مسلم أن يقتدي به صلى الله عليه وسلم .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [٩]

* * *

---

(١) إشارة إلى آية آل عمران : ٤٦ ، والمائدة : ١١٠

(٢) إشارة إلى آية آل عمران : ٤٩ ، والمائدة : ١١٠

(٣) إشارة إلى نفس الآيتين من آل عمران : ٤٩ ، والمائدة : ١١٠

(٤) إشارة إلى نفس الآيتين من آل عمران : ٤٩ ، والمائدة ١١٠

(٥) إشارة إلى نفس الآيتين من آل عمران : ٤٩ ، والمائدة ١١٠

(٦) إشارة إلى حديث عمر رضي الله عنه ، أخرجه البخاري في الصحيح برقم (٣٤٤٥) : ٤٧٨/٦ : الفتح ، وأحمد في المسند : ٢٣/١ ، ٢٤ ، ٤٧ من هذا الوجه واللفظ .

(٧) إشارة إلى حديث ابن عباس رضي الله عنهما أخرجه أحمد في المسند : ٢١٤/١ ، ٢٤٧/١

(٨) إشارة إلى حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه أحمد في المسند : ٣١٧/٥ ، وفي إسناده عبد الله بن لهيعة ورجل مبهم يروي عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه وقد روى من طرق أخرى بمعناه بغير هذا اللفظ والإسناد ، والله أعلم .

(٩) الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٩ - نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم [١]

(الخطبة الأولى)

الحمد لله رب العالَمين ، اللّهم لا نحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيتَ على نفسك [٢] .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاّ اللّه وحده لا شريك له ، أرسل إلينا أكرم رسله وشرع لنا أفضل شرائعه ، وهدانا لمعالم دينه الذي ارتضاه لنفسه .

وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله . اصطفاه لتبليغ رسالته وهيأه لحمل أمانته : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[٣]

اللّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله الذين اختارهم لصحبته ، وأكرمهم لمؤازرته ، وأهّلهم لحمل سُنّته ، ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فإن اللّه تعالى لما أراد أن يجعل رسالة محمد ﷺ خاتمةَ الرسالات ومهيمنةَ عليها جعلها شاملةً كاملةً عامةً . وافيةً بكل متطلبات البَشر . ضافية على كل حاجاتهم واختار لها رسولاً من البَشر خياراً من خيار من خيار . اصطفاه من

---

(١) ألقيت في ١٤٠٧/٧/٢٠ هـ .

(٢) إشارة إلى دعاء النبي ﷺ : أخرجه أحمد في المسند : ٩٦/١ من حديث عليّ رضي الله عنه ومن حديث عائشة رضي الله عنها : ٥٨/٦ وإسنادهما صحيح .

(٣) القلم : ٤

بَني هاشم ، واصطفى بني هاشم من قريش ، واصطفى قريشاً من كنانة ، واصطفى كنانة من ولد إسماعيل عليه السلام [١] ، فأبوه الذبيح إسماعيل فُدي بذبح عظيم [٢] ، وأبوه الذبيح الثاني عبد اللّه فُدِي بمائة بعير [٣] .

تابَعَتْه عناية اللّه وهو في أصلاب آبائه ، وكان نوراً في جبين أبيه عبد اللّه حتى وضعه في قرار طاهر مكين ، سَقَطَتْ لِولاَدَته شُرُفاتُ قَصْر فارس ، وحُجِبت السماء بالشهب ، مات أبوه وهو حمل . وماتت أمه وهو رضيع ، وتولى اللّه تربيته فكان مباركاً أينما حل . نشطت العجاف بعد ضعفها ، وسمنت بعد هزالها ، وربحت التجارة بعد كسادها . شرح اللّه صدره حِسّاً ومعنى . فغسلت الملائكة قلبه من ماء حوضه ، وحماه اللّه وطهّره من عادات قَومه . ألهمه التفكر في ملكوت السموات والأرض . وهيّأه ليَتَلَقّى قولاً ثقيلاً . وليتحمل عبئاً كبيراً ، وليواجه قوماً عنيداً . فأعطاه عقلاً متكاملاً وصدراً رحباً . جعله أميناً قوياً ، رحيماً وَقُوراً ، أوّاهاً حليماً ، مشفقاً كريماً .

فكان قبل البعثة صورةً واضحةً للإيمان . وبعد الرسالة خُلُقه القرآن [٤] ، نُبِّيء بـ « اقْرَأْ » . وأرسل بـ « المدثر » و بـ « المزمل » صار عبداً شكوراً ، عَرَض عليه قومه المُلْك والمال وأجمل النساء على أن يتخلى عن دعوته ، فقال :

---

(١) إشارة إلى حديث واثلة بن الأسقع رضي اللّه عنه : مسلم في الصحيح الفضائل برقم (خاص ١) ، و (عام ٢٢٧٦) : ١٧٨٢/١ باب « فضل نسب النبي ﷺ » ، وأحمد في المسند : ١٠٧/٤ من هذا الوجه واللفظ .

(٢) إشارة إلى ما ذكره اللّه تعالى في سورة الصافات : ١٠٧

(٣) إشارة إلى ما ذكره الإمام ابن كثير في البداية والنهاية من مصادر موثوقة : ٢٤٨/٢ - ٢٤٩ ، ومنها رواية ابن جرير الطبري بإسناده الصحيح وأن هناك لفظاً بمعناه أخرجه الحاكم في المستدرك : ٥٥٩/٢ ، وإسناده فيه ضعف .. ولفظه : « أنا ابن الذبيحين » .

(٤) إشارة إلى حديث عائشة رضي اللّه عنها أخرجه مسلم حديث (خاص ١٣٩) و (عام ٧٤٦) : ٥١٢/١ ، وأحمد في المسند : ٥٤/١٦

« واللّه لو وُضِعت الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أدع هذا الأمر ما تركته حتى يظهره اللّه أو هلك دونه » [١] .

ناصَبَتْه عشيرتُه العداء وهم يعلمون أنه على حق . وحاكُوا له الشباك وتمالؤوا على مقاطعته وحصروه في الشعْب ، فأكلت دابةُ الأرض صحيفة عهدهم [٢] ، وسلّط عليه أعداؤه سفهاءهم فأدْموا عَقبيه بالحجارة . واستأذنه مَلَك الجبال في إهلاك المشركين فقال : « لعل اللّه أن يُخرج من أصلابهم مَن يعبد اللّه » [٣] فاتفقوا على قتله فأنجاه اللّه . ولحقوا به فأعماهم اللّه : ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾[٤] ، أرادت يهود قتله فأنبأه اللّه ، ودسّت له عجوز يهود سماً في اللحم فأخبره العضو بأنه مسموم [٥] ، تخللت خلةُ اللّه في قلبه واختلط نور الإيمان بلحمه ودمه ، فعرفه الشجر والحجر والإنسان الواعي ، وهابة إبليس ومردة الجان ، سلّم عليه الحجر [٦] ، وحنّ له الجذع [٧] ، وشكى إليه البعير [٨] ، وماد به أحُد [٩] ، ونَبَع الماء من بين أصبعيه [١٠] .. دعوته

---

(١) أورده ابن كثير في البداية والنهاية : ٣ / ٤٨ نقلاً عن ابن إسحاق أو قال : وحدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس أنه حُدِّث أن قريشاً ... ثم ذكره .

قلت : هذه الرواية التاريخية جاءت من طرق عديدة وليس لها رد واللّه أعلم بصحتها .

(٢) ذكره ابن كثير في البداية والنهاية : ٨٤/٣ نقلاً عن موسى بن عقبة رحمه اللّه .

(٣) إشارة إلى حديث عائشة ، البخاري برقم (٣٢٣١) : ٣١٣/٦ : الفتح .

(٤) التوبة : ٤٠

(٥) إشارة إلى حديث أنس بن مالك رضي اللّه عنه : البخاري برقم (٢٦١٧) : ٢٣٠/٥

(٦) إشارة إلى حديث مسلم - الفضائل ، برقم (٢) ، وعام (٢٢٧٧) : ١٧٨٢/٤ من حديث جابر ابن سمرة رضي اللّه عنه .

(٧) حديث البخاري برقم (٣٥٨٣) ، الفتح : ٦٠١/٦

(٨) أحمد في المسند : ٧٦/٦ من حديث عائشة رضي اللّه عنها وإسناده فيه ضعف .

(٩) البخاري : فضائل الصحابة حديث (٣٦٧٥) من حديث أنس بن مالك رضي اللّه عنه .

(١٠) البخاري برقم (٣٥٧٢) من حديث أنس رضي اللّه عنه : ٥٨٠/٦ : الفتح .

مستجابه دعا في قَدَح لبن فسقى أهل الصُفَّة [١] ، وبارك على صاع جابر [٢] وعناقة فأشبع ألفاً [٣] ، خيّره ربه بين المُلك فاختار أن يكون عبداً رسولاً ، واختار الآخرة على الدنيا . فلم يَشْبع ثلاث ليال متتاليات من خبز الشعير [٤] ويَمضي الشهر والشهران ما أُوقد في أبياته نار [٥] .

كل حياته دروس وتعليم ، وكلها جهاد وتنظيم ، أمرنا الله تعالى بطاعته والتأسي بأخلاقه وسيرته في جميع الأمور وفي كل الأحوال ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾[٦] ، مَن تأمل هذه الآية وجدها داخلةً في الآيات التي تتحدث عن قصة الأحزاب ، وهي قصة تَهزُّ المشاعر وتُحرك الهمم وتربط القلب والبدن بالله . وتتخلّى عن كل مَنْ سوى الله ﴿ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ﴾ [٧]

﴿ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ﴾[٨]

﴿ لِّيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾[٩]

يصور الخالق تعالى في كلامه قصة الأحزاب وهو المطلّع على السرائر

---

(١) البخاري برقم (٣٥٨١) ، الفتح : ٥٨٦/٦ من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنه .

(٢) البخاري برقم (٣٥٨٠) : ٥٨٧/٦ من حديث جابر الأنصاري رضي الله عنه .

(٣) البخاري برقم (٣٥٧٨) : ٥٨٦/٦من حديث أنس رضي الله عنه .

(٤) البخاري برقم (٥٤١٤) ، الفتح : ٥٤٩/٩ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٥) البخاري برقم (٢٥٦٧) ، الهبة : ١٧٩/٥ ، الفتح : من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٦) الأحزاب : ٢١

(٧) الأنفال : ٣٧

(٨) آل عمران : ١٥٤

(٩) الأحزاب : ٢٤

والضمائر . وعلى الصور والأحداث . وهُو المقدِّر وهو المسيطر وهو المدبر وهو المنفذ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۝٩ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ۝١٠ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالًا شَدِيدًا ۝١١ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ۝١٢﴾[1]

(أكملوا قراءة الآيات حتى الآية السابعة والعشرين . واقرأوا القصة في سيرة ابن هشام المجلد الثالث ، وفي فتح الباري المجلد السابع ، وفي القرطبي المجلد السابع)[2] ليعلم المسلم كيف يواجه النبي ﷺ الأحداث والبلاء ووطأة الشقة بالصبر والقبول والرضا . يتلقاها لأنها تربية لأمته وصياغةٌ للشخصية المسلمة للفصل بين الجوهر الأصيل والزَبَد الزائف ولتكشف عن حقائق النفس ومعادنها لتكونَ صافية خالصة للّه . سامعة منقادة لأوامر اللّه صالحة لمناجاة اللّه . مستحقة عناية اللّه ورحمته وثوابه . والقرآن ينزل وقت البلاء أو بعد انقضائه يصوِّر الأحداث . فيكشف الموقف والمشاعر والنوايا والضمائر ، ثم يخاطب القلوب بعد تمحيصها وتطهيرها . وليعلم المسلم تلك الفترة العجيبة التي قضاها المسلمون في حياة الرسول ﷺ فترة اتصال السماء بالأرض ، حينما كان كل مسلم وكل فرد وكل بيت يشعر أن اللّه مطلع عليه ، يراه ويسمعه ، يعلم سرائر نفسه ، ومكنونات ضميره ؛ وأنَّ كل كلمة منه وكل حركة وكل خاطرة وكل نيّة قد يصبح مكشوفاً للناس إذا نزل في شأنه وحي على رسول اللّه ﷺ .

---

(١) الأحزاب : ٩ - ١٢

(٢) فتح الباري على البخاري : ٣٩٢/٧ - ٤٠٧ فقد جمع الروايات الكثيرة التي تتعلق بغزوة الأحزاب في الحكم على أسانيدها ، وقد نقل شيئاً كثيراً من أهل المغازي والسير فللّه دره رحمه اللّه تعالى .

وكان يوم الخندق - وهو يوم الأحزاب - في زمن قلّت فيه المؤنة على المسلمين . وأشتد الجوع ، وفي زمن شديد البرد .

تمالأت يهود مع قريش وغطفان على حرب النبي ﷺ واستئصاله .. ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾(١) ، فحفر عليه الصلاة والسلام الخندق وعمل فيه بنفسه ، يضرب بالفأس والمسحاة ، وينقل التراب مع أصحابه كواحد منهم . وظهرت لهم كدية صلبة فضربها صلى الله عليه وسلم بالمعول قائلاً : « باسم الله » فبرقت وانكسر ثلثها فكبَّر وكبَّر المسلمون وقال : « أعطيتُ مفاتيح الشام » . وضرب الثانية كذلك وقال : « أعطيتُ مفاتيح فارس » . وضربها الثالثة فزالت وقال : « أعطيتُ مفاتيح اليمن » ، فلما حصل للمؤمنين ما ذكره الله في الآيات أرسل على الأحزاب ملائكة وريحاً نكفأت قدورهم وطارت بمتاعهم وقلعت خيامهم وزلزلتهم وأرعبتهم وخوّفتهم ، فلم يقر لهم قرار ولم يهدأ لهم بال ففروا هاربين .. ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾﴾(٢)

وكان كما أخبر صلى الله عليه وسلم : فُتحت الشام وفارس واليمن ، وامتدت الفتوحات إلى ما وراء ذلك حينما كانوا سائرين على نهج رسول الله ﷺ معتمدين على الله وحده صافيةً قلوبهم طاهرةً عقائدهم .

حينما كانوا متآخين في الله معتصمين بحبل الله معتمدين على الله ، أما بعد أن ظهرت فيهم البِدع والخرافات وأدخلوا في دين الله ما لم يأذن به الله . وعبدوا القبور من دون الله ، وهجروا كلام الله وجَهلوا سُنّة رسوله ﷺ تسلط عليهم أعداؤهم فصاوا إلى الواقع الأليم ، خلافٌ وشقاق . وتنافر وتناحر ، تلعب بهم الأعداء ، ويوجهونهم كيف شاءوا .

---

(١) التوبة : ٣٢

(٢) الأحزاب : ٢٥

ولا نجاة لهم . إلا بإخلاص التوحيد للّه ، والبُعد عن كل بدعة وضلالة ، والاعتصام بحبل اللّه . وتحكيم شرع اللّه ، وتعليق القلوب باللّه والعمل من أجل اللّه .

اتقوا اللّه أيها المسلمون ، استغفروا ربكم وتوبوا إليه ، إنه هو الغفور الرحيم .....

* *

٩ - نداء الرسول عليه السلام للشباب

(الخطبة الثانية)

الحمد لله الذي هدانا للإسلام .. ﴿ وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾[١]

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، وخيرته من خَلْقه .

صلى اللّه عليه وعلى آله وصحبه ومَن تبعهم ، وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد ..

فيا أيها المسلمون .. أوصيكم وإياي بتقوى اللّه تعالى في السر والعلانية : « اتقوا اللّه حيثما كنتم وأتبعوا الحسنة السيئة تمحها »[٢] .

أيها الشباب .. هذا نبينا محمد ﷺ يناديكم يوجه لكم نداءً خاصاً فاسمعوه : « يا معشر الشباب ، مَن استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفَرْج .. فمَن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء »[٣] .

هذه وصية نبي الرحمة . وصية رسول الإصلاح صلى اللّه عليه وسلم اقبلوها واتبعوها ، فمَن قدر منكم على الزواج فليتزوج فور إحساسه بالرغبة الزوجية فإن السعادة والسكينة الروحية والاطمئنان النفسي في الحياة الزوجية :

---

(١) الأعراف : ٤٣

(٢) إشارة إلى حديث أبي ذر رضي اللّه عنه ، أخرجه أحمد في المسند : ١٥٣/٥ ، والترمذي في الجامع البرهان وإسناده صحيح .

(٣) إشارة إلى حديث أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما ، وأحمد في المسند : ٣٧٨/١ كلهم من حديث عبد اللّه بن مسعود رضي اللّه عنه .

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾(١)

ويا معشر الآباء والأولياء .. يسِّروا وأعينوا وتسامحوا ولا تُثقلوا الكواهل بكثرة الطلبات . والإسراف في الحفلات ، في المظاهر ومراسم الزواج ، فإنَّ ذلك زَبَد يذهب جُفَاءً وفخراً - وخيلاء ومجارات ومباهات ، فعليكم بما ينفع الناس ويبقى لإسعاد الحياة الزوجية : « فإن خير الزوجات أيسرهن مؤنة » (٢) .

وصلُّوا على الرسول الكريم فقد أمرنا الله بذلك في كتابه المبين فقال تعالى :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾(٣)

اللّهم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك نبينا محمد الذي بعثته رحمة للعالمين فبلّغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح للأمة .

اللّهم ارض عن الخلفاء الراشدين : أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ . وعن بقية الصحابة والتابعين وأهل البيت الطيبين الطاهرين . وارض عنا معهم بمنك يا أرحم الراحمين .

اللّهم أعز الإسلام والمسلمين ، وأذلّ الشرك والمشركين ، ودمر أعداء الدين ، واحم حَوْزة الإسلام ، يارب العالمين .

اللّهم انصر جيوش المسلمين ، وأيدهم بالتوفيق والهداية والتمكين ، اللّهم اهزم اليهود وأعوانهم وأنزل الرعب في قلوبهم .

---

(١) الروم : ٢١

(٢) إشارة إلى حديث عائشة رضي الله عنها ، أخرجه أحمد في المسند : ٦ / ٨٢ ، وإسناده صحيح .

(٣) الأحزاب : ٥٦

اللّهم آمنا في أوطاننا ، وانصر واحفظ إمامنا وأيده برعايتك وعنايتك وتوفيقك ، وكلل مساعيه بالتوفيق والنجاح .

اللّهم اغفر لجميع المسلمين الأحياء والميتين . اللّهم فَرِّج هم المهمومين ، ونَفِّس كرب المكروبين ، واقض الدَيْن عن المدينين ، واشف مرضى المسلمين .

فاذكروا اللّه العظيم يذكركم ، واشكروه على نعمه يزدكم .. ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾[1]

* * *

(١) العنكبوت : ٤٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٠ - التفكر في ملكوت السموات والأرض [١]

(الخطبة الأولى)

الحمد لله الواحد القهار .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له ، ألا هو العزيز الغفار .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، المصطفى المختار صلى اللّه وسلم عليه ، وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فإذا سمع الناس بمتحف تُعرض فيه أنواع من الصناعات وبقايا من الآثار ، سارعوا إليه للاستطلاع والتجارة ، فإذا رأوا صنعاً متيناً قوياً ، أو جميلاً لطيفاً أنيقاً ، أو أثراً قديماً ، أخذهم الإعجاب والدهشة ، فيأخذون في الثناء على صانعها ، ويتعجبون من قدرته ، ومهارته ، فيأتون لرؤيته .

وإنني أذكركم بأعظم متحف وأكبر معرض ، فيه أنواع الصناعات ، وأشكال الموجودات ، فيه كل ما يحتاجه الإنسان ، لحياته ، وسعادته ، فيه من المشاهد ما يذهل العقول ، ويبهر النفوس ، ويسر الناظرين ، ويعجب المشتاقين ، فمَن الذي يحب أن يراه ؟ إن أبوابه مفتوحة ، ومالكه يدعو الناس إليه ، لا نحتاج إلى بطاقات ، ولا استئذان ، فيه أشياء تُعرض في النهار ، وأشياء تُعرض في الليل ، وأشياء تُعرض في الليل والنهار .

فهل اشتاق أحد لرؤيته ؟ فهلم نقف عند الأبواب ، لننظر نظرة مجملة ،

---

(١) ألقيت في ١٣/٤/١٤٠٠ هـ .

ثم على كل فرد أن يدخله بنفسه ويتجول في أرجائه فسيجد ما يعجبه ، لكن بشرط أن يكون مستيقظاً ، وأن يكون متبصراً ، وأن يكون مدركاً وفاهماً ، فإن النائمَ لا ينتفع ، والأصمَ لا يسمع ، والغافل لا يفهم ، والمعتوه لا يعقل .

﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾(١) ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾(٢)

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾(٣) ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾(٤)

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ ﴾(٥) ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ ﴾(٦)

---

(١) يونس : ١٠١

(٢) الحج : ٤٦

(٣) السجدة : ٢٧

(٤) البقرة : ١٦٤

(٥) الملك : ١٩

(٦) الغاشية : ١٧ - ٢٠

﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾(١) ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾(٢)

﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾(٣)

كل آية في القرآن ، كل سورة في القرآن ، جميع القرآن يحث على النظر في موجودات هذا الكون ، يفتح الأبواب للداخلين وينير الطريق للسائرين ، ويبرز الأشياء للاعتبار يلفت الأنظار ، ويفتح القلوب ، ويربي المدارك ، ويشحذ الأذهان ، لمعرفة أسرار هذا الكون ، وأهدافه .

إن هذه الأرض التى نعيش فيها معرض هائل لآيات الله وعجائب صُنعه ، وهادٌ وبطاحٌ ، جبالٌ ووديانٌ ، بحار وأنهار وبحيرات ، وخزائن ومعادن ، موادٌ معمِّرة وموادٌ مدمرة ، موادٌ نافعة ومواد ضارة .

---

(١) النحل : ٤

(٢) النحل : ١٠ - ١٨

(٣) المرسلات : ٢١

لم يقف العالَم حتى الآن إلا على القليل من بدائع الصنع وأسرار الخلق ، ومكونات الإبداع ، وما خفي أكثر وأكثر .

كل مشهد من مشاهد الأرض ، وكل مادة من المواد خاضعة لقدرة الخالق المدبر ، نَمُرُّ بِقِطع من الأرض وهو ممحل ميت مغبر ، فيسوق الخالق إليه رحمته ، وينزل عليه من رزقه فتدب إليه الحياة فإذا هو معشب مخضر .

ونمر بروضة من الرياض طيب ريحها ، فاقع نُوارها أو جنة قد أينعت ثمارها ، فتأتيها قدرة الله فإذا هي هشيم تذروه الرياح .

الأفلاك والكواكب ، التي نراها تسبح في الفضاء ، مَن الذي أمسكها ونظم سيرها ؟ لو اختلفت عن نظامها لتصادمت ، ولو اختل نظام الأرض لانقلبت ، ولو اختل نظام الشمس لأحرقت العالَم .

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[١] ﴿ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾[٢] ﴿ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[٣] ﴿ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[٤] ﴿ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾[٥]

فاتقوا الله عباد الله . اتقوا الله أيها الناس . انظروا في ملكوت السموات والأرض . وتأملوا ما ترون من خلق الله وعجائب قدرته . فبذلك تحيا القلوب . يجب على الإنسان أن تكون تقلباته مُتميزةً عن غيره من الحيوانات ، يجب عليه أن ينظر وأن يتدبر ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا ﴾[٦] ،

---

(١) الرعد : ٤

(٢) الأنعام : ١٢٦

(٣) يونس : ٢٤

(٤) النحل : ٧٩

(٥) يونس : ٦٧

(٦) آل عمران : ١٩١

﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ ﴾(١) ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾(٢) ﴿ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾(٣)

اللّهم انفعنا بالقرآن العظيم .

اللّهم نَوِّر قلوبنا بالإيمان . وافتح بصائرنا للتفكر في مخلوقاتك ، والاعتبار بآياتك ، وثَبِّت قلوبنا على الإيمان . وأحينا مسلمين ، وتوفنا مسلمين ، غير خزايا ولا مفتونين ، وألحقنا بالصالحين ، واغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

(١) الأنبياء : ١٦

(٢) الحجر : ٨٥

(٣) الحشر : ٢

١٠ - الخلائق التى تعمر الأرض

(الخطبة الثانية)

الحمد لله لا نحصي ثناءً عليه .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ الله وحده لا شريك له ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾(١)

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، وصَفْوَته من خلقه ، صلّى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن اتبع سبيله .

أما بعد ..

فإذا نظرنا نظرة تأمل في الخلائق التي تعْمُر الأرضَ من الكائنات الحية ، نباتات بأشكالها وألوانها وأجناسها وأنواعها ﴿ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ ﴾(٢)

وحيوانات برية وبحرية ، وبرية بحرية ، طيور وأسماك ، زواحفُ وحشراتٌ . وحشية وأنسية . كل خليقة منها أمة ، وكل فرد منها عجيب . وكل شيء منها آية . فلو مضى الإنسان ، بل لو مضى جميع الناس ، يتأملون ويتدبرون ما في الأرض من عجائب ، وإلى ما تشير إليه هذه العجائب من آيات ما انتهى لهم قول .. ولا بقى لهم قلم ، ولكن لا يدرك هذه العجائب إلا القلبُ الحي الواعي . المبصر السميع ، أما القلب الميت ، والقلب الغافل ، والقلب الأعمى . والقلب الأغلف فلا يدرك حقائق الأشياء ، ولا يفهم أسرار الموجودات ، ولا يعْقل

---

(١) الحديد : ٣

(٢) الرعد : ٤

المعاني الحقيقية ، فكثير من الناس يمر بهذه الآيات في السموات والأرض ، وعيونهم مغمضة . وقلوبهم عمياء ، وآذانهم صمّاء ، وقد يكون منهم مخترعون ، وعلماء في أمور الدنيا ، ومفكرون في متطلبات هذه الحياة ، فإنما يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا يُعرف بالتجارب والتكرار ، أما حقيقة الواقع وأسرار هذا الكون ، والهدف الذي خُلِقَ من أجله فقلوبهم محجوبة عنه ، وأبصارهم عمياء لا تراه ، وآذانهم صم لا تسمع نداء الحق ، ذلك أن المفتاح الذي يَفْتح القلوب . ويعالج الحواس . مفقود عندهم ، فالقلوب لا تفتح لحقيقة الوجود إلا بمفتاح الإيمان . والأعينُ لا تبصر إلا بنور اليقين ، والآذان لا تسمع إلا بوحي من السماء ، ﴿ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾(١)

فاتقوا الله يا بني آدم ، اتقوا الله أيها الناس ، اتقوا الله أيها المسلمون :

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾(٢)

اللّهم صلِّ وسلِّم ، وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين ، وارض اللّهم عن الخلفاء الراشدين : أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ وعن بقية أصحاب نبيك أجمعين .

اللّهم أعز الإسلام والمسلمين ، وأيدهم وانصرهم بالحق يا أرحم الراحمين .

اللّهم انصر المجاهدين في كل مكان ، وأعنهم على طاعتك وطاعة رسولك محمد صلى الله عليه وسلم .

اللّهم آمنا في أوطاننا واحفظ إمامنا واجعله من الراشدين .

اللّهم فرِّج هم المهمومين ، واقض الدَيْن عن المدينين ، واشف مرضى المسلمين يارب العالمين ﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾(٣)

* * *

---

(١) يونس : ١٠١

(٢) الأحزاب : ٥٦

(٣) العنكبوت : ٤٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١١ - في التوحيد [١]

(الخطبة الأولى)

الحمد لله رب العالمين ، لك الحمد ربنا على جزيل عطائك ، ولك الحمد على قدسية ذاتك ، وعظمة جلالك .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له ، فهو الذي خلق وفرق . وهو الذي لطف ورزق ، وهو الذي بيده النفع والضرُّ ، وهو الذي يحيي ويميت ، منه المبتدى وإليه المنتهى .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله . أرسله رحمة للعالمين ، بشيراً ونذيراً ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾[٢]

اللّهم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله ، وأصحابه ، وأتباعه على ملّته وحملة لواء دعوته ، إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فإذا تأملنا القرآن الكريم ، وجدناه يُركز على قاعدة أساسية هي الهدف لكل رسالة سماوية ، وهي الغاية من وجود الإنسان في هذه الحياة ، مَن قام بها على وجهها فقد حقق غاية وجوده ، ومَن قَصَّر فيها أو نكل عنها ، فقد أبطل غاية وجوده ، وصار عاطلاً بلا وظيفة .

إنها العُبودية الخالصة للّه ، قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾[٣]

---

(١) ألقيت في ١٤٠٩/١١/٢٨ هـ .
(٢) الأحزاب : ٤٦
(٣) الذاريات : ٥٦ - ٥٨

هذه هي وظيفة الإنسان التي من أجلها خُلق ومن أجلها وُجد في هذه الدنيا.

فيجب أن تكون حياة الإنسان وتصوُّره مَبْنيةً على هذه الوظيفة ، متجهة إليها ، فإن كل الرسالات السماوية جاءت لتحقيق هذه الوظيفة للإنسان ، فجميع الرسل عليهم السلام من أولهم نوحٍ إلى آخرهم محمدٍ ﷺ كان أساس دعوتهم تذكير أممهم بهذه الوظيفة ، وتحقيق العبودية لله .

فهذا نُوح عليه السلام : ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٢ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣ ﴾(١)

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥٩ ﴾(٢)

﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾(٣)

﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ ﴾(٤)

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ ﴾(٥)

﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝١٦ ﴾(٦)

---

(١) نوح : ٢ - ٣
(٢) الأعراف : ٥٩
(٣) الأعراف : ٦٥
(٤) الأعراف : ٧٣
(٥) الأعراف : ٨٥
(٦) العنكبوت : ١٦

﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾(١)

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾(٢)

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾(٣)

والقرآن لم يحدد نوع العبادة . ولم يَحْصرها ، فهي شاملة لكل ما يدخل تحت مسمى العبادة من الأقوال والأفعال والاعتقاد . فكلها حق لله . وحرام صرف شيء منها لغير الله ، كائناً مَن كان . حياً كان أو ميتاً ، ولا تَتَحَقَّق العبودية لله إلا بأمرين متلازمين ، الأول : الإيمان بأن هناك عبداً ورباً . وأنه ليس في الوجود إلا رب واحد ، وما سواه فعبيد له .

وأن الرب موصوف بصفات الكمال كما وصف نفسه ووصفه رسوله ﷺ ، وهذا هو توحيد المعرفة والإثبات ، وهو توحيد الربوبية والأسماء والصفات ، بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾(٤)

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾(٥)

---

(١) المائدة : ٧٢

(٢) النحل : ٣٦

(٣) الأنبياء : ٢٥

(٤) سورة الإخلاص كاملة .

(٥) الشورى : ١١

والثاني : التوجهُ إلى اللّه في كل حركة للجوارح ، وكل حركة للفؤاد ، والتجردُ من كل تصور آخر ومن كل أمرٍ يخالف مقتضى العبودية .

وهذا هو توحيد القصد والطلب ، وهو توحيد الألوهية ، بسم اللّه الرحمن الرحيم : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾ ﴾(١)

فبتحقيق توحيد الربوبية والأسماء والصفات وتوحيد الألوهية يتحقق معنى العبادة .

ومن واجبات العبادة أن تكون قيْمةُ الأعمال مستمدةً من قواعدها لا من نتائجها ، فالإنسان مكلّف بأداء العبادة وليس مكلّفاً بنتائجها ، وإنما النتائج راجعةٌ إلى قَدَر اللّه ومشيئته .

ومقتضى العبودية للّه نبذ الأنداد والأضداد ، والبراءةُ من كل عبودية لغير اللّه : ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ﴾(٢) ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴾(٣)

● والأنداد : قد لا تكون آلهة تُعبد من دون اللّه على النحو الذي كان في الجاهلية الأولى .

بل قد تكون صوراً أخرى خفية ، قد تكون في تعلق الرجاء بغير اللّه ، وقد تكون في الخوف من غائب غير اللّه أو من ميِّت تحت الثرى ، وقد تكون في

---

(١) سورة الكافرون كاملة .

(٢) البقرة : ٢٥٦

(٣) الزخرف : ٢٦ - ٢٧

اعتقاد أن أحداً من الخلق يملك التصرف في هذا الكون أو شيء منه ، وقد تكون في مضاهات اللّه في عظمته وكبريائه وربوبيته ، وقد تكون في الطاعة والانقياد ، كما قال تعالى ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾ (١) قال عدي بن حاتم رضي اللّه عنه : لسنا نعبدهم - أو قال : إنهم لم يعبدوهم - فقال رسول اللّه ﷺ : « بلى ، إنهم حرّموا عليهم الحلال وأحلّوا لهم الحرام فاتبعوهم . فصارت طاعتهم في المعصية عبادة » (٢) وبها اتخذوهم أرباباً ، فمَن أطاع مخلوقاً في معصية الخالق فقد اتخذه رباً وعبده من دون اللّه .

فاتقوا اللّه أيها المسلمون : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (٣)

هناك أنواع من العبادة تُصرف لغير اللّه في بعض البلاد الإسلامية . ولا موجِّه ولا مرشد .

من ذلك : الركوع للمخلوقين . ومعلوم أن الركوع ركن من أركان الصلاة مثل السجود ، فبعض الناس إذا قابل أحداً يحترمه أو له فضل عليه ركع له ركوعاً جُزئياً أو كلياً . كما هو المشاهَد في بعض الخدم وفي بعض الممثلين إذا خرج على الجمهور . وقد يكون القصد التحية لكنها عبادة خاصة للّه لا تُصرف لغير اللّه ولا يحيي بها . ومن ذلك الطواف . فهو عبادة للّه وقُربة يُطاف حول الكعبة المشرّفة ، ومن شعائر الإسلام فلا يجوز أن يطوف أحد بضريح أو تمثال . أو نُصُبٍ ، ومن ذلك طلب النجاح ، أو طلب الهداية للأولاد ، أو طلب الولد ، أو طلب المدد ، والغوث . أو طلب تفريج الهم والغم والكرب وغير ذلك من

---

(١) التوبة : ٣١

(٢) أورده ابن كثير في تفسيره : ٣/٣٨٥ - ٣٨٦ ، وعزاه إلى الإمام أحمد في المسند ، والترمذي ، وابن جرير الطبري في تفسيره من حديث عدي بن حاتم رضي اللّه عنه ، قلت : إسناده صحيح .

(٣) البقرة : ٢١

أنواع العبادة أو طلب الحاجات التي لا يقدر عليها إلا الله ، لا يجوز طلبها من أحد غير الله ، كائناً مَن كان لأنها دعاء والدعاء مخ العبادة [١] ، وحرام صرف العبادة لغير الله .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، تناصحوا فيما بينكم ، وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تأخذنكم المجاملات إلى عدم المبالات ، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [٢]

اللهم بارك لنا في القرآن العظيم .

اللهم أعنا على شكرك وعلى ذكرك وحسن عبادتك [٣] ، وألهمنا رشدنا وقنا شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا .

اللهم رد المسلمين إليك رداً جميلاً ، واهدهم سبل السلام ، واغفر لنا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

---

(١) أخرجه الترمذي في الجامع من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه برقم (٣٣٧١) : ٤٥٦/٥ ، وفي إسناده ضعف وله شاهد قوي جداً من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما ، أخرجه الترمذي برقم (٣٢٤٧) : ٥ / ٣٧٤ برقم (٣٣٧٢) ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ولفظه : « الدعاء هو العبادة » .

(٢) المائدة : ٧٨ - ٧٩

(٣) من دعاء النبي ﷺ ، أخرجه أحمد في المسند : ٢٩٩/٢ من حديث معاذ بن جبل وإسناده صحيح وعزاه السيوطي في الدر المنثور : ٣٦٩/١ ، أحمد ، وأبو داود ، والنسائي عن معاذ بن جبل .

١١ - ونبلوكم بالشر والخير فتنة

(الخطبة الثانية)

الحمد لله على نعمه المتوالية ، لا نحصي لها عداً .. ولا نقدُر لها قدراً .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ لله وحده لا شريك له : ﴿ أَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾ ﴾(١)، و ﴿ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ ﴾(٢)

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، اختارَه لتبليغ رسالته .. واصطفاه لعبادته .

صلَّى اللَّه وسلَّم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فإن العمل الصالح الخالص لوجه اللَّه تعالى ، هو الوسيلةُ التي يتقرب بها العبد إلى ربه .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾(٣)

وفي حديث النفر الثلاثة قُدوةٌ وعبرةٌ ، عن عبد اللَّه بن عُمَر بن الخطاب رضي اللَّه عنهما قال : سمعتُ رسول اللَّه ﷺ يقول : « انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت إلى غار فدخلوه . فانحدرت عليهم صخرة من الجبل فسدَّت عليهم الغار ، فقالوا : إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعو اللَّه تعالى بصالح أعمالكم ، قال رجل منهم : اللَّهم إنه كان لي أبوان شيخان كبيران

---

(١) الجن : ٢٨ بلفظ : ﴿ وأحْصَى .... ﴾ .

(٢) الطلاق : ١٢

(٣) المائدة : ٣٥

وكنت لا أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً فنأى بي طلبُ الشجر يوماً ، فلم أرح عليهما حتى ناما فَحَلبتُ لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين ، فكرهتُ أن أوقظهما وأن أغبق قبلهما أهلاً ، أو مالاً ؛ فلبثتُ والقدحُ على يدى أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجرُ والصبية يتضاغون عند قدميَّ فاسْتيقظا فشربا غبوقهما . اللّهم إن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك ففرِّج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة ، فانفرجت شيئاً لا يستطيعون الخروج منه .

قال الآخر : اللّهم إنه كانت لي ابنةُ عم كانت أحبَّ الناس إليَّ فأردتها عن نفسها فامتنعت مني حتى ألَمّت بها سَنة من السنين فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلى بيني وبين نفسها ، ففعلت حتى إذا قدرتُ عليها ، قالت : اتق اللّه ولا تفُضَّ الخاتم إلا بحقه ، فانصرفْتُ عنها وهي أحبُّ الناس إليَّ وتركتُ الذهبَ الذي أعطيتها ، اللّهم إن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك ، فافرج عنا ما نحن فيه ، فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها .

وقال الثالث : اللّهم إني اسْتأجرتُ أُجراء وأعطيتهم أجورهم غير رجلٍ واحدٍ ، فتركَ الذي له وذهب ، فثمَّرتُ أجرَه حتى كَثُرتْ منه الأموال . فجاءني بعد حين فقال : يا عبد اللّه ، أدِّ إليَّ أجري ، فقلت : كلُّ ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق ، فقال : يا عبد اللّه ، لا تستهزيء بي . فقلت : لا أستهزيء بك ، فأخذه كله ، فاستاقه فلم يترك منه شيئاً ، اللّهم إن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك ، فافرج عنا ما نحن فيه ، فانفرجت الصخرة ، فخرجوا يمشون » (متفق عليه) [1] .

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾[2]

* * *

(١) الشيخان في صحيحيهما : البخاري برقم (٢٢٧٢) : الإمارة باب (١٢) : ٤٤٩/٤ الفتح من حديث عبد اللّه بن عمر رضي اللّه عنهما ، ومسلم من الصحيح من كتاب الدعوات برقم (١٠١) من هذا الوجه واللفظ .

(٢) الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٢ - تحريم الرقى والتمائم [١]

(الخطبة الأولى)

الحمد لله الواحد الأحد ، الفرد الصمد ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤ ﴾[٢]

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ الله وحده لا شريك له ﴿ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ﴾[٣]

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله وخيرته من خلقه ، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد ..

فأوصيكم وإياي بتقوى الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ۝٣٣ ﴾[٤]

عباد الله .. إن الله تبارك وتعالى هو الذي خلقنا من العدم ، وربانا بجميع النِعَم . وهو الذي بيده تصريف الأمور كلها ، وبيده النفع والضر وبيده الخير كله

---

(١) ألقيت في ١٣٩٦/٧/٢٧ هـ .

(٢) الإخلاص ٣ - ٤

(٣) التغابن : ١

(٤) لقمان : ٣٣

﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ ﴾(١)

﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾(٢)

أما مَن سوى اللّه فهو مخلوق للّه واقع في ملكه وتحت قهره وتدبيره مفتقر إليه كائناً مَن كان ، وأعرف الناس بربهم هم رسله وأنبياؤه وصفوته من خَلْقه ، وأعلاهم منزلة عنده ، تبرؤوا إلى اللّه تعالى من كل مَن سواه ، وأعلنوا فقرهم وحاجتهم إليه . كما قال أبونا إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام لقومه :

﴿ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴾(٣)

وقال نبينا محمد ﷺ : ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾(٤) ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾(٥)

---

(١) يونس : ١٠٧

(٢) الأنعام : ١٧ - ١٨

(٣) الشعراء : ٧٥ - ٨٢

(٤) الأنعام : ٥٠

(٥) الأعراف : ١٨٨

فإذا كان أولو العزم من الرسل لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم من دون الله نفعاً ولا ضراً . فما بالكم بمن دونهم من الأولياء والصالحين الذين جعلت قبورهم معابد ومطافات في كثير من البلاد الإسلامية . بل ما ظنكم بمن دونهم من الأحجار والأشجار والصور والتماثيل التي يتعلق بها بعض الناس ويتبركون بها ويطلبون قضاء حوائجهم منها ، بل ما ظنكم بالتمائم والطلاسم والأسماء المجهولة التي يعلقها بعض الناس في أعناقهم إنها لا تنفع ولا تضر ولا تدفع ضراً ولا تجلب خيراً ، فأي نفع يحصل من خيط يربطه الإنسان في يده أو حلقة صُفَر يلبسها ، أو مجموعة مسامير أو لفافة من قراطيس وطلاسم . يعلقها في عنقه ، وماذا ينفع وضع صورة حيوان مفترس في سيارة أو على باب أو حائط ؟ إنها لا تدفع عَيْناً ، ولا تطرد شيطاناً ، ولا تجلب خيراً بل هي ضعيفة في ذاتها وصفاتها ، وإنما فيها تعلق القلب بغير الله والانصراف عن الله تبارك وتعالى ، ومَن تعلق بشيء وُكِلَ إليه [١] .

فأما مَن تعلق بالله وأنزل حوائجه به وفوَّض أمره إليه كفاه كل أمر يهم . ويسَّر له كل عسير ، وقرَّب له كل بعيد ، لأنه هو الخالق لكل شيء ، وهو القاهر فوق كل شيء ، وهو القادر على كل شيء .

وأما مَن تعلَّق بغير الله وسكن إليه وُكِل إلى ذُل وضعف وهوان ، ففي الحديث عن النبي ﷺ : « فمَن تعلق تميمة فلا أتم الله له ، ومَن تعلق ودعة فلا ودع الله له » [٢] ، ورأى النبى ﷺ رجلاً في يده حلقه من صُفَر فقال :

---

(١) من حديث عبد الله بن عكيم رضي الله عنه ، أخرجه الإمام أحمد في المسند : ٤/ ٣١٠ ، والترمذي في جامعه برقم (٢٠٧٢) : ٤/ ٤٠٣ الطب ثم قال : وحديث عبد الله بن عكيم إنما نعرفه من حديث محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، وعبد الله بن عكيم لم يسمع من النبي ﷺ وكان في زمن النبي ﷺ يقول : كتب إلينا رسول الله ﷺ .

قلت : إسناده حسن لغيره ، وله شاهد من حديث عقبة بن عامرأشار إليه الترمذي في الجامع ، وقد عقد عليه باباً بقوله : ما جاء في كراهية التعليق .. والله أعلم ، وأخرج الحديث النسائي في الصغرى من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بمعناه : ٧/ ١١٣ في التحريم ، باب « الحكم في السحر » .

(٢) الإمام أحمد في المسند : ٤/ ١٥٤ من حديث بقية بن عامر رضي الله عنه وإسناده جيد .

« ما هذا » ؟ قال : من الواهنة ، فقال : « انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهناً . إنك لو متَّ وهي عليك ما أفلحتَ أبداً » [١] . وأقبل على النبي ﷺ رهط فبايع تسعة وأمسك عن واحد ، فقالوا : يا رسول الله ، بايعتَ تسعة وأمسكتَ عن هذا ، فقال عليه الصلاة والسلام : « إنَّ عليه تميمة » ، فأدخل يده فقطعها فبايعه وقال : « مَن تعلق تميمة فقد أشرك » [٢] .

هذا هو شأن التمائم وخطرها على الدين والعقيدة ، فاتقوا الله أيها المسلمون ، لا ترجعوا إلى أعمال الجاهلية الأولى . طهِّروا إيمانكم وعقيدتكم من شوائب الشرك ، وانزعوا جمع التمائم أيّاً كان نوعها ، وعلِّقوا آمالكم بالله وتوكلوا عليه . واكتفوا بالأسباب المباحة كالعقاقير النافعة والأدوية المعلومة والطب الواضح المبين . مع الاعتماد على الله والالتجاء إليه وطلب الشفاء منه ، فإنَّ الأسباب قد تنفع إذا شاء الله نفعها وقد لا تنفع ، أما الأسباب المحرَّمة ، والأمور المجهولة ، والتخيلات الخفية فإنها ضرر على النفس والعقل والبدن والدين .

فمَن كان عليه تميمة أو خيط من الحمى . أو حلقة من الواهنة أو حرز عن المكروهات فلينزعها فإنها لا تزيده إلا وهناً وضعفاً ووبالاً . ومَن كانت في سيارته أو على بيته أو في متجره شيء من ذلك لدفع العين ، أو طرد الشياطين فليزلها فإنها ضرر بلا نفع ، وإنما الذي ينفع هو ذكر الله تبارك وتعالى . والاعتصام به والالتجاء إليه ، وحسن المتوكل عليه .

---

(١) الإمام أحمد في المسند : ٤/٤٤٥ من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه ، ابن ماجه في المسند برقم (٣٥٣١) : ٢/١١٦٧ - ١١٦٨ من هذا الوجه واللفظ وإسناده حسن .

(٢) الإمام أحمد في المسند : ٤ / ١٥٦ من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه ، وإسناده صحيح : من طريق دخين - بالمعجمة مصغراً - ابن عامر الحجري - بفتح المهملة وسكون الجيم - أبو ليلى المصري ، قال الحافظ في التقريب رقم الترجمة (٥٣) : ١ / ٢٣٥ ثقة من الثالثة ، مات سنة مائة .

اللّهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ، ولا يدفع السيئات إلا أنت ، ولا حول ولا قوة إلا بك .

اللّهم ألهمنا رشدنا ، وقنا شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا .

اللّهم بارك لنا في القرآن العظيم ، وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم ، أقول قولي هذا وأستغفر اللّه لي ولكم ولجميع المسلمين ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

* *

١٢ - الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم

(الخطبة الثانية)

الحمد للّه الواحد القهّار العزيز الغفار .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاّ اللّه وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، صلّى اللّه عليه وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدى بهَدْيه واستنَّ بسُنَّته .

أما بعد ..

« فإن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم » [١] فإذا وجد ناحية ضعف دخل منها على الدين والعقيدة لإفسادها ، أو الإخلال بها ، أو لتعكير صفوها . ومن ذلك قصة زينب امرأة عبد اللّه بن مسعود قالت : دخل عبد اللّه علينا يوماً فجلس بجانبي فمسني فوجد مس خيط فقال : ما هذا ؟ قلت : رقى لي فيه من الحمى . فجذبه فقطعه فرمى به ثم قال : لقد أصبح آل عبد اللّه أغنياء عن الشرك ، سمعتُ رسول اللّه ﷺ يقول : « إنَّ الرقى والتمائم والتولة شرك » فقلت : لقد كانت عيني تغزف وكنت أختلف إلى فلان اليهودي فإذا رقى سكنت ، فقال عبد اللّه : إنما ذاك من الشيطان ، كان ينخسها بيده فإذا رقى كف عنها ،

---

(١) إشارة إلى حديث أم المؤمنين صفية بنت حيي رضي اللّه عنها ، أخرجه البخاري في الصحيح في مواضع عديدة من جامعه : الأحكام ، رقم الباب (٣١) ، بدء الخلق برقم (١١) ، وأبو داود في السنن : الصوم ، وكذا ابن ماجه في السنن : الصيام ، والإمام أحمد في المسند : ٣٣٧/٦

إنما يكفيك أن تقولي كما كان رسول الله ﷺ يقول : « أذهب الباس رب الناس ، واشف أنت الشافي ، لا شفاء إلا شفاؤك ، شفاءً لا يغادر سقماً » [١] .

فإذا كانت الرقية بأسماء الله وصفاته وآيات القرآن والأدعية الواردة عن النبي ﷺ بالطريقة المشروعة فإنها مباحة مع وجود الاعتماد على الله والاعتقاد بأنها لا تنفع بذاتها وإنما هي سبب والنفع بيد الله .

أما الرقية بالأسماء المجهولة وأسماء الجن والشياطين والطلاسم والإشارات فإنها محرّمة . وقد تصل إلى حد الكفر ، أعاذنا الله من ذلك أجمعين ، فاتقوا الله وأطيعوه .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [٢]

اللّهم صلِّ وسلّم وبارك وأنعم على عبدك ورسولك نبينا محمد صاحب المقام المحمود والحوض المورود ، وارض اللّهم عن الأربعة الخلفاء الراشدين : أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ . وعن بقية الصحابة أجمعين وزوجاته أمهات المؤمنين ، وعن التابعين ومَن ينفعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وارض عنا معهم بمنك وإحسانك يا أرحم الراحمين .

اللّهم أعز الإسلام وأزل الشرك والمشركين ، ودمر أعداء الدين ، واحم حَوْزة الدين يارب العالَمين .

---

(١) إن هذا الحديث أخرجه البخاري في الصحيح - كتاب المرضى - حديث رقم (٥٦٧٥) : ١٣١/١٠ - الفتح ، من حديث عائشة رضي الله عنها ، وكذا مسلم في الصحيح ، وأما هذا السياق فقد أخرجه الإمام أحمد في المسند برقم (٣٦١٥) بسياق طويل ، وابن ماجه في السنن رقم (٣٥٣٠) ، في الطب وإسناده حسن لغيره مع الشواهد الكثيرة أخرجها الحاكم في المستدرك : ٤١٧/٤ - ٤١٨ ، ٢١٦/٤ - ٢١٧ ، وذلك من حديث زينب امرأة ابن مسعود رضي الله عنها .

(٢) الأحزاب : ٥٦

اللّهم آمنا في أوطاننا ، واحفظ أئمتنا وولاة أمورنا ، ووفقهم لما تحب وترضى ، ولما فيه صلاح البلاد والعباد .

اللّهم اغفر لجميع المسلمين ، الأحياء والميتين ، ونوِّر قبور المسلمين ، واقض الدَيْن عن المدينين . واشف مرضى المسلمين ..

عباد الله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾(١)

فاذكروا الله العظيم يذكركم ، واشكروه على نعمه يزدكم ، ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾(١)

* * *

(١) النحل : ٩٠

(٢) العنكبوت : ٤٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٣ - الاعتراف بالفضل للمتفضل

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ ﴾[١]

خلق الإنسان في أحسن تقويم [٢] ، وفضّله بالعقل والفهم الإدراك .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، صلّى اللّه عليه وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدى بهَدْيه واستنَّ بسُنَّته .

أما بعد ..

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١ ﴾[٣]

أيها المسلمون .. إنَّ من محاسن دين الإسلام وفضائله العظيمة ومقاصده العالية : الاعتراف بالفضل للمتفضل ، وبالجميل لفاعله . والحثُ على مجازاة الإحسان بالإحسان ، ومقابلة المعروف بالمعروف . كما يقتضي ذلك العقل القويم . والفِطرة السليمة . والشِيَم الكريمة [٤] .

---

(١) الفاتحة : ٢ - ٣

(٢) إشارة إلى معنى الآية الرابعة من سورة التين .

(٣) النساء : ١

(٤) إشارة إلى عدة نصوص من كتاب اللّه تعالى وسُنّة رسوله الكريم ﷺ منها قوله تعالى فى =

وإن أعظمَ متفضل على الإنسان . وأكبرَ منعم على الأنام ، هو ربنا جلّ جلاله وتقدّست أسماؤه .

فهو الذي أوجدنا من العدم . وصوّرنا في أحسن تصوير . وركّبنا على أتقن وأجمل تركيب . وربانا بجميع النعَم ، ويسّرَ لنا طريق الحياة ، وبيّن لنا سبل النجاة . وفضّلنا على كثير ممن خلق تفضيلاً [١] ، وخلق لنا ما في الأرض جميعاً [٢] . فحقه علينا أول الواجبات . وهو يسير على مَن هداه الله وسهل على مَن وفقه الله . وقرة عين لمن آمن بالله واحتسب الأجر عند الله . وهو أن يعبد الله وحده لا شريك له بما شرعه على لسان حبيبه وخليله محمد ﷺ .

كما أنّ الوالدين لهما فضل إحسان على ولدهما ، فهو بضعة منهما . خُلق من خلاصة جسديهما ، نالهما بسببه التعب والمشقة . من أول أطواره حتى أصبح إنساناً سوياً وبَشراً قوياً . قد أشربت محبته في قلبيهما . يسهران لسهره ، ويمرضان لمرضه ، ويبذلان كل ما في وسعهما لإصلاحه وتربيته .

لذلك أمر الله تعالى ببرهما ، وقرن حقهما بحقه قال تعالى ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾[٣] ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾[٤] وقال صلى الله عليه وسلم : « رَغِمَ أنفَ امريء أدرك أبويه أو أحدهما فلم يدخل الجنة » [٥] .

= سورة الرحمن : ﴿ هَلْ جَزَآءُ الإحْسَنِ إلا الإحْسَنُ ﴾ (آية رقم٦٠) ، والآيات كثيرة في هذا المعنى ، وأما الأحاديث فكثيرة ومنها قوله عليه الصلاة والسلام : « خيركم أحسنكم قضاءً » رواه مسلم في الصحيح - المساقاة - حديث رقم (خاص ١٢٢) و (عام ١٦٠١) وهو من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(١) إشارة إلى معنى الآية ١٥ من سورة النمل .

(٢) إشارة إلى معنى الآية ٢٩ من سورة البقرة .

(٣) الإسراء : ٢٣

(٤) النساء : ٣٦

(٥) إشارة إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه : الترمذي في الدعوات برقم (٥٣٩)٣ وصححه ابن حبان كما في الموارد (٢٣٨٧) وهو حسن لغيره بشواهده الكثيرة .

إنَّ بر الوالدين والإحسان إليهما حق واجب على الأولاد ، لمجازاة الإحسان بالإحسان ، ومقابلة المعروف بالمعروف ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾ (١)

وبر الوالدين وصلة الأرحام طاعة للرحمن . وفيه خير وبركة للإنسان . وسعة في الرزق ، وطول في العمر . قال صلى الله عليه وسلم : « مَن أحب أن يُبسط له في رزقه ويُنسأ له في أجله فليصل رحمه » (٢) .

فأوصيكم وإياي ببر الوالدين والإحسان إليهما ، فالبر بالحي منهما كالخضوع ولين الجانب والبشاشة . وطلاقة الوجه وإدخال السرور عليه والاعتراف له بالجميل وبذل المعروف وكف الأذى . وطيب الكلام والتحمل والترحم عليه ﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ (٣)

وأما البر بالميت منهما فقد سأل رجل النبي ﷺ عنه فقال : هل بقي من بر والديّ شيء أبرّهما به بعد موتهما ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « نعم ، الصلاة عليهما - أي الدعاء لهما - والاستغفار لهما . وانفاذ عهدهما من بعدهما . وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما ، وإكرام صديقهما » (٤) .

---

(١) الرحمن : ٦٠

(٢) في الأدب باب « مَن بُسِط له في الرزق لصلة الرحم » : ٣٤٨/١٠ - الفتح من حديث أنس ابن مالك رضي الله عنه ، ونحوه مسلم في الصحيح في البر والصلة برقم (خاص ٢١) و (عام ٢٥٥٧) باب « صلة الرحم » .

(٣) الإسراء : ٢٣ - ٢٤

(٤) إشارة إلى حديث أبي أسيد صاحب رسول الله ﷺ ، أخرجه الإمام أحمد في المسند : ٤٩٧/٣ - ٤٩٨ بهذا اللفظ وإسناده صحيح ، وأخرجه ابن ماجه في السنن كتاب الأدب ، باب رقم (٢) باب « صل مَن كان أبوك يصل » حديث رقم (٣٦٦٤) بهذا اللفظ : ١٢٠٨/٢ - ١٢٠٩

إنَّ بر الوالدين من شيم الكرام ، وهو دليل الفضل والكمال ، والبار بوالديه قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة .

وعقوق الوالدين من صفات اللئام الذين يتنكرون للفضائل ويجحدون المعروف . ويقابلون الإحسان بالإساءة . والعاقُّ بوالديه بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة .

فإياكم وعقوق الوالدين فإنه كفر وفسوق . ولا يدخل الجنة قاطع رحم . إنَّ عقوق الوالدين موجب للطرد والإبعاد من رحمة الله ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾ ﴾(١)

فيجب على الإنسان أن يتذكر ماضيه مع والديه من حين نشأته وأول خلقه حتى كملت قوته واستقل بنفسه . وأن يكون لهما مثلما كانا له . وأن يعطف عليهما مثلما عطفا عليه . وأن يخدمهما مثلما خدماه . وأن يسعى لراحتهما مثلما سعيا لراحته . ولا شك أن كل عامل سيجد نتائج عمله . فمَن برَّ بوالديه برَّ به أولاده وطابت نفسه ، وقرَّت عينه ، واتسع عيشه .

ومَن عقَّ بوالديه عقَّ به أولاده ، وخبثت نفسه ، وضاق رزْقه .

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « أسرع الخير ثواباً البر والصلة . وأسرع الشر عقاباً البغي وقطيعة الرحم » (٢) .

فاتقوا الله عباد الله ، وأدوا حق الوالدين فإن حقهما عظيم . وبِرُّوا بهما أحياء وأمواتاً . تفوزوا وتفلحوا في الدنيا والآخرة .

---

(١) محمد : ٢٢ - ٢٣

(٢) لم أقف على هذا الحديث في المراجع التي بين يديّ - والله أعلم - وإن معناه لصحيح وثابت في أحاديث أخرى مفرقة .

اللّهم ألهمنا رشدنا . وقنا شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا [١] . ووفقنا لبر والدينا على الوجه الذي يرضيك عنا . وأصلح نياتنا وذرياتنا . واجعلهم قُرَّة عين لنا ومن عبادك الصالحين .

أعوذُ باللّه من الشيطان الرجيم : ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾[٢]

بارك اللّه لي ولكم في القرآن العظيم . ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم .

أقول قولي هذا وأستغفر اللّه لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم .

* *

---

(١) إشارة إلى حديث ابن مسعود رضي اللّه عنه : ابن ماجه برقم (١٨٩٢) النكاح باب (١٩) باب « خطبة النكاح » وهو من حديث ابن عباس رضي اللّه عنهما : ابن ماجه برقم (١٨٩٣) وفيه هذا اللفظ أيضاً وإسناده صحيح .

(٢) لقمان : ١٤

١٣ - الحازم يحتاطُ الأمور

(الخطبة الثانية)

الحمد لله ﴿ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ﴾(١)

﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٣ ﴾(٢)

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له ، إلهٌ كريم ورب رحيم ، يقبل القليل ويعطي الجزيل .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، صلّى اللّه عليه وعلى آله وأتباعه وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد ..

فيا أيها المسلمون .. أوصيكم وإياي بتقوى اللّه تعالى . فما جاع مَن تزود بزادها ، ولا عرى مَن اكتسى بلباسها . ولا خاب مَن تجمل بجمالها ، ولا خسر من اتجر ببضاعتها .. فاتقوا اللّه في سركم وعلانيتكم .

فإنه يراكم ويسمع كلامكم . ويعلم ما تكن صدوركم (٣) ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝٢٤ ﴾(٤)

وصلُّوا على النبي العربي فقد أمرنا اللّه بذلك في كتابه الكريم . فقال عزَّ مِن

---

(١) الملك : ١

(٢) الحديد : ٣

(٣) إشارة إلى معنى الآية ٧٤ من سورة النمل ، و ٦ من سورة القصص .

(٤) الأنفال : ٢٤

قائلٍ عليماً : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾(١)

وقال صلى الله عليه وسلم : « مَن صلّى عليّ مرة واحدة صلّى الله عليه بها عشراً » (٢) .

اللّهم صلِّ وسلّم وبارك وأنعم على صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر الشافع المشفع في المحشر .

وارض اللّهم عن الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء : أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ . وعن بقية الصحابة أجمعين وأهل بيته الطيبين الطاهرين . ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وارض اللّهم عنا معهم بمنك وإحسانك يا ارحم الراحمين .

اللّهم أعز الإسلام والمسلمين ، وأذل الشرك والمشركين . ودمر أعداء الدين ، وانصر عبادك المؤمنين . واحم حمى الدين ، يا أرحم الراحمين ..... (٣)

* * *

---

(١) الأحزاب : ٥٦

(٢) إشارة إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه : مسلم في الصحيح باب « الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم » بعد التشهد برقم (عام ٤٠٨) ، والترمذي في جامعه برقم (٤٨٥) ، باب « فضل الصلاة على النبي ﷺ » .

(٣) إلى بقية الدعاء ، والدعاء لإمام المسلمين .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٤ - القرآن الكريم يربي الأجيال

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾(١)

وأشهد أنْ لا إله إلاَّ اللّه وحده لا شريك له .

﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾(٢)

وأشهد أنَّ نبينا محمداً عبده ورسوله .. كان خُلُقه القرآن (٣) ، صلّى اللّه وسلّم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن سار على سبيله ، إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فإن هذا القرآن الكريم قد صمد أمام جميع التيارات الباطلة ، مع كثرة خصومه ، والمعاندين ، فقد تحدى خصومه وقت نزوله ، بأن يأتوا بمثله ، فعجزوا ، ثم خفف فتحداهم بأن يأتوا بعشر سور مثله ، فعجزوا ، فتحداهم بأن يأتوا

---

(١) فاطر : ١

(٢) فاطر : ٢

(٣) من حديث عائشة رضي اللّه عنها ، أخرجه مسلم في الصحيح حديث رقم (١٣٩ خاص) و (عام ٧٤٦) من حديث عائشة رضي اللّه عنها : ٥١٢/١ - ٥١٤ ، وأحمد في المسند : ٥٤/٦

بسورة واحدة من مثله ، فلم يستطيعوا أن يأتوا ولو بآية . وهو كذلك ولا يزال . قد حفظه الله من كيد الأعداء ومن شرور الأهواء .

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾(١)

فالقرآن الكريم أُنزل لتكوين أمة مؤمنة بربها ، تصمد أمام الأحداث ، تهدي إلى الحق وتجادل من أجل الحق ، وتدافع عن الحقوق ، وقد كوّن القرآن بإذن الله أمة متعاطفة متراحمة فيما بينها ، قويةً شديدة على عدوها ، ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾(٢)

لقد كانت تلك الأمة آيةً من آيات القدرة الإلهية . أنشأت في الأرض - بإذن الله - ما شاء أن تنشيء ، وسارت في الأرض ما شاء الله أن تسير . قررت للإنسانية عقيدةً طاهرة نقية ، وتصوراً سليماً ، وقِيَماً وموازينَ . حققت العدالة والأمن والاستقرار .

والقرآن الآنَ قادرٌ بإذن الله على أن يربي أمة كذلك على غرار تلك الأمة ، ولكن لا بد من الشباب الذي يُحس للقرآن أحاسيس معانيه ، ولا بد من الطائفة التي تعيش مع القرآن الكريم ، في جو الحقيقة التي تمليها آيات القرآن ﴿ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾(٣)

فالإيمان الراسخ بالله ، والتوكل على الله ، والاعتصام بالله وحده ، والإيمان

---

(١) الحجر : ٩

(٢) الفتح : ٢٩

(٣) يونس : ١٠٧

بِقَدرِ اللّه ، والتصديقُ بوعد اللّه ووعيده ، هي المعاني التي كانت خُلُقَ النبي ﷺ وأصحابه والقرون المفضلة ، وهذه الصورة لو استقرت في قلب إنسان لصمد أمام جميع الأحداث . وأمام جميع الخصوم .

قال صلى اللّه عليه وسلم لعبد اللّه بن عباس رضي اللّه عنهما : « احفظ اللّه يحفظك ، احفظ اللّه تجده تجاهك ، إذا سألتَ فاسأل اللّه . وإذا استعنَت فاستعن باللّه ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه اللّه لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه اللّه عليك ، رُفِعت الأقلام وجفت الصحف »[1] .

هذه هي صورة المسلم الصحيح التي أرادها الإسلام ، وهي الصفة التي كان عليها محمد ﷺ وأصحابه . كما رباها القرآن ، وهذه هي الصفة التي تُقلق الأعداء وتوحشهم ، فالقرآن الكريم يوقظ الهمم العالية ويحرك المشاعر الحية ، ويخاطب العقول السليمة . ويربط العبد بربه ، ويربط الأحداث بخالق الكون ، فهو خالقها ومدبرها .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ۝٥ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝٦ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝٧ ﴾[2]

قال الفخر الرازي في تفسير هذه الآيات : « المكلّف قد يكون ضعيف الذهن قليل العقل سخيف الرأى فيغتر بأدنى شيء . وقد يكون فوق ذلك فلا يغتر به

---

(١) أحمد في المسند : ٢٩٣/١ من حديث ابن عباس رضي اللّه عنهما ، وإسناده صحيح ، وأخرجه الترمذي في جامعه برقم (٢٥١٦) : ٦٦٧/٤ ، وقال الترمذي في نهاية الحديث : هذا حديث حسن صحيح . وأيضاً أحمد في المسند : ٣٠٣/١ ، وكذا : ٣٠٧/١ بسياق طويل .

(٢) فاطر : ٥ - ٧

ولكن إذا جاءه غَارٌ وزَين له ذلك الشيء وهوَّن عليه مفاسده وبيَّن له منافعَ يغتر لما فيها من اللذة مع ما ينضم إليه من دعوة ذلك الغار ، وقد يكون قويَّ الجأش عزيز العقل فلا يغتر ولا يُغَر . فقال تعالى : ﴿ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ﴾(١) إشارة إلى الدرجة الأولى . وقال : ﴿ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾(٢) إشارة إلى الدرجة الثانية ، ليكون واقعاً في الدرجة الثالثة وهي العليا : لا يغْتر ولا يُغَر » ا هـ .

واستشعار الإنسان بالعداء بينه ، وبين عدوه يجعله يزن الأمور بموازين العدالة ولا ينتظر في العواقب . فيزن وسوسة الشيطان بميزان القرآن ، ويزن آراء العدو من الإنس واقتراحاته بميزان الإسلام . فلا يتخبط في تصرفاته تخبط التائه ، ولا يلتمس الشاطيء إلتماس الغريق ، بل يكون ثابتاً على اتجاه مستقيم ، ومسيرُه على نور ، وتصرفاتُه على سداد ، وأعمالهُ على توفيق ونجاح .

ولكن المصيبة كل المصيبة فيما إذا أصيب الإنسان بالغرور وأعجب بنفسه وأغرى بتصرفاته . وادعى الكمال لنفسه والعصمة من الخطأ ، فيخطيء ويرى أنه مصيب ، ويُسيء ويراه محسناً . سواء فيما بينه وبين ربه أو فيما بيه وبين الناس ، وهذه هي نقطة الضعف التي يدخل منها عدوه . عدوه من الجن وعدوه من الإنس ، يُزينُ أعماله ويُحسِّنها في عينه ، فلا يُفرِّق بين الحق والباطل ، ولا يَعرف الطيب من الردي ، ولا النافع من الضار ، ولا الصالح من الفاسد ، ولا يُفرق بين السلم والاستسلام ، ولا بين النصر والهزيمة ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾(٣)

الغرور هو مفتاح الشر وهو طريق الفشل والهزيمة . فمتى أعجب الإنسان

---

(١) ، (٢) لقمان : ٣٣

(٣) فاطر : ٨

برأيه ورأى أن كل عمل يعمله هو الحق والصواب هلك ، لأنه لا ينظر في عمله ولا يقيسه بالمقاييس ، هذا هو البلاء الذي يصبه الشيطان على الإنسان ، وهو المِقْودُ الذي يقوده به إلى الضلال والخسران .

فالجاهل الذي يعلم جهله . والمسيء الذي يعلم إساءته يعيد النظر ويتوب ويرجع ، أما المسيء الذي لا يعلم إساءته لا يرجع ولا يتوب فيتمادى في الإساءة حتى ترديه إلى الهلاك ، وكل ذلك بإرادة الله ومشيئته وهو الحكيم الخبير ، وهو العزيز الحكيم .

فالثلاثة الذين تخلفوا في غزوة تبوك عرفوا الإساءة فتابوا فتاب الله عليهم [١] ، والذين رجعوا من منتصف الطريق في غزوة أُحد تمادوا في غيهم فهلكوا [٢] .

﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ ﴾[٣]

فاتقوا الله أيها المسلمون .

إن المسلم دائماً في معركة مع الشيطان . فيعد له عُدَّته من ذكر الله والقرآن ، ودائماً يتوقع المعركة مع عدو الرحمن فيعد له عُدَّته بما استطاع من قوة وإيمان . والذي لا يكون كذلك قد استسلم لعدوه ووقع في حباله والله المستعان .

اللّهم اغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .....

* *

---

(١) إشارة إلى آية التوبة : ١٨

(٢) إشارة إلى حديث المنافقين الذين رجعوا من غزوة تبوك وذلك من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه . البخاري برقم (٤٤١٨) - المغازي باب رقم (٧٩) ، وعنوانه : باب « حديث كعب بن مالك رضي الله عنه » : ٨/١١٣ - ١١٦

(٣) النساء : ١٤٥

١٤ - مَن كان يريد العزة فللّه العزة جميعاً

(الخطبة الثانية)

الحمد للّه حمداً كثيراً ، وسبحان اللّه بكرة وأصيلاً .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاّ اللّه وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله وصفوته من خلقه ، صلّى اللّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد ..

فإذا كان الإنسان له عدو فأمامه في أمره أحد طريقين ، إما أن يتخذه عدواً ، ويقابله بالمثل . وإما أن يرضيه وينزل على رغبته فيكون تابعاً له يقوده إلى أسوأ مآل .

وقد ينقاد الإنسان إلى عدوه . رغبة في رئاسة وعزة ورفعة في هذه الدنيا ، ولكن العزة بيد اللّه تعالى وملكه يعطيها مَن يشاء ، فمَن أرادها فليطلبها من مالكها ، وليعمل الأسباب لينالها ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴾(١) ، والأسباب

لنيلها هى المذكورة في قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾(٢)

---

(١) فاطر : ١٠

(٢) الحج : ٤١

فاتقوا الله أيها المسلمون - حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسَبوا ، والرجوع إلى الحق أحق من التمادي في الباطل ﴿ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ ﴾(١)

وصلُّوا على البشير النذير فقد أمرنا الله بذلك في كتابه المنير فقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾(٢)

اللّهم صلِّ وسلِّم وبارك وأنعم على عبدك ورسولك نبينا محمد صاحب الحوض المورود ، والمقام المحمود ، وارض اللّهم عن الخلفاء الراشدين : أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ ، وعن بقية الصحابة أجمعين ، وزوجات نبيك أمهات المؤمنين ، وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ، وارض عنا معهم بيمنك وإحسانك يا أرحم الراحمين .

اللّهم أعز الإسلام والمسلمين ، وأذل الشرك والمشركين ، ودمر أعداء الدين ، وانصر عبادك المؤمنين واحم حَوْزة الإسلام يارب العالَمين .

اللّهم آمنا في أوطاننا ، واحفظ إمامنا وولاة أمورنا ، ووفقهم لكل خير وصلاح . ولما فيه السعادة والنجاح .

اللّهم فَرِّج هم المهمومين ، واقض الدَيْن عن المدينين ، واشف مرضى المسلمين ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَآءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾(٣)

فاذكروا الله العظيم يذكركم ، واشكروه على نعمه يزدكم .. ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾(٤)

* * *

---

(١) فاطر : ٥
(٢) الأحزاب : ٥٦
(٣) النحل : ٩٠
(٤) العنكبوت : ٤٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٥ - الناس في الإيمان باللّه قسمان [١]

(الخطبة الأولى)

الحمد للّه رب العالَمين ، والحمد للّه الذي هدانا للإسلام ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا اللّه .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له ، له الحمد في الآخرة والأولى ، وله الحكم وإليه ترجعون .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، أرسله اللّه رحمة للعالَمين ، شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وداعياً إلى اللّه بإذنه وسراجاً منيراً ، صلى اللّه وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدى بهَدْيه ودعا بدعوته .

أما بعد ..

فإن الناس ينقسمون في اتصالهم بخالقهم قسمين . كما قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [٢]

فالإنسان عنده مقومات التمييز بين الطيب والخبيث ، وبين النافع والضار ، وعنده صلاحية الاختيار ، فبرغبته يختار ، وبإدراكه يميِّز .

والطريق التي يسير عليها الإنسان إلى دار الآخرة واحدة من طريقين : طريق مستقيم معتدل على اتجاه واحد نيِّر واضح ، أو طريق ملتوية معوجه لها فروع ومنافذ ومتاهات وظلمات ، فكل إنسان برغبته وإرادته الاختيارية على وفق

---

(١) ألقيت في ٢٧/٤/١٤٠٠ هـ .

(٢) التغابن : ٢

نظام الكون يختار ، الطريق التي يسلكها . وكل فريق يسير على الطريق التي توافق اتجاهاته وميولاته .

﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۘ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾(١)

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾(٢)

﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾(٣)

فريقان متضادان ، وطريقان متباعدان : ﴿ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ ﴾(٤)

وليس أمام الإنسان إلا هاتان القاعدتان - قاعدة الخير وقاعدة الشر - طريق النجاة أو طريق الهلاك ، سبيل المؤمنين وسبيل غير المؤمنين ، وإذا أراد الإنسان أن يطبق الجزئيات على قواعدها فلينظر إلى الأقوال والأفعال فإنها تعبر عن عقيدة المرء ، وتسير على اتجاهه .

---

(١) التوبة : ٦٧

(٢) التوبة : ٦٨

(٣) التوبة : : ٧١ - ٧٢

(٤) الشورى : ٧

وقد يحاول المنافق إخفاء سريرته خشية من العقوبة . أو للمخادعة . أو لمقصد دنيوى ، ولكن لا بد أن تظهر آثار السريرة في القول والعمل . فالإناء الذي فيه ماء عذْب سائغٌ للشاربين ، يكون نَضْحه كذلك ، والإناء الذي فيه ماء مالح أجاج تظهر آثار الملح على الإناء .

وإذا تأملنا وسائل الإعلام في العالَم وجدناها تسير على واحد من الاتجاهين ، فهي تعبر عن الصورة الواقعية للقائمين عليها ، هل اتجاههم على طريق المؤمنين ، أم على طريق غير المؤمنين ؟

وقد يُلاحَظُ أحياناً تغيرٌ في اتجاه بعض الإعلام بالحُسن أو القبح ، لتغيير بعض القائمين عليه . أو تغيير بعض الأحوال .. ومن المعلوم أن الإعلام بجميع وسائله أداةُ تبليغ وتوجيه . وأداة تصوير وعرض . فقد تعرض الأمور على واقعها وحقيقتها . وقد تُغيِّر بتجميل قبيح أو تشويه جميل من أجل أهداف مغرضة واطماع دنيئة ، لذلك يجب على علماء المسلمين وقادة الفكر الإسلامى ألا يتخلوا عن الإعلام والاستفادة منه لإظهار صورة الإسلام وجماله على حقيقته . وكشف الاستار والتشويهات التي تجعل بينه وبين العالَم غشاوة .

وينبغي أن تكون الدعوة بأسلوب حسن على بصيرة وعبارات مقنعة مقرونة بالعمل وكل ما يحصل به المقصود . مع القدرة على العرض والتشويق . فهو جميل ويرجى فيه الخير والقبول . وأعظم دعوة للإسلام وإظهار محاسنه هو الدعوة إليه بالعمل به في السلوك والمعاملات والعرض والأحكام والتعاطف والتراحم .

ولكن الإهمال موجود في كل مكان . والتساهل موجود أيضاً ، فقد يتحكم فرد في إفساد مجموعة . وقد يستغل منحرف وسائل الدعوة لبث سمومه سواء بصراحة ووقاحة ، أو بأسلوب مسموم عليه طلاء برّاق .

والمسئولية لا تقع على السُلْطة وحدها بل وعلى رجال الفكر الإسلامى وعلماء الإسلام .

فالأمانة محملة على الجميع ، والإسلام عقيدة الجميع ، والمصالح تعود على الكل ، والمضار مثل ذلك ، فالمسئولية على الجميع وإن اختلفت درجاتها ونَوْعيتها بحسب القدرات والمسئولية ، والمطلوب التحرك الإسلامي وإظهار الشعور الإسلامي ، والدعوة إلى الخير والمعروف ، وإنكار الباطل والمنكر ، وترك التواكل والتلاوم والمنافسة في أمور الدنيا . والاشتغال عن الأهم وفتح المجال للعابثين ودعاة التحلل والتفرقة .

وأضرب لذلك مثلاً للإفصاح أكثر .. إذا أرادت حكومة مسلمة أن تعود بنظامها إلى نظام الإسلام ، وإلى نظام العدالة والاستقرار وتحكيم شرع اللّه ، صارت تقدم رِجلاً وتؤخر أخرى لأنها تحس بأن لها مخالفين وأضدادا ، وتخشى من بعض وسائل الإعلام المعادية للإسلام والمسلمين أن تشن عليها غارات التشويه والتفنيد ، ولا ترى ركيزة إعلامية إسلامية تقاوم هذا الهجوم المعادي وتردُ عليه ، ولا قوة فكرية تقاوم ذلك الإلحاد ، ومن عدة سنين أرادت دولة مسلمة ذاتُ شعب مسلم أن تحكم بحكم اللّه لإصلاح الرعية ونشر الأمن والعدل في بلادها ، فقامت ضدها حركة تشويه للحقيقة وتنديد وتفنيد للاتجاه ، فجمد المشروع ولم تجد مَن يشجعها على فعل الخير ، فالواجب على المسلمين الاقتداء بالرسول ﷺ ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾(١) ، لا يبالون بالأقوال المغرضة والأفكار التائهه والأبواق المستهزئه ، وينتقم منهم . واللّه عزيز ذو انتقام .

فاللّه حسبنا ونِعْم الوكيل . ولا حول ولا قوة إلا باللّه العليّ العظيم .

فاتقوا اللّه أيها المسلمون . اتقوا اللّه يا علماء الإسلام .

إلى متى هذا الخمول ؟ إلى متى هذا السُّبات ؟ إلى متى هذه الذله والمهانة ؟

---

(١) الحجر : ٩٤

أنقذوا أنفسكم .. أنقذوا أمتكم وبلادكم . إنه لا هيبة لكم ولا قيمة لكم في الوجود إلا بالرجوع إلى الله وإلى كتاب الله . ولا عزة لكم ولا عصمة إلا بكتاب الله .

اللّهم بارك لنا في القرآن العظيم ، وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم .

اللّهم افتح بصائر المسلمين لمعرفة الحق واتباعه ، وافتح بصائرهم لمعرفة الشر واجتنابه .

اللّهم أبرم لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه أهل طاعتك ، ويذل فيه أهل معصيتك ، ويُحكم فيه بكتابك وتسود فيه سُنّة نبيك ، ويؤمر فيه بالمعروف ، ويُنهى فيه عن المنكر .. إنك على كل شيء قدير .

اللّهم اغفر لنا ولأصولنا وفروعنا ولجميع المسلمين .. إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

١٥ - ولاية المسلم نعمة من اللّه

(الخطبة الثانية)

الحمد للّه . ولا حول ولا قوة إلا باللّه العليّ العظيم .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاّ اللّه وحده لا شريك له . هو ربنا وإلهنا وهو حسبنا ونِعْم الوكيل .

وأشهد أنّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، بلّغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح للأمة وجاهد في اللّه حق جهاده . جاء بملّة بيضاء نقية وتركنا عليها بيضاء نقية لا يزيغ عنها إلا هالك [١] ، صلّى اللّه وسلّم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن اتبع رسالته وحكم بحكمه إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فإن من فضل اللّه على البلاد وأهلها أن تكون ولايتُها في يد مسلم مؤمن ، إذا قيل له اتق اللّه تذكر عظمة اللّه وقدرته . وإن من النقمة على البلاد وأهلها أن تكون ولايتها في يد كافر أو منافق لا يخاف من اللّه ولا يرجوه فإذا وعظه أحد تكبر وتجبر وتعاظم ، ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾ [٢]

---

(١) إشارة إلى حديث العرباض بن سارية رضي اللّه عنه ، ابن ماجه : المقدمة برقم (٤٣) ، وأحمد في المسند : ١٢٦/٤ ، وإسناده حسن لغيره .

(٢) البقرة : ٢٠٤ - ٢٠٥ .

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(١)

فاتقوا الله أيها المسلمون .. اعملوا بجميع شرائع الإسلام .. وشُعب الإيمان ، لا تأخذوا ببعضها وتتركوا بعضها ، فمَن أقام الصلاة وَجَبَ عليه أداء الزكاة ، ومَن صام رمضان وَجَبَ عليه فريضة الحج لمن استطاع إليه سبيلاً ، ومَن أخذ بقوله تعالى : ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ ﴾ أخذ بقوله : ﴿ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾(٢) ومَن آمن بأن القرآن كلام الله وَجَبَ عليه الحكم بأحكامه ، ومَن آمن برسالة محمد ﷺ وَجَبَ عليه العمل بسُنَّته . ليس أماكم إلا واحد من طريقين : إما اتباع الرحمن ، وإما اتباع خطوات الشيطان ، إما هدىً وإما ضلالة ، إما إسلام وإما جاهلية . الطريق الموصل إلى الله واحد مستقيم فليس للمسلم إلا منهج واحد يوصله إلى الله ، فإن لم يسلكه ذهبت به الأهواء إلى المتاهات . ولا يجوز للمسلم أن يتأرجح بين الطريقين ، فاتقوا الله أيها المسلمون وصلوا على النبي المنذر .....

* * *

(١) البقرة : ٢٠٦ - ٢٠٨

(٢) البقرة : ٢٧٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٦ - الدين شامل كامل (١)

(الخطبة الأولى)

الحمد لله رب العالمين ..

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ ﴾(٢)

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له ﴿ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾ ﴾(٣)

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله . أرسله رحمة للعالمين ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾(٤)

اللّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فإن الخالق تعالى أكرم هذه الأمة وشرَّفها واختار لها ديناً قيماً ، ملةً سمحةً متلائمة مع فطرة الإنسان ، وافية بمتطلبات الحياة ، ومقتضيات التقدم والبيئات المتنوعة . وما من صاحب ديانة - أيّاً كان نوعها - غير الإسلام ينظر إلى هذا

---

(١) ألقيت في ١٤١٢/١٢/١١ هـ .

(٢) الكهف : ١

(٣) طه : ٩٨

(٤) التوبة : ١٢٨

الدين نظرةً مجردة عن التعصب والهوى إلا ويقرُ بأن دين محمد ﷺ شامل كامل قادر على قيادة البَشر وسياسة الحياة . فهذه الشريعة السماوية صامدة ثابتة لا تتغير بتغير البيئات . ولا بتَغَيُّر القيادات والأشخاص ، فلا يستطيع أحد أن ينال منه . ولا يستطيع زنديق أن يغيرَ أو يبدِّل . ولا يستطيع مخلوق أن يوهن من قوته ولا أن يغيِّر من طبيعته . فهو محفوظ بقدرة القوى العزيز ، فما كان لأعدائه أن ينالوا من ذاته أبداً .

وما كان لأعداء الإسلام أن ينالوا من المسلمين إذا تمسكوا به لأن الله حفظه ويحفظ مَن حفظه .

أما إذا انحرفوا عن دين الله . فلم يعملوا بأحكامه ولم يحافظوا على كيانه ، بل نبذوه وراءهم ظهرياً ، فلم يبق إلا مَظاهرُ خاليةٌ من الحقيقة والمعنى ، تَسَلَّط عليهم أعداؤهم .

فلا يحل لمسلم أن يعتقد نقصان هذا الدين فيضيفَ إليه ما ليس منه ، أو يفترى عليه ما لا يحتمله . ولا أن يعتقد فيه زيادة لا تتلاءم مع العصر فيلغيها . فإن ذلك كفر وطغيان ومحادة لله ورسوله ﷺ .

﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾(١)

إن اختيار الخالق هذا الدين خاتمةً للرسالات . وارتضاءَه لهذه الأمة خير الأمم يقتضي بذل جهدها وطاقاتها في إدراك هذا الاختيار . وبذل الوسع في معرفة تلك النعمة التي أتمها .

فأما اختيار هذا الدين لهذه الأمة فلأنها خيرُ الأمم ، تمتاز بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والإيمان بالله . فاختار لها ديناً قيماً شاملاً كاملاً . يتناول حياة الإنسان من جميع أطرافها ومن كل جوانب نشاطاتها ، يضع لها الأحكام التفصيلية والقواعد الثابتة الكلية التي لا تتغير .

---

(١) المائدة : ٣

فكمال الدين هو كمال العقيدة وكمال الشريعة معاً . فلم يعد لأحدٍ أن يتصور أن في هذا الدين نقصاً يستدعي الإكمال . ولا قُصُوراً يستدعي الإضافة . ولا أن يصدق الادعاءات الكاذبة والارجافات المغرضة ضد دين الإسلام .

فمن صدَّق بما نفاه القرآن ، أو كذَّب بما نطق به القرآن ، فليس بمؤمن . وما هو بمُصدِّق للّه . وما هو مرتضٍ ما ارتضاه اللّه .

وأما إتمام النعمة ، فهي نعمة الإسلام ، ونعمة إكمال هذا الدين وهى النعمة التامة التي تُمثِّل مولد الإنسان . فالإنسان لا وجود لإنسانيته قبل أن يعرف خالقه ومعبوده ، وإنما عرَّفه هذا الدين ، ولا ميزة للإنسان على غيره من المخلوقات قبل أن يعرف حقيقة حلقه ومعاشه وما بعده . والذي عرَّفه هو هذا الدين .

وما تميَّز الإنسان على الحيوان إلا بمعرفة خالقه ومعبوده ، فبهذا الدين صار ابن آدم إنساناً وامتاز عن بقية الحيوانات .

أليست هذه أكبر نعم اللّه على الإنسان ؟

إنَّ نعم اللّه على الإنسان متتابعة ، فوجوده في هذه الدنيا مع ما سُخِّرَ له من مخلوقات اللّه . وما علَّمه وهَداه وفهَّمه كلها نِعَم ، ولكن طول الألفه على هذه الأرض وسهولة استقرار الناس عليها وسَيْرهم فيها والاستفادة من مائها وتربتها وهوائها وأرزاقها . هذه الألفة تنسيْ الناس التفكر في هذه النِعَم .

إن الإنسان قوي بالقَدْر الذي أعطاه اللّه . وعالِم بالقدر الذي علَّمه اللّه .

﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾(١)

فلا يملك الإنسان من هذا الكون إلا التفكر والانتفاع بما سُخِّرَ له ، وما وراء ذلك فهو إلى اللّه ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (٢) . فلو وحد إنسان

---

(١) النحل : ٧٨

(٢) الإسراء : ٨٥

أخذه الإعجاب بما أتاه اللّه ، واستحوذ عليه الشيطان فأنساه ذِكْر اللّه ، وأنساه قدرة الرحمن ونعمة المنان فينسب لنفسه ما أعطاه اللّه من علم وقدرة وتجارب وخبره ، فيقول : إنما أوتيته على علم عندي ، وينسى خالق الموجودات ومسخِّر الكائنات ومعلِّم المعلومات ، فبذلك يكون جاهلاً خارجاً عن الإنسان مقطوعاً عن العلم الحقيقي الذي يرفع الروح إلى مصدرها الرفيع ، ويصلها بمدبر هذا الكون ومسخِّر ما يحتاجه الإنسان .

أما العالِم المؤمن فيجُول بإيمانه في أرجاء الوجود ، ويحلِّق بإيمانه في الفضاء ، ويتفكر بإيمانه في ملكوت السموات والأرض ، وهذا شعور حسن ومتاع وراحة لا يعرفه إلا مَن ذاق حلاوة الإيمان .

ومهما تقدَّم العلم ومهما تبحر العلماء ، ومهما عرفوا بالتجارب ظاهراً من الحياة الدنيا ، فإن القدرة الإلَهية الخالقة المبدعة تلجيء الإنسان وتضطره إلى موقف العجز والتسليم ، سواء عن هداية وإيمان ، أم عن عجز وخذلان . والغرور والكبرياء والكفر والطغيان جعلت مِنَ الناس مَنْ يقول : إن الإنسان سيد الوجود .

فاتقوا اللّه أيها المسلمون .. إن الإيمان يستدعي العمل والتفكر وأخذ الاحتياطات والنظر في العواقب .. المؤمن كَيِّسٌ فَطِنٌ .

اللّهم اهدنا وسددنا وألهمنا رشدنا وقنا شرور أنفسنا . واغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين .. إنك أنت الغفور الرحيم .....

* *

١٦ - ما نقص مال من صدقة

(الخطبة الثانية)

الحمد لله رب العالمين . يعلم سعي الإنسان فيجزيه الجزاء الأوفى .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له . منه المبتدأ وإليه المنتهى .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله . كليم اللّه وخليله ، وصفي اللّه وحبيبه .

اللّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان .

أما بعد ..

فأوصيكم وإياي بتقوى اللّه : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾[١] .

روي الإمام مسلم في الصحيح عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال : قال رسول اللّه ﷺ : « بينْا رجل في فلاة من الأرض فَسَمِع صوتاً من سحابة : اسقِ حديقة فلان . فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه في حرة ، فإذا شرجةٌ من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كلّه ، فتتبع الماء فإذا رجل قائم في حديقة يُحَوِّل الماء بمسحاته ، فقال له : يا عبد اللّه ، ما اسمك ؟ قال : فلان - للاسم الذي سمع في السحابة - فقال له : يا عبد اللّه ، لِمَ سألتني عن اسمي ؟ قال : قد سمعتُ في السحاب الذي هذا ماؤه يقول : اسقِ حديقة فلان ، لاسمك ، فما تصنع فيها ؟ قال : أما إذ قُلتَ هذا فإني أنظر إلى ما يخرج منها فأتصدق بثلثه ، وآكل أنا وعيالي ثلثه ، وأرد فيها ثلثه » [٢] .

---

(١) الطلاق : ٢ - ٣

(٢) الترغيب : ٧/٢

وعن أبي كبشه الأنماري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « ثلاثٌ أقسم عليهن ، وأحدثكم حديثاً فاحفظوه قال : ما نقص مال عبد من صدقة . وما ظُلم عبد مظلمة صبر عليها إلا زاده الله عزاً . وما فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر - أو كلمة نحوها » .

وأحدثكم حديثاً فاحفظوه .. قال : « إنما الدنيا لأربعة نفر : عَبْدٍ رزقه الله مالاً وعلماً فهو يتقي فيه ربه ويصل فيه رحمة ويَعْلم لله فيه حقه ، فهذا بأفضل المنازل . ورجل رزقه الله علماً ولم يرزقه مالاً فهو صادق النية ، يقول : لو أنَّ لي مالاً لعملتُ بعمل فلان ، فهو بنيِّته فأجرهما سواء . وعبد رزقه الله مالاً ولم يرزقه علماً ، يخْبط في ماله بغير علم ، لا يتقي فيه ربه ولا يصل فيه رحمه ولا يعلم لله فيه حقه ، فهذا بأخبث المنازل . وعبدٍ لم يرزقه الله مالاً ولا علماً فهو يقول : لو أنَّ لي مالاً لعملتُ فيه بعمل فلان ، فهو بنيِّته فوِزْرُهما سواء » [١] .

ثم اعلموا - وفقني الله وإياكم لفعل الخيرات وترك المنكرات - أنَّ الله تعالى أمرنا بأمر بدأ فيه بنفسه فقال : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾[١]

* * *

(١) رواه ابن ماجه والترمذي وصححه .

(٢) الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٧ - من قواعد الدين الأمر بالمعروف [١]

(الخطبة الأولى)

الحمد لله الذي هدانا للإسلام ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ الله وحده لا شريك له . أمر بالعدل والإحسان ، ونهى عن الفحشاء والمنكر .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، بلَّغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح للأمة ، وجاهد في الله حق جهاده ..

صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعهم بإحسان وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد ..

فيا أيها المسلمون .. أوصيكم وإياي بتقوى الله تعالى في السر والعلانية . واعلموا أن لديننا الحنيف قاعدة عظيمة لها أهمية كبرى ومكانة عظمى ، لأنها تحافظ على أركانه وأسسه وتعاليمه ، وتحمى كيانه وعزته ، ألا وهى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فهي أساس دعوة الرسل من أولهم إلى آخرهم ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . وهي من فضائل هذه الأمة المحمدية . لذلك اعتنى ديننا بهذه القاعدة عناية تامة . وحثَّ عليها ورغَّب فيها . وبيَّن أن بها صلاح الأمة وفلاحها . قال تعالى ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[٢] وقال تعالى : ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ

(١) ألقيت في ١٣٩٣/٦/١٣ هـ .

(٢) آل عمران : ١١٠

﴿ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾(١)

وقد حذّر الله تعالى عباده المؤمنين من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وبيّن أن ذلك معصيةً لله . وعدواناً على حدود الله . وسبباً للطرد والإبعاد من رحمة الله . قال تعالى : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾(٢)

وقال صلى الله عليه وسلم : « لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي ، نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا ، فجالسوهم في مجالسهم ، وآكلوهم وشاربوهم ، فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ، فلعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون » .

وجلس صلى الله عليه وسلم وكان متكئاً فقال : « كلا والله ، لتأمرنّ بالمعروف ولتنهونّ عن المنكر ، ولتأخذنّ على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطراً ، ولتقصرنه على الحق قصراً ، أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ثم يلعنُكم كما لعنهم » (٣) .

فاتقوا الله عباد الله فإنه لا صلاح للأمة ولا فلاح لها إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن جميع المنكرات . ولا تستقيم أحوال الأمة الإسلامية إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

فهو يهذب النفوس ويزكي القلوب ويطهر الأعمال ، ويحمل على التحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل ، ويدعو إلى مكارم الأخلاق . ويسمو بالأمة إلى ذروة الفضل والعزة والرفعة والكمال .

---

(١) آل عمران : ١٠٤ - ١٠٥

(٢) المائدة : ٧٨ - ٧٩

(٣) أبو داود (٤٣٣٦) ، والترمذي (٣٠٥٠) ، وابن ماجه (٥٠٠٦) ، وإسناده ضعيف لانقطاعه ، فإن راويه عن ابن مسعود ولده أبو عبيدة وهو لم يسمع من أبيه .

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من صفات المؤمنين الصادقين الذين جمعت بينهم الأخوة الإسلامية وربطت بينهم المحبة والولاية في الله ، حتى أصبحوا كالجسد الواحد كل فرد منهم يحب لأخيه ما يحب لنفسه ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾(١)

إن الأمر بالمعروف واجب من واجبات هذا الدين القويم ، على كل فرد من أفراد المسلمين حظه من ذلك بحسب استطاعته وقدرته وقوة إيمانه وضعفه ، وبحسب قوة سلطانه على المأمور . قال صلى الله عليه وسلم : « مَن رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه .. وذلك أضعف الإيمان » (٢) .

وقد بيَّن سبحانه وتعالى طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الموصل إلى المقصود . النجاح والاستجابة بدون أي رد فعل . فقال تعالى : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ﴾(٣) وقال تعالى : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ ﴾

فالآمر بالمعروف والناهي عن المنكر يعالج أمراضاً اجتماعية . وأمراضاً روحية ، وأمراضاً في البصائر ، فدوره في علاجها كدور طبيب أمراض الأبدان ، يشخصُ المرض ويتحرى العلاج النافع الذي لا ضرر فيه ، وقد يَكره المريضُ العلاج فيُحمل عليه حرصاً على سلامته وسعادته ، وقد يتطلب الأمر استئصال بعض الأعضاء ، أو عزله في مكان عن الناس .

---

(١) التوبة : ٧١

(٢) أخرجه مسلم (٤٩) ، وأبو داود (١١٤٠) و (٤٣٤٠) ، والترمذي (٢١٧٣) ، والنسائي : ١١١/٨ ، وابن ماجه (٤٠١٣) .

(٣) النحل : ١٢٥

(٤) يوسف : ١٠٨

عباد الله .. إنَّ المعاصي إذا ظهرت فلم تُغَيَّر عمّ ضررها وخطرها جميع الأمة ، الصالح منهم والطالح ، فالعاصي يؤخذ بفعله ، وغير العاصي يؤخذ بمداهنته ومجاملته للعصاة وعدم إنكاره عليهم ، وقد ضرب صلى الله عليه وسلم لذلك مثلاً محسوساً - لعلكم تذكرونه - فقال صلى الله عليه وسلم : « مَثَلُ المدهن في حدود الله والواقع فيها مثل قوم استهموا سفينة فصار بعضهم في أسفلها وصار بعضهم في أعلاها ، فكان الذي في أسفلها يمر بالماء على الذين في أعلاها فتأذوا به . فأخذ فأسا فجعل ينقر أسفل السفينة ، فأتوه فقالوا له : مالك ؟ قال : تأذيتم بي ولا بد لي من الماء . فإن أخذوا على يديه أنجوه وأنجوا أنفسهم . وإن تركوه أهلكوه وأهلكوا أنفسهم » (١) .

فيا عباد الله .. ما لنا تقاعسنا عن القيام بهذا الواجب الإسلامي ، يرى الواحد منا ابنه أو أباه . أو جاره أو أخاه يترك الواجبات . ويقع في المحرّمات فلا يأمره ولا ينهاه . فلا بد أيها المسلمون من التعاون والتكاتف وقيام كل واحد بحقه من هذا الواجب العظيم طلباً للنجاة . والوصول إلى أشرف المقاصد ، وأعلى المراتب ، طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ ، والخلود في جنات النعيم .. فاتقوا الله عباد الله ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ ﴾(٢)

مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر وخذوا على يد السفيه ﴿وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾(٣)

---

(١) صحيح البخاري : ٥/٩٤ و ٢١٦ و ٢١٧

(٢) المائدة : ٢

(٣) الأنفال : ٢٥

اللّهم أصلح شأن المسلمين . واهدهم صراطك المستقيم .

اللّهم أبرم لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه أهل طاعتك ويذل فيه أهل معصيتك ، ويُؤمر فيه بالمعروف ويُنهى فيه عن المنكر .. إنك على كل شيء قدير .

أقول قولي هذا وأستغفر اللّه لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب .. فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

* *

١٧ - خيركم مَن تعلم القرآن وعلَّمه

(الخطبة الثانية)

الحمد لله ﴿ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾(١)

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللّهم صلِّ وسلِّم عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعهم أجمعين .

أما بعد ..

فيا أيها الناس .. اتقوا اللّه تعالى واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى . إن أحسن الحديث كتاب اللّه ، وخير الهَدْى هدى نبينا محمد ﷺ ، فأوصيكم بكتاب اللّه العزيز الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢﴾(٢)

احرصوا على تعلُّمه وتعليمه ، فخير هذه الأمة مَن تعلم القرآن وعلَّمه . وأكثروا من تلاوته وتدبروا معانيه . وأتمروا بأوامره وقفوا عند حدوده . واحذروا الصدود عن كتاب اللّه وهجرانه ، فما انصرفت أمة من الأمم عن كتابها وما انحرفت عن دينها إلا كان عاقبة أمرها الذل والهوان . والضلال والخسران .

وأكثروا من الصلاة والتسليم على النبي الكريم . فقد أمرنا اللّه بذلك في

---

(١) الملك : ١ - ٢

(٢) فصلت : ٤٢

كتابه المبين فقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾(١)

وقال صلى الله عليه وسلم : « مَن صلّى عليّ واحدة صلّى الله عليه بها عشراً » (٢) .

اللّهم صلِّ وسلّم على صاحب المقام المحمود والحوض المورود . وارض اللّهم عن الأربعة الخلفاء ، الأئمة الحنفاء : أبي بكر وعمر وعثمان وعليٍّ ، وعن بقية أصحاب نبيك أجمعين وأهل بيته الطيبين الطاهرين ، ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . وارض عنا معهم بمنك وجودك يا أرحم الراحمين .

اللّهم أعز الإسلام والمسلمين ، وأذل الشرك والمشركين ، ودمر أعداء الدين . واحم حَوْزة الإسلام يارب العالَمين .

اللّهم أدم علينا نعمة الأمن والإيمان . وادفع عنا الغلا والوبا ، والربا والزنا ، والزلازل والمحن ، وسوء الفتن ما ظهر منها وما بطن ، عن بلدنا هذا خاصة وعن جميع بلدان المسلمين .

اللّهم احفظ إمامنا ووفقه لما يصلح العباد والبلاد ، وارزقه بطانة صالحة تعينه على الخير وتفتح له أبوابه ، وتنهاه عن الشر وتقطع أسبابه .

اللّهم اجعل ولاية المسلمين في خيارهم لديك ، وانزعها من أشرارهم وأبغضهم إليك .

اللّهم اغفر للمسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات ، الأحياء منهم والأموات .

اللّهم فرِّج هم المهمومين ، ونفِّس كرب المكروبين ، واقض الدَّيْن عن المدينين ،

---

(١) الأحزاب : ٥٦

(٢) صحيح مسلم (٣٨٤) ، وأبو داود (٥٢٣) ، والترمذي (١٦١٩) ، والنسائي : ٢/٢٥

واشف مرضى المسلمين ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ ﴾(١)

عباد الله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾(٢)

وأكثروا من ذكر الله فإن به حياة القلوب وسعادة الشعوب ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾(٣)

* * *

(١) البقرة : ٢٠١

(٢) النحل : ٩٠

(٣) العنكبوت : ٤٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٨ - منافع التشريع الإسلامي

وبيان العقيدة الصحيحة (١)

(الخطبة الأولى)

الحمد لله الغني الحميد .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، صلَّى الله عليه وعلى آله وجميع أصحابه وأتباعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فأوصيكم وإياي بتقوى الله تعالى فإنها أساس كل خير وفلاح . وطريق كل سعادة ونجاح ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ۝٣

---

(١) ألقيت في ١٣٩٥/١١/١٨ هـ .

(٢) الطلاق : ٢ - ٣

وقد ورد الحديث بهذا المعنى عزاه السيوطي في الدر المنثور (٥٧٩/٧) إلى ابن مردويه والبيهقي عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه ، ولفظه : خطبنا رسول الله ﷺ في وسط أيام التشريق خطبة الوداع ، فقال : « يا أيها الناس ، ألا إن ربكم واحد ، ألا إن أباكم واحد ، ألا لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأسود على أحمر ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، ألا هل بلغت » ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ؛ قال : « فليبلغ الشاهد الغائب » ... الحديث ، وأصل الحديث في مسلم دون هذا اللفظ برقم (١٤٧) بسياق طويل والله أعلم .

أيها الناس .. إذا تأمل المتأمل قواعد دين الإسلام . وهَدْيه ونظامه في التشريع . وسياسته في التربية والإصلاح : عرف أن دين الإسلام وما اشتمل عليه من أمر ونهي . وأحكام وحدود . وعبادات . كل ذلك في صالح الإنسان . لإصلاح بدنه وإصلاح سلوكه وإصلاح ماله . والمحافظة على مقومات حياته . وتحقيق رفعته وعزته وكرامته .

لقد رسم دينُ الإسلام . دينُ اللّه الذي رضيه لعباده . دينُ المصطفى صلى اللّه عليه وسلم الذي اختاره لأمته . لقد رسم للأمة طريقاً مستقيماً تسير عليه في حياتها . وضع نظاماً سماوياً ثابتاً ودستوراً قيماً عدلاً . لا يخضع لرغبات الأهواء ، ولا دخل فيه لآراء البَشر والأغراض .

فيه العدالة والمساواة . لا يفرِّق بين غني وفقير ، ولا بين شريف ووضيع ، ولا بين ذكر وأنثى .. لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى [١] .

به يتحقق الأمن والاستقرار . وبه تُعطى الحقوق لأهلها . وبه يأمن الإنسان على دمه وماله وعِرضه .

فأركان الإسلام ودعائمه إذا اتبعها الإنسان بحق وإيمان . وأداها كما شُرِعت ، تعود عليه بالخير والعزة في دينه ودنياه .

فشهادة أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وأنَّ محمداً رسول اللّه . تربط العبد بخالقه الذي أوجده من العدم ، ورباه بجميع النِعَم . الذي بيده حياته وموته . وعزه وذله ، ونصره وخذلانه ، وصحته ومرضه ، وغناه وفقره ، منه المبتدأ وإليه المنتهى . فلا يستغني الإنسان عن خالقه طرفة عَيْن . فهو محتاج إليه دائماً وأبداً ، محتاج لنصره على النفس الأمَّارة بالسوء ، والشهوات المنحرفة ، والشيطان العدو المبين . وعلى الأعداء من جميع المخلوقين .

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الحجرات آية رقم ١٣ : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَكُمْ ﴾ ، وإلى حديث جابر بن عبد اللّه الأنصاري رضي اللّه عنه الذي مضى الآن تخريجه وإسناده حسن ، واللّه أعلم .

﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ ﴾[١]

واتصال الإنسان بخالقه في عباداته وإفراده بالعمل وإخلاص النية له والتوكلُ عليه يكسبه قوة وعزيمة وصبراً وجلداً .

وإقامُ الصلاة في أوقاتها مع جماعة المسلمين في المساجد يربط المسلم بأخيه المسلم ، يتعرف بعضهم على أحوال البعض الآخر . فمَن كان مريضاً عادوه . ومَن كان فقيراً أعانوه . ومَن كان غائباً حفظوا له .

وإيتاء الزكاة طُهْرة للمال [٢] ونماء له . ومواساة للفقراء . يحصل بها التعاطف والتراحم الذي هو أساس التعاون والتكاتف .

وصوم رمضان . صحة للأبدان . وتضييق لمجرى الشيطان . به يحس الغنى حاجة الفقير إلى الطعام طيلة أيام العام . فيعطف عليه ويواسيه .

وحج بيت الله الحرام تعظيم لشعائر الله وتجمع كبير شامل حافل ، فيه منافع كثيرة ، يحصل التعارف والتآخي . والتضامن والتكاتف وتوحيد الرأى والصفوف . والاعتصام بحبل الله جميعاً وحضور المنافع .

والحكُم بأحكام الإسلام . وإقامة حدود الله تقويم لحياة المجتمع وإصلاح لفساده . ومعالجة لأمراضه . ومحافظة على استقامته . وصيانة لحقوقه ، فلا يحصل الأمن والاستقرار إلا بتحكيم الإسلام وتنفيذ أحكامه . في جميع القضايا والحدود .

فالحمد لله الذي هدنا للإسلام ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله [٣] .

---

(١) آل عمران : ١٦٠

(٢) إشارة إلى قوله تعالى في سورة التوبة آية رقم ١٠٣ : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ ، وقد وردت الأحاديث الكثيرة في هذا المعنى ، والله أعلم .

(٣) إشارة إلى الآية ٤٣ من سورة الأعراف

فاتقوا الله أيها المسلمون ، ارجعوا إلى دينكم وحكِّموه فيما شَجَرَ بينكم :

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾

اتقوا الله أيها الناس ، لا تيأسوا من روح الله ولا تقنطوا من رحمة الله ..

﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٥٩﴾ ﴾(٢)

اللهم بارك لنا في القرآن العظيم ، وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر والحكيم .. واستغفروا الله إنه هو الغفور الرحيم .

* *

(١) النساء : ٦٥

(٢) الزمر : ٥٣ - ٥٩

١٨ - يجب أن تكون العبادة على وفق الشريعة

(الخطبة الثانية)

الحمد لله ، أحمده وأستعينه وأستغفره وأتوب إليه .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له . شهادة أرجو بها النجاة يوم العرض عليه .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، صلى اللّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد ..

فإن الأعمال الصالحة التي تُقرِّب إلى اللّه تعالى هي التي تكون على وفق هَدْى نبينا محمد ﷺ ، وكل عمل يخالف سُنَّة المصطفى صلى اللّه عليه وسلم مردود على صاحبه . قال عليه الصلاة والسلام : « مَن أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » [١] .

فما يفعله بعض الناس من العكوف عند قبور الصالحين والنياحة عندها ولطم الخدود . وما يفعله البعض الآخر من طلب الغوث والمدد وقضاء الحوائج من الأنبياء والمرسلين . وما يفعله البعض من طلب البركة من الحيطان والأعمدة والأبواب والشبابيك . كل هذا وأمثاله لم يكن من هَدْى النبي ﷺ ولا خلفائه الراشدين ولا أئمة الهدى .

وكذلك ما يفعله بعض الناس من التمسح بالأئمة والمؤذنين والعلماء والموظفين ، لطلب البركة منهم . كل هذا وأمثاله غير سائغ شرعاً ، وغير لائق

---

(١) إشارة إلى حديث عائشة رضي اللّه عنها ، البخاري برقم (٢٦٩٧) الصلح : ٣٠١/٥ - الفتح ، ومسلم في الصحيح في الأقضية باب (١٧) .

من إنسان مسلم يؤمن بالله وبرسوله ﷺ . فاتقوا الله أيها المسلمون ، تَفَهموا دينكم وتعرَّفوا على قواعده وأصوله .

وخذوا دينكم عن أئمة الهدى . واحذروا دعاة الزيغ والضلال . فلا تتخذوهم أولياء ، ولا تطيعوهم في معصية الله ومعصية رسوله ﷺ . وصلوا على البَشير النذير والسراج المنير . فقد أمرنا الله بذلك في كتابه العزيز ، فقال تعالى :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾(١)

* * *

(١) الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٩ - التحذير من الشذوذ

(الخطبة الأولى)

الحمد لله الذي هدانا للإسلام ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له . يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، بلّغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح للأمة .

صلّى الله وسلّم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فإن التعاطف وتبادل المعروف هو أساس المحبة .

والمحبةُ هي قاعدة التعاون . والتعاون هو طريق القوة والمنعة والنجاح .

ولهذا اعتنى دينُ الإسلام كلَّ العناية بأسباب التراحم والتعاون وأمر بها وحثَّ عليها . وبيَّن فوائدها وثمارها .

كما نهى عن أسباب الفُرقة والخلاف والشقاق ، وبيَّن أضرارها وعواقبها . فالرابطة القوية بين المسلم وأخيه المسلم هو الإيمان والمنهجُ المستقيمُ الموصل إلى الله تعالى . والاعتصام بهذه الرابطة والالتفاف حولها لا بد له من التعاطف والتراحم والتعاون على البر والتقوى .

---

(١) ألقيت في ٢/٢/١٤٠٠ هـ .

قال صلى الله عليه وسلم : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، مَثَلُ المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » (١) .

فهذه الصفات الإسلامية السامية يجب أن تكون هي النظام لأفراد الأسرة . ولأفراد المجتمع وجماعاته . وللراعي والرعية . فبها تتحقق المصالح وتدفع المفاسد . وهي أساس الحياة العزيزة الكريمة المتكافئة . وهي القوة التي تحصل بها الحصانة والمنعة . وهذه المعاني الخيِّرة شعور يغرسه الإسلام في قلب المسلم تظهر آثاره على الأفعال ، وقد لا تبرز إلا عند الحاجة إليها ، أو عند الاختبار .

والأحداث هي المحك الجلي والمختبر المتقن لفحص حقائق المعاني في النفوس .

وصدق الله العظيم حيث يقول : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾(٢)

فالأحداث هي التي تحرك المشاعر والهمم وتكسبها خبرةً ومعرفة . فربَّ ضارة نافعة .

إن تتبع الشذوذ وترك ما عليه جماعةُ المسلمين وسَلَف الأمة وصُلحاؤها . يُحدث تصدعاً ومسارب يدخل منها الشيطان لتنفيذ مخططاته ونصب شراكه .

الشيطان هو ذئب الإنسان يتحين الفرص لاصطياده . وإنما يأكل الذئبُ من الغنم القاصية . فعليكم - أيها المسلمون - بلزم جماعة المسلمين ، فإن يد الله مع الجماعة ، ومَن شذَّ شذ في النار ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾(١)

---

(١) مسلم : ١٦ / ١٤٠

(٢) البقرة : ٢١٦

(٣) آل عمران : ١٠٢ - ١٠٣

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في صحيح مسلم رحمه الله . قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « مَن مات وهو مفارق للجماعة فإنه يموت ميتة جاهلية » . أى تكون حاله ومآله مثل أهل الجاهلية والعياذُ بالله .

قوة التآخي والتعاطف بين أفراد هذه الأمة المسلمة المؤمنة في هذه البلاد المطهَّره . وبين ولاة الأمر فيها . والتحام المشاعر والقوى ، وهى كذلك - إن شاء الله تعالى دائماً وأبداً - تمثل صفاً واحداً على اتجاه واحد وخلف إمام واحد . فليس في صفها فرج يتخلل منه الشيطان وأعوانه . إنما هم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً . فلا فرحة لعدو ولا مدخل لمفسد . فالحمد لله الذي جمع القلوب بالإيمان فأصبحنا بنعمته إخوانا .

لقد رأينا بعين اليقين الصفات التي يتمتع بها قائد البلاد وإخوته . والروابط الوثيقة بينهم وبين أبنائهم متمثلة في زيارتهم للجرحى على أسِّرة العلاج ، تلك المشاعر الإسلامية التي برزت فيها روح الرحمة والشفقة والعطف والمشاركة في المشاعر والأحاسيس . وهذه من صفات المسلم المقتدي برسول الله ﷺ ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾(١)

فالحمد لله الذي جعل ولايتنا فيمَن هو من خيارنا ديناً ونسباً وعقلاً وأخلاقاً .

التضامن الإسلامي بين المسلمين في جميع أنحاء العالَم والوقوف صفاً واحداً ضد أى عدوان على الإسلام ومقدساته .

فالإسلام قوة فعَّالة مترابطةٌ وعزيمةٌ صادقة تسير على نور الله الذي جاء به محمد بن عبد الله ﷺ .

إن الأحداث تزيد المسلمُ قوة إيمان بالقدر . فالله سبحانه له حِكَمٌ وأسرارٌ في قدره وإرادته . لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه .

---

(١) التوبة : ١٢٨

إن العاقل يأخذ من الأحداث عبراً ودروساً . وإن أكبر عدو وأخطره على الإنسان هو العدو الأول الذي أخرجه من الجنة وبسببه تحصل المصائب والكوارث والعداوات بين الأمم .

فانتبه أيها المسلم وخذ حذرك وتحصن من عدوك بما آتاك الله من قوة وحصانة . تمسَّك بكتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ ونظام الإسلام . ولا تحسبنّ الأمر سهلاً لأنك لا تراه ﴿ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾(١) . وقد أقسم قسماً مؤكداً على أن يعمل على إهلاكك وتدميرك يابن آدم ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾(٢) ، فكل ما ترى في الكون من الفتن والقلاقل والشقاق والخلافات ، إنما هو من أعمال عدو الإنسان تبريراً لقسمه وحسداً من عند نفسه .

إن الشيطان لا يرضى عن الإنسان بالمال ولو أعطاه الدنيا كلها . لا يرضى إلا أن يكون من حزبه وجنوده وأتباعه . لا يرضى إلا أن يكون الإنسان مثله ظالماً مفسداً مخرباً حقوداً حسوداً . خائناً مكاراً مُحاداً لله ورسوله . يقوده معه إلى سخط الله وعقابه . وأخيراً يتخلى عنه في أشد العُسره وأمرّ الحسرة . لا تغفلوا عن مكره وغروره ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَٰٓءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ ﴾(٣)

فاتقوا الله يا أمة الإسلام ، اتقوا الله يا شباب الإسلام ، تعرَّفوا على

---

(١) الأعراف : ٢٧

(٢) الأعراف : ١٦ - ١٧

(٣) الأنفال : ٤٨

الإسلام وحقيقته . واعرفوا العدو من الصديق . واعرفوا الناصح من الغاش . وخذوا العلم من أفواه العلماء ، وجالسوا الأخيار والصلحاء . فما من سائر إلا وله دليل . فاجعلوا هداتكم من أهل المعرفة بالطريق لئلا تضلوا ، ولازموا جماعة المسلمين فإن يد اللّه مع الجماعة ، ومَن شذَّ شذ في النار . وتوبوا إلى اللّه جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون .

اللّهم ألهمنا رشدنا ، وقنا شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، وأعذنا من الشيطان وجنوده . واغفر لنا ولجميع المسلمين ، الأحياء والميتين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

١٩ - التعاون واجب

(الخطبة الثانية)

الحمد للّه الهادي إلى سبيل الرشاد . مَن يَهْدِ اللّه فهو المهتدي ، ومَن يُضلل فلن تجد له ولياً مرشداً .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاّ اللّه وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، وخيرته من خلقه .

صلى اللّه عليه وعلى آله وأصحابه ، ومَن تبعهم بإحسان ، وسلّم كثيراً .

أما بعد ..

فإنه من واجب الأمة الإسلامية التعاون لتحقيق مصالحها ودفع المفاسد عنها . والالتفاف تحت راية الإسلام . والاعتصام بحبل اللّه جميعاً . ويحرّم الإهمال والغفلة والتنصل من المسئولية . فكل فرد مسلم عليه واجب النصح والإصلاح لأمته . وجلب المصالح لهم ودفع المفاسد عنهم . يجب الانتباه واليقظة ومساندة ولاة الأمور ، والدعاء لهم بالتوفيق والصلاح ، فبصلاح الراعي تصلح الرعية ، وتجب مساعدتهم في أداء واجبهم لحفظ الأمن وإقامة العدل وتحكيم شرع اللّه . وتحقيق المصالح ودريء المفاسد ، والأخذ على يد السفهاء ، فولاة الأمر الذين يدينون بدين الحق ويحكمون بما أنزل اللّه ويقيمون العدل بين الناس . تجب طاعتهم ومعاونتهم بكل الإمكانيات في طاعة اللّه . ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال : قال رسول اللّه ﷺ : « مَن أطاعني فقد أطاع اللّه . ومَن عصاني فقد عصى اللّه ، ومَن يطع الأمير فقد أطاعني ، ومَن يعص الأمير فقد عصاني » .

يجب على مَن رأى إنساناً يريد السعي بالفساد أن يأخذ على يده أو يرفع أمره . وليس هذا مما ينبغي ستره . وإنما ستر عورات المسلمين في الأمور التي ليس فيها ضرر على العامة ، وليس فيها خطر على أمن البلاد ، وإنما يستر

المسلم في الجزئية الخفية التي يقتصر ضررها على فاعلها وحده . مع مناصحته وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، وكونوا أمة مسلمة متناصحة متعاضدة ، وصلُّوا على البشير النذير ، فقد أمرنا الله بذلك في كتابه المنير فقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾(١)

اللّهم صلِّ وسلِّم وبارك وأنعم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وارض اللّهم عن الخلفاء الراشدين : أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ . وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

اللّهم ارض عنا معهم بمنك وإحسانك يا أرحم الراحمين .

اللّهم أعز الإسلام والمسلمين . وأذل الشرك والمشركين ، ودمر أعداء الدين ، واحم حَوْزة الإسلام يارب العالَمين .

اللّهم آمنا في أوطاننا ، واحفظ إمامنا وولاة أمورنا ، ووفقهم لما فيه صلاح العباد والبلاد ، واجعلهم هداة مهتدين ، يقولون بالحق وبه يعدلون .

اللّهم أصلح شأن المسلمين واجمع كلمتهم ، ووحِّد صفوفهم وانصرهم على عدوك وعدوهم ، إنك على كل شيء قدير .

عباد الله .. ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾(٢)

فاذكروا الله العظيم يذكركم ، واشكروه على نعمه يزدكم ، ولَذِكْرُ الله أكبر والله يعلم ما تصنعون .

* * *

---

(١) الأحزاب : ٥٦

(٢) النحل : ٩٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢ - قبول التوبة رحمة من اللّه [١]

(الخطبة الأولى)

الحمد للّه ، أحمده وأستعينه . وأسغفره وأتوب إليه . وأعوذ باللّه من شرور أنفسنا .وسيئات أعمالنا ، ومن نزغات الشيطان وتضليله .

وأشهد أنْ لاَ إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له : ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ﴾[٢]

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، صلى اللّه عليه وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان ، وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد ..

فإن اللّه تعالى قد أنعم على خلقه نِعَماً كثيرة لا تُعَد ولا تحصى . ومن أعظم هذه النعَم وأجلّها وأكثرها نفعاً للناس عامة ، وللمؤمنين خاصة ، رحمة اللّه التي وسعت كل شيء . فهو الرحمن الرحيم . رحمن بجميع المخلوقين . ورحيم بالمؤمنين رحمة خاصة .

ومن رحمة اللّه تعالى بعباده فتح لهم باب التوبة . يسير الراكب في عَرضه أربعين عاماً . لا يُغلق حتى تطلع الشمس من مغربها [٣] ، واللّه يبسط يده بالليل ليتوب مسيىء النهار . ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل [٤] .

---

(١) ألقيت في ١٣٩٣/٧/٢٦ هـ .

(٢) غافر : ٣

(٣) أحمد في المسند : ٤ / ٣٤٠ من حديث صفوان بن عسال المرادي رضي اللّه عنه وفيه : « سبعون سنة » ، وإسناده حسن مع الشواهد .

(٤) مسلم في الصحيح : كتاب التوبة حديث رقم (خاص ٣١) ، و (عام ٢٧٥٩) من حديث أبي موسى الأشعري رضي اللّه عنه .

روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : قال الله تعالى : « يابن آدم ، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي . يابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرتُ لك ولا أبالي . يابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفره » (١) .

فعلى الإنسان مهما أسرف على نفسه . ومهما تمادى في معصية ربه . ومهما طال زمن معصيته أن يعلم أن له رباً كريماً رؤوفاً رحيماً قريباً يجيب دعوة الداع إذا دعاه . ويقبل توبة التائبين ، ويغفر ذنوب المستغفرين .

فلا ييأس من روح الله . ﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾(٢).

﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾(٣) ، فهو جلَّ شأنه يفرح بتوبة عبده إذا تاب إليه . ويُقبل إلى عبده إذا أقبل عليه . قال صلى الله عليه وسلم : « للهُ أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوبُ إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة . فانفلتت منه . وعليها طعامه وشرابه . فيئس منها . فأتى شجرة فاضطجع في ظلها وقد يئس من راحلته . فبينما هو كذلك ، إذ هو بها قائمةً عنده فأخذ بخطامها . ثم قال من شدة الفرح : اللّهم أنت عبدي وأنا ربك - أخطأ من شدة الفرح » (٤) .

---

(١) حديث قدسي أخرجه أحمد في المسند : ١٦٧/٥ من حديث أبي ذر رضي الله عنه ، وإسناده حسن ، وأخرجه أيضاً : ١٧٢/٥ ، والترمذي في جامعه والدارمي في سننه من هذا الوجه والله أعلم .

(٢) يوسف : ٨٧

(٣) الزمر : ٥٣

(٤) البخاري : الدعوات (الفتح) : ١١/ ٩٠ - ٩١ من حديث ابن مسعود رضي الله عنه ، ومسلم في الصحيح برقم (٢٧٤٤) : التوبة .

فانظر أيها المسلم إلى رحمة الله بعباده المؤمنين . وأعظم من ذلك فضلاً وإحساناً من الله تعالى أنَّ مَن تاب إليه وأناب صادقاً وعمل صالحاً يبدل الله سيئاته حسنات .

قال سبحانه في وصف عباد الرحمن : ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾(١)

فاتقوا الله عباد الله . وبادروا بالتوبة النصوح إلى الله . فإن الإنسان دائماً يخطيء بالليل والنهار ، ولا يدري متى تدركه المنية . هل يتمكن من التوبة في وقت أوانها . أو تدركه المنية وهو في غفلة فتأخذه على غرة . واعلموا أن الله كما أنه غفور رحيم فعذابه أليم . إن الله قوي شديد العقاب : وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾(٢)

فلا يجوز للإنسان أن يأمن من مكر الله . ولا أن يغره بالله الغرور ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾(٣) فينبغي للمسلم أن يسير بين جانب الرجاء وجانب الخوف . فيحرص على أسباب المغفرة والنجاة . ولا يتكل على عمله ، فإنه لن يدخل الجنة أحد بعمله . فإذا صح وقوى على العمل غلّب جانب الخوف . وإذا مرض وضعف عن العمل غلّب جانب الرجاء ، فاتقوا الله عباد الله . وأكثروا من ذكر الله وحمده واستغفاره ، فمَن لازم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجاً . ومن كل هم فرجاً . ورزقه من حيث لا يحتسب .

---

(١) الفرقان : ٦٨ - ٧٠

(٢) هود : ١٠٢

(٣) الأعراف : ٩٩

اللّهم أنت اللّه لا إلَهَ إلاّ أنت ، نستغفرك اللّهم ونتوب إليك .

اللّهم اغفر لنا جدنا وهزلنا . وخطأنا وعمدنا .. وما قدّمنا وما أخّرنا ، وما أسررنا وما أعلّنا ، وما أنت أعلم به منا .

اللّهم اغفر لنا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

٢ - الاستغفار مفاتيح الخير

(الخطبة الثانية)

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه [١] .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، صلّى اللّه عليه وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فيا أيها المسلمون : اتقوا اللّه تعالى واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى . واحذروا أسباب سخط الجبار فإن أقدامكم على النار لا تقوى . واعلموا أن الاستغفار هو مفاتيح الخير . وسبب الرحمة والغفران ، يحت الخطايا كما تحت الرياح ورق الشجر عند جفافها . وتقرَّبوا إلى اللّه بالأعمال الصالحة ﴿ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾[٢]

وأكثروا من الصلاة والتسليم على النبي الكريم ، فقد أمرنا اللّه بذلك في كتابه المبين فقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾[١]

---

(١) هذه جزء من حديث رفاعة بن رافع الزرقي رضي اللّه عنه - البخاري برقم (٧٩٩) الفتح ، - الأذان باب رقم (١٢٦) .

(٢) هود : ١١٤

(٣) الأحزاب : ٥٦

وقال صلى الله عليه وسلم : « مَن صلّى عليّ مرة صلّى الله عليه بها عشراً » (١) .

اللّهم صلِّ على عبدك ورسولك محمد صاحب الوجه الأنور ، والجبين الأزهر ، وآته الوسيلة والفضيلة . والدرجة الرفيعة . وابعثه المقام الذي وعدته .

اللّهم ارض عن الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء ، أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ ، وعن بقية أصحاب نبيك أجمعين وأهل بيته الطيبين الطاهرين . وارض عنا معهم بمنك وإحسانك يا أرحم الراحمين .

اللّهم أعز الإسلام والمسلمين . وأذل الشرك والمشركين ، ودمر أعداء الدين . واحم حَوْزة الإسلام يارب العالَمين .

اللّهم أدم علينا نعمة الإيمان والأمان . واجعل ولايتنا وولاية جميع المسلمين في يد مَن آمن بك واتقاك واتبع رضاك ياحى يا قيوم .

اللّهم ادفع عنا الغلا والوبا ، والربا والزنا ، وجميع المحن وسوء الفتن ، ما ظهر منها وما بطن ، عن بلدنا هذا خاصة وعن جميع بلدان المسلمين .

اللّهم فَرِّج هم المهمومين . ونفِّس كرب المكروبين . واجبر قلوب المنكسرين . واخلف على الغارمين . واقض الدَّيْن عن المدينين . واشف المسلمين .

اللّهم اغفر للمسلمين والمسلمات ، الأحياء منهم والأموات .

اللّهم نَوِّر على أهل القبور قبورهم . اللّهم تب على التائبين واغفر ذنوبهم . وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ

---

(١) مسلم : في الصلاة ، باب « الصلاة علي النبي ﷺ » حديث رقم (٤٠٨) ، والترمذي في جامعه برقم (٤٨٥) ، وذلك من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وأخرجه أحمد في المسند : ٣٠/٤ ، وذلك من حديث أبي طلحة الأنصاري رضي الله عنه بهذا المعني ومع زيادة .

وَإِيتَآيِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾(١)

فاذكروا الله العظيم يذكركم . واشكروه على نعمه يزدكم .. ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾(٢)

* * *

(١) النحل : ٩٠

(٢) العنكبوت : ٤٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢١ - الولاية لله لا للعمال غير المسلمين [١]

(الخطبة الأولى)

الحمد لله القوى العزيز .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[٢]

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، أرسى قواعد الإيمان وحمى حماه ، صلّى اللّه عليه وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فإن الولاء والبراء قاعدتان من قواعد الإيمان لا يستقيم أمر المؤمن إلا بهما ، ولا تقوم عزة المسلمين إلا عليهما ، ولا تحصل الوقاية والمنعة للمسلمين إلا بهما ، وهاتان القاعدتان هما المذكورتان فى قوله تعالى ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾[٣] وقوله ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾[٤] وقوله : ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٥]

---

(١) خُطِب بها فى ٢١/١٠/١٤٠٩ هـ ، ونقلت حية على الهواء فى التلفاز .

(٢) المنافقون : ٨

(٣) البقرة : ٢٥٦

(٤) التوبة : ٧١

(٥) آل عمران : ٢٨

فالولاء هو محبة حزب الله والنصح لهم : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » (١) ، « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد » (٢) ، « المسلم أخو المسلم » (٣) ، « مَن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم » (٤) .

وأما البراء فهو بغض كل ما يُعبد من دون الله ومقاطعته ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ﴾(٥)

وعلى قاعدتي البراء والولاء نظَّم الإسلام صلة المسلم بغير المسلم باعتبار حال غير المسلم ومعاملته مع المسلمين .

ويمكن تلخيص ذلك فيما يلي :

أولاً : إذا كان غير المسلم معاد للمسلمين يقاتلهم ويؤذيهم ويخرجهم من ديارهم ويقف أمام دعوة الإسلام ، فهذا تجب معاداته ومنابذته وجهاده ، ولو كان

---

(١) أخرجه الشيخان : البخاري في الإيمان ، باب « من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه » حديث رقم (١٣) : ٥٦/١ - الفتح ، ومسلم برقم (٤٥) ، الإيمان كلاهما من حديث أنس بن مالك .

(٢) الشيخان من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما : البخاري في الأدب : ٣٦٧/١٠ - الفتح ، ومسلم برقم (٢٥٨٦) في البر والصلة .

(٣) الشيخان من حديث ابن عمر رضي الله عنهما : البخاري في المظالم : ٧١/٥ ، ومسلم برقم (٢٥٨٠) في البر والصلة .

(٤) هذا جزء من حديث أخرجه الحاكم في المستدرك : ٣١٧/٤ من حديث حذيفة رضي الله عنه وإسناده فيه متروك وهو إسحاق بن بشر البخاري ، انظر : لسان الميزان : ٣٥٤/١ ، ولكن معناه صحيح والله أعلم .

(٥) الممتحنة : ٤

﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾(١) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾(٢) ﴿ وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴾ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾(٤) ﴿ لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ ﴾(٥) ﴿ لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ ﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾(٧)

ثانياً : أن يكون غير المسلم معاهداً للمسلمين مسالماً لهم لا يؤذيهم ولا يعين عليهم ، فهؤلاء يجوز برهم والإقساط إليهم والوفاء بعهدهم ، دون الموالاة في الدين ، بل مع بغض أعمالهم ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾(٨) ، وخاصة منهم من له قرابة أو ليست له شوكة ولا مناصرة كالرهبان والنساء والأطفال .

---

(١) المجادلة : ٢٢

(٢) الممتحنة : ١

(٣) التوبة : ٣

(٤) المائدة : ٥١

(٥) المائدة : ٥٧

(٦) الممتحنة : ١٣

(٧) التوبة : ٢٨

(٨) الممتحنة : ٨

ثالثاً : أن يكون غير المسلم يُخشَى منه شرٌ على المسلمين في بلد أو زمن ، فللمسلم أن يتقي شره ﴿ لَا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ ﴾(١)

ومن هذا تظهر عدالة الإسلام وحفظه للحقوق ورحمته للخلق واحترامه للإنسانية ، فهو يسالم مَن سالمه ويعادي مَن عاداه ، ويرحم المستضعفين ويعدل بين العالمين .

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾(٢) ﴿ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ ﴾(٣) ﴿ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾ ﴾(٤)

بقى أن نعرف هل استعمال غير المسلمين من الولاء المنوع وإن كانوا معاهدين مسالمين ؟

الحكم في ذلك لقول نبي الرحمة ورسول الهداية صلي الله عليه وسلم . عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : أن رسول الله ﷺ : « خرج إلى بدر فتبعه رجل من المشركين فقال : إني أردتُ أن أتبعك فأصيبُ معك . قال : « أتؤمن بالله ورسوله » ؟ قال : لا . قال : « ارجع فلن نستعين بمشرك » .. وأعاد الرجل الطلب ثلاث مرات وفي الثالثة أسلم فتبعه » (٥) .

---

(١) آل عمران : ٢٨

(٢) الأنبياء : ١٠٧

(٣) الأنفال : ٦١

(٤) النساء : ٩٠

(٥) أخرجه مسلم في الصحيح ، كتاب الجهاد والسير ، باب (٥١) حديث رقم (١٥٠ خاص) ، (عام ١٨١٧) : ١٤٤٩/٣ ، وكذا السنن الأربعة وذلك من حديث عائشة رضي الله عنها .

وفي حديث حبيب بن عبد الرحمن عن أبيه عن جده أنه أتى هو ورجل معه رسول الله ﷺ قبل أن يسلما . للخروج معه في غزوة فردهما فأسلما وتبعاه [١] .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لا تستضيئوا بنار المشركين » - يعني لا تأخذوا برأيهم ولا تستنصحوهم ولا تشاركوهم وباعدوهم ولا تساكنوهم [٢] . كما فى الحديث : « أنا برئ من كل مسلم بين ظهراني المشركين » [٣] .

وعلى هذا سار الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم ، قال أبو موسى الأشعري لعمر رضي الله عنهما : إن لى كاتباً نصرانياً . قال : مالك قاتلك الله ؟ أما سمعت الله يقول : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ﴾[٤] ألا تتخذ حنيفاً ؟ قال : يا أمير المؤمنين لى كتابتُه وله دينه قال : لا أكرمهم إذ أهانهم الله ، ولا أعزهم إذ أذلهم الله ، ولا أدْنيهم إذ أقصاهم الله [٥] ، وكتب عمر إلى عماله : أما بعد .. فإنه مَن كان قِبَله كاتب من المشركين فلا يعاشره ولا يوازره ولا يجالسه ولا يعتضد برأيه ، فإنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يأمر باستعمالهم ولا خليفته من بعده .

وكتب إلى أبي هريرة رضي الله عنه : أما بعد .. فإنَّ للناس نُقْرة من سلطانهم فأعوذُ بالله أن تدركني وإياك ، أقم الحدود ولو ساعة من النهار ، وإذا

---

(١) الحاكم في المستدرك : ١٢٢/٢ ومن ذلك طريق خبيب بن عبد الرحمن بن الأسود وعن أبيه عن جده وإسناده صحيح ، انظر : نصب الراية للزيلعي : ٤٢٣/٣

(٢) أورده الترمذي معلقاً : ١٥٦/٤ من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه .

(٣) أخرجه الترمذي فى جامعه برقم (١٦٠٤) كتاب السير ، وذلك من حديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه ، وقد حكم عليه الترميذ بالإرسال ، والله أعلم .

(٤) المائدة : ٥١

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير ، ذكره ابن كثير في التفسير : ٥٩١/٢ وفي إسناده سماك ابن حرب وهو ثقة - إن شاء الله - يحتج بحديثه .

حضرك أمران أحدهما للّه والآخر للدنيا فآثر نصيبك من اللّه فإن الدنيا تنفد ، والآخرة تبقى ، عُد مرضى المسلمين ، واشهد جنائزهم ، وافتح بابك وباشرهم ، وأبعد أهل الشرِّ وأنكر أفعالهم ، ولا تستعن في أمر من أمور المسلمين بمشرك ، وساعد على مصالح المسلمين بنفسك ، فإنما أنت رجل منهم غير أنَّ اللّه تعالى جعلك حاملاً لأثقالهم .

ودرج على ذلك الخلفاء الذين لهم ثناء حسن في الأمة ، والحمد للّه الذي حَمَى هذه البلاد من الشرك وأهله فلم يسكنها مشرك ولا مستعمر . ولم يستعمل على المصالح العامة للمسلمين أحد غيرهم : ﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾[١]

اللّهم إنّا نعوذ بك من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا .

اللّهم بارك لنا فى قرآننا وانفعنا بهَدْيه وأنواره ، وثبتنا على الحكم بأحكامه والتأدب بآدابه : ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[٢]

* *

(١) الممتحنة : ٥

(٢) النور : ٣١

٢١ - الذين يستقدمون عمال غير مسلمون

(الخطبة الثانية)

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، صلّى اللّه عليه وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان وسلم تسليماً مباركاً كثيراً .

أما بعد ..

فإن نبينا محمداً ﷺ قد جاهد وصبر وصابر ، حتى أظهر اللّه دينه وأعلى كلمته : ﴿ وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[١] . وطهّر هذه البلاد من أدناس الوثنية وأرجاس الطاغوت ، وأمر بالمحافظة عليها فقال صلى اللّه عليه وسلم : « لا يُترك في جزيرة العرب دينان » [٢] . وفي لفظ : « لا يجتمع دينان في جزيرة العرب » (رواه الإمامان مالك وأحمد رحمهما اللّه) [٣] ، وقال في شرح الموطأ : لا يبقى فيها يهودياً ولا نصرانياً ولا ذمياً يقيم فيها . وإنما يُسمح لهم بالمرور فيها .

وقال النووي : قال العلماء : لا يُمكّنون من الإقامة فيها أكثر من ثلاثة أيام ..

---

(١) التوبة : ٤٠

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند : ٦/٢٧٥ ، وذلك من حديث عائشة رضي اللّه عنها ، وذلك من طريق محمد بن إسحاق المطلبي صاحب السيرة ، وقد صرح بسماعه عن شيخه صالح بن كيسان وإسناده حسن وأخرجه مالك في موطئه ، في فضائل المدينة باب (١٧ - ١٩) ، وهو بلاغ عن الزهرى . حديث رقم (١٧١٦) باب (٦٢) : ما جاء في إجلاء اليهود من المدينة .

(٣) ولفظ مالك : « لا يجتمع دينان في جزيرة العرب » .

أما مكة وحرمها والمدينة وحرمها فلا يُمكَّن كافر من دخولهما ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ﴾(١)

فمن عهد النبوة إلى هذا الزمن لم يدخلهما مشرك من فضل الله ورعايته ، أما غيرهما ففي الأعوام القريبة لما فتح الله علينا كنوز الأرض وأنعم علينا بنِعَم لا تحصى . وكثرت الخيرات استولى داء الترف على كثير من الناس واشتغل البعض بالدنيا عن الاهتمام بدينهم ومصالح بلادهم ، وعن واجب الأخوة الإسلامية ، صاروا يستقدمون عمالاً من غير المسلمين من الفلبين وغيرها ، إنَّ مواطناً عربياً مسلماً استقدم لإحدى الشركات خمسة آلاف عامل ليس فيهم مسلم واحد ، ويفخر بهذا ويتحدث به في المجالس ، نسأل الله لنا وله الهداية ولأمثاله . أليس عمله هذا مخالف لأمر رسول الله ﷺ ؟ أليس هذا العمل عقوق بإخوانه المسلمين ؟ أليس هذا إهدار لكرامة البلاد ؟ أليس هذا يدل عدم المبالاة بمصالح البلاد ودينها وعقيدتها وأخلاقها ؟ أيظن هذا المسكين أن الكافرين أنصح له من المسلمين ؟ إنهم كما قال الله فيهم : ﴿ وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً فَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَلَا نَصِيرًا ﴾(٢) ﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ﴾(٣) ﴿ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ ﴾(٤) ﴿ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ ﴾(٥) ﴿ هَٰٓأَنتُمْ أُولَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ ﴾(٦)

(١) التوبة : ٢٨

(٢) النساء : ٨٩

(٣) آل عمران : ١٢٠

(٤) جزء من آية آل عمران : ١١٨

(٥) النساء : ٥١

(٦) جزء من آية آل عمران : ١١٩

اتقوا الله أيها المسلمون : ﴿ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴾(١) ، الرجوع إلى الحق أحق من التمادي في الباطل ، ومَن تاب تاب الله عليه .

أحضر رجل عمالاً لمزرعته من غير المسلمين .. وكأنه لم يتأمل الفرق بين المسلم وغيره .

وفي يوم من الأيام وعند طلوع الشمس رآهم يُخرجون صورة يعبدونها من دون الله ، فأزعجه ذلك وتاب إلى الله وأرسلهم إلى بلادهم واستعاض عنهم عمالاً مسلمين فكانت موعظة له فانتبه من غفلته .

هناك دعايات بأن غير المسلمين أكثر نصحاً وأكبر كفاءة من المسلمين . وإنما هذه أوهام من وحي الشيطان وأعوانه ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾(٢)

غش وتضليل وكذب وبهتان : ﴿ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴾(٣) ، الواقع من التاريخ والواقع الحاضر يكذّب هذه الدعاية . مَن الذي غدر برسول الله ﷺ في المؤامرة والسم (٤) والمعاندة ؟ مَن الذي غدر بأمير المؤمنين عمر (٥) وعليّ ؟ (٦) مَن الذي أدخل الشقاق بين المسلمين ؟ إنما هم

---

(١) النساء : ١٤٤

(٢) الأنعام أول الآية ١١٢ وأخرها ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ .

(٣) طه : ١٢٠

(٤) إشارة إلى حديث اليهودية التي وضعت السم في الشاة ، أخرج حديثها البخاري في الصحيح حديث رقم (٤٢٤٩) : ٤٩٧/٧ ، المغازي - الفتح ، وذلك من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٥) إشارة إلى استشهاد عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديث أخرجه البخارى في الصحيح كما أشار إليه الحافظ في الإصابة ، رقم الترجمة (٥٧٣٦) : ٥١٨/٢

(٦) اقرأ قصة استشهاد على بن أبي طالب رضي الله عنه في الإصابة للحافظ ابن حجر ، رقم الترجمة (٥٦٦٨) : ٥٠٧/٢ - ٥١٠ ، وقد استشهد رضي الله عنه ليلة السابعة عشر من رمضان سنة ٤٠ هـ .

اليهود والنصارى والمجوس . والذين أشركوا . ولو وُجِدَ مَن يتصنع - في الظاهر - بالنصح والأمانة في المعاملة فإنما هو لهدف دنيوي ينتهي بانتهائه .

أما المسلم فيعمل من أجل الله ، والله تعالى حي قيوم .

وقد أثبتت التجارب أن الأطباء المسلمين والمهندسين المسلمين أكثر ذكاءً ونجاحاً وإتقاناً من غيرهم ، لأنهم يستعينون بالله في أعمالهم فيُعينهم ويوفقهم ويوجههم للتي هي أقوم ، ولكن ضعف الإيمان والجهل بقواعد الإيمان مصيبة من المصائب يحمل الإنسان على أن يقول بدون تفكير ، وإذا وُجِد في المسلمين مَن يخالف ما يوجبه الدين من نصح وأمانة فقد اختلسه إبليس ، وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية [١] .

فاتقوا الله أيها المسلمون . أليس من الواجب موالاة المسلمين دون الكافرين ؟ أليس من الأفضل أن نستغل أموالنا وطاقاتنا وإمكانياتنا في الدعوة إلى الإسلام ؟ ومناصرة المسلمين بدلاً من تشجيع المشركين وإيثارهم على المسلمين ؟ توبوا إلى الله : ﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ ﴾[٢] ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١١٩﴾ ﴾[٣]

وصلُّوا على البشير النذير صلى الله عليه وسلم .....

* * *

(١) إشارة إلى حديث أبي الدرداء رضي الله عنه ، أخرجه الإمام أحمد في المسند : ١٩٦/٥ ، ٤٤٦/٦ ، وإسناده جيد ، وكذا أبو داود في الصلاة باب (٤٦) ، والنسائي في الصغرى : الإمامة (٤٨) .

(٢) المائدة : ٣٩

(٣) النحل : ١١٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٢ - التحذير من البدع [١]

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[٢]

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، صلّى اللّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد ..

فأوصيكم وإياي بتقوى اللّه تعالى ، ومراقبته في السر والعلانية .

عباد اللّه .. لقد أكرم ربنا تبارك وتعالى أمة محمد ﷺ بكرامات ، وخصها بخصائص ، وفضّلها على سائر الأمم ، بعث فيهم رسولاً من أنفسهم هو أفضل الخلق ، وأقربهم عند اللّه تعالى ، أدَّبه فأحسن تأديبه ، وربَّاه فأحسن تربيته : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[٣] ، ورفعه منزلة لم يبلغها أحد سواه : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾[٤]

شرع لها ديناً قيِّماً ، وأنزل إليها قرآناً عربياً منزهاً مطهراً ، فيه قول الحق .

---

(١) ألقيت في ١٣٩٧/٧/١٤ هـ .

(٢) فاطر : ١

(٣) القلم : ٤

(٤) التوبة : ١٢٨

وفصل العدل . جعلها أمة وسطاً ، خير أمة أخرجت للناس ، هم الآخرون في الدنيا ، وهم الأوّلون يوم القيامة [١] .

لقد أكرمنا الله تعالى بهذا الرسول العظيم ، نبينا محمد بن عبد الله ﷺ ، أعطاه فواتح الكلام ، وخواتمه [٢] ، وجوامع الحديث ومحاسنه . اتخذه الله خليلاً وكليماً ، وخصّه بالشفاعة العظمى والمقام المحمود ، وأعطاه الحوض المورود ، أسري به ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، قطع مسيرة أربعين ليلة في جزء من ليلة ، وعُرِجَ به إلى السماء حتى بلغ سِدْرة المنتهى ، فرأى من آيات ربه الكبرى ، رأى البيت المعمور في السماء السابعة يدخله كل يوم سبعون ألف مَلَك يعبدون الله ، ولا يعودون إليه ، رأى سدرة المنتهى وما غشيها من أمر الله تبارك وتعالى ، ورأى الجنة والنار .

فرض الله عليه في ذلك الموقف ، خمسين صلاة ، فما زال يراجع ربه ويسأله التخفيف لأمته ، حتي جُعلت خمس صلوات ، وهي تعدل في الأجر خمسين صلاة ، وهذا دليل على عظمة الصلاة وأهميتها ومكانتها عند الله تعالى ، ثم أُهْبِط صلى الله عليه وسلم إلى بيت المقدس ، وهبط معه الأنبياء وصلّى بهم إظهاراً لشرفه وفضله عليهم [٣] .

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [٤]

---

(١) إشارة إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه مسلم في الصحيح ، حديث رقم (خاص ٢٠) ، و (عام ٨٨٥) - الجمعة : ٢/٥٨٥ - ٥٨٦ ، وابن ماجه في الزهد من سننه باب (٣٤) من هذا الوجه واللفظ .

(٢) إشارة إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه : البخاري برقم (٦٩٩٨) التعبير : ١٢/٣٩٠ ، وكذا مسلم : المساجد - حديث رقم (٥ - ٨) .

(٣) إشارة إلى حديث أنس رضي الله عنه : البخاري برقم (٣٢٠٧) : ٦/٣٠٢ (الفتح) .

(٤) الإسراء : ١

أيها المسلمون .. إنه لم يرد في القرآن الكريم ولا في السُنَّة المطهرة ذكر تاريخ الإسراء والمعراج ، كما أنه لم يرد في القرآن ذكر تاريخ فرض أركان الإسلام . ومَن حدده بيوم معلوم فهو قول بلا دليل صحيح ، ومن هنا يُعلم أن تاريخ الوقائع الشرعية وتاريخ التشريع ، والأحكام ، كالصلاة والزكاة والصوم والحج ، لا يترتب عليه عبادة مشروعة . ولا مقصد ديني ، ولا مصلحة للأمة ، وإنما المشروع هو فهم النصوص والأحكام والآيات والعملُ بها في أوقاتها المشروعة لها ، فلا يجوز أن يُتخذ تاريخ شيء من هذه الوقائع الإسلامية ، ولا الأحداث التاريخية عيداً وذكرى ، ولا أن يُخَص بعبادة دون بقية الأيام لم تكن مشروعةً بنص من القرآن الكريم ، أو السُنَّة الصحيحة ، ولذلك لم يُذكر في القرآن ولا في سُنَّة النبي ﷺ تاريخ الإسراء والمعراج ، لعدم وجود فائدة شرعية في ذكر التاريخ ، وإنما الفائدة في فهم ما ورد في قصة المعراج والإسراء من الآيات والمعجزات الدالة على وحدانية اللّه ، وكمال قدرته ، وعظيم صنعه ، وقوة قهره ، والعمل بما فيها من تشريع .. وذلك يكون في جميع الأيام .

والعبادات مبناها علي التوقيف ، والنصوص ، والتشريع ، فلا يجوز أن يُعبد اللّه إلا بما شرعه على لسان رسوله محمد ﷺ ، ومن المعلوم أن نبينا محمداً ﷺ ما ترك أمراً من أمور الخير إلا ودلَّ أمته عليه ورغَّبها فيه : ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾(١) فلم يشرع الإسلام عيداً ولا ذكرى ، ولا عبادات مخصوصة كيوم الإسراء والمعراج ، ولا يوم المولد النبوي المطهَّر - صلى اللّه عليه وسلم ، ويعلم أيضاً أن الخلفاء الراشدين وأصحاب النبي رضي اللّه عنهم أجمعين . هم أسرع الناس إلى فعل الخير . وهم أشد الناس حباً لنبينا محمد ﷺ ، وأحرصُهم على القرب من اللّه تعالى ورسوله ، فلم يُنقل عن أحد منهم أنه فعل عبادة مخصوصة ، ولا أنه اتخذ شيئاً من هذه التوراريخ عيداً وذكرى ، ولا أنه حثَّ على ذلك ورغَّب فيه ،

---

(١) المائدة : ٣

وكذلك لم يُنقل عن أحد من التابعين . ولا عن أحد من أئمة الهدى والراسخين في العلم أنه فعل شيئاً من ذلك أو حثَّ عليه ، وإنما هذه كلها وما شاكلها بدع مُحْدَثه في الدين غير مشروعة ، بدعة دينية غير حسنة حدثت في القرون المتأخرة : لما ضعفت قوة الإيمان من النفوس .

حدثت لما تقلص الفهم الصحيح لكتاب اللّه وسُنَّة رسوله ﷺ ، حدثت لما ابتعد المسلمون عن إسلامهم ، ونشطت دعوة أعداء الإسلام ، ووجدت رواجاً وقبولاً في الأوساط الإسلامية ، فصاروا يكيدون للإسلام ويدسون عليه الدسائس ، فمَن انقاد لهم أخرجوه من دينه وأبعدوه عن إسلامه وعقيدته ، ومَن أبي أدخلوا عليه هذه البدع لإضعاف عقيدته واشتغاله بالبدعة عن السُنَّة ، وإيجاد مجتمعات غير مشروعة يحصل فيها المعاصي ، واللعب واللهو والفساد باسم الإسلام وتحت ستار الإسلام .

فاتقوا اللّه أيها المسلمون ، تمسكوا بقواعد دينكم وعقيدتكم ، وحافظوا على قوة إيمانكم ، وتمسكوا بسُنَّة نبيكم ، عضواً عليها بالنواجذ [١] فإن في ذلك كلَّ الخير والسعادة والنجاة ، وفيه الكفاية والكمال ، واحذروا البدع والمحدثات من الأمور : « فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكلَّ ضلالة في النار » [٢] ، « مَن عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد » [٣] . « مَن أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » [٤] .

---

(١) إشارة إلى حديث العرباض بن سارية رضي اللّه عنه : أحمد في المسند : ١٢٦/٤ ، وإسناده صحيح .

(٢) إشارة إلى حديث جابر بن عبد اللّه الأنصارى رضي اللّه عنه ، انظر الفتح : ٥١١/١٠

(٣) مسلم برقم (١٧١٨) ، وعلقه البخارى في الصحيح : ٢٩٨/٤ (الفتح) .

(٤) البخاري : ٢٩٥/٤ ، ومسلم برقم (١٥١٦) كلاهما من حديث عائشة رضي اللّه عنها .

قيسوا الأمور بمقياس الكتاب والسُنَّة ، وأي عمل ليس عليه أمر اللّه وأمر رسوله ﷺ ، فهو مردود على صاحبه ، لا تقبلوه ولا تعملوا به ، واستعينوا باللّه في جميع الأمور ، واسألوه التوفيق والهداية والسداد ، فكل شيء بيده وكل الأمور منه وإليه .

اللّهم بارك لنا في القرآن العظيم ، وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم .

اللّهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه .

أقول قولي هذا ، وأستغفر اللّه العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب فاستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم .

* *

٢٢ - الوصية بالتقوى واتباع الكتاب والسنة

(الخطبة الثانية)

الحمد لله ، أحمده وأستعينه وأستغفره وأتوب إليه .

وأعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، مَن يَهْدِ الله فلا مضل له . ومَن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله . حبيبُ الله وخليله ، صلَّى الله وسلَّم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان .

أما بعد ..

فيا أيها المسلمون .. أوصيكم وإياى بتقوى الله تعالى . واتباع كتابه وهَدْي نبيه ﷺ . وسُنَّة الخلفاء الراشدين من بعده . عضواً عليها بالنواجذ . واحذروا البدع في الدين : « فإن كل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار » (١) .

وصلُّوا على الرسول الكريم ، فقد أمرنا الله بذلك في كتابه المبين . فقال جلَّ منْ قائل عليماً : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾(٢)

وقال صلى الله عليه وسلم : « مَن صلَّى عليَّ مرة واحدة صلَّى الله عليه بها عشراً » (٣) .

---

(١) انظر : الفتح : ١٠/٥١١ ، وقد مضى الآن وهو من حديث جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه .

(٢) الأحزاب : ٥٦

(٣) فضل الصلاة على النبي ﷺ ، لإسماعيل القاضى ص ٦٢ حديث رقم (٨) ، (٩) من حديث أبى هريرة رضي الله عنه وإسناده صحيح .

اللّهم صلِّ وسلّم وبارك وأنعم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، صاحب المقام المحمود والحوض المورود . وارض اللّهم عن الأربعة الخلفاء الراشدين الهادين المهديين أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ . وعن بقية أصحاب نبيك أجمعين ، وأهل بيته الطيبين الطاهرين . وعن التابعين ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

اللّهم ارض عنا معهم بمنك وإحسانك يا أرحم الراحمين .

اللّهم أعز الإسلام والمسلمين ، وأذل الشرك والمشركين ، ودمر أعداء الدين ، واحم حَوْزة الإسلام يا رب العالمين .

اللّهم مَن أراد المسلمين بسوء أو مكيدة فاشغله في نفسه . واجعل تدميره في تدبيره .

اللّهم وَحِّد صوف المسلمين . واجمع كلمتهم . ولمّ شعثهم وقوِّ شوكتهم . وانصرهم على أعدائهم .

اللّهم آمنا في أوطاننا . وانصر واحفظ إمامنا ووفقه لما فيه صلاح الدين والدنيا .

اللّهم أصلح جميع ولاة أمور المسلمين ، وانشر الأمن في أوطانهم .

اللّهم اغفر للمسلمين والمسلمات . الأحياء منهم والأموات .

اللّهم فَرِّج هم المهمومين . واقض الدَّيْن عن المدينين ، واشف أمراض المسلمين .

عباد الله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ ﴾[1]

فاذكروا الله العظيم يذكركم ، واشكروه على نعمه يزدكم : ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾[2]

* * *

(١) النحل : ٩٠ - ٩١

(٢) العنكبوت : ٤٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٣ - التفريق بين السُّنَّة والبدعة [١]

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[٢]

﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾[٣]

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له ، أمر بالعدل والإحسان ، ونهى عن الفحشاء والمنكر [٤] .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله . بلّغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح للأمة [٥] وجاهد في اللّه حق جهاده .

صلّى اللّه وسلّم عليه وعلى آله وأصحابه . ومَن آمن به واتبع مِلّته .

أما بعد ..

فإن التشريع الإسلامى مرتبط بعضه ببعض . فكل أوامره ونواهيه . وتوجيهاته متلازمة . فلا بد من الأخذ بها كلها . فلا يصْلحُ أن يُؤخذ ببعض . ويُترك بعض . ولا أن يُعمل بجانب ويُترك جانب . ولا أن يأخذ الإنسان بما هو

---

(١) ألقيت في ١٤٠٠/٧/٢٥ هـ .

(٢) الفاتحة : ٢

(٣) غافر : ١٩

(٤) إشارة إلى آية النحل : ٩٠

(٥) إشارة إلى حديث جابر رضي اللّه عنه في حج النبى ﷺ ، أخرجه مسلم برقم (١٤٧) وابن ماجه برقم (٣٠٧٤) .

له ويترك ما عليه . ولا أن ينقاد لما وافق رغبته وهواه ويترك ما خالفه : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾(١) ، فكما أن المسلم ملتزم بأوامر العبادات . كالصلاة والزكاة والصوم والحج ، يجب عليه أن يلتزم بالنواهي عن المبتدعات والمحرَّمات في جميع أموره ، في الفكر والعقيدة . وفي السلوك . وفي البيع والشراء والاكتساب . فمَن أهمل جانباً . فقد خالف نظام الإسلام بقدر ما ترك من تعاليمه . ومَن زاد في عباداته ما لم يأذن به الله ، وما لم يتفق مع شرعه ، فقد خالف دين الله بقدر ما أحدث فيه وابتدع .

والعبادات مبناها على النص والتوقيف من المصطفى صلى الله عليه وسلم فهو المبلِّغ عن الله : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ (٢) فيجب على المسلم أن يُفرِّق بين السُنَّة والبدعة . فيعبُد ربه بما شرعه على لسان نبيه محمد ﷺ . يجب على المسلم أن يعلم أن السُنَّة يثاب عليها وأن البدعة المحدَثة يُعاقَب عليها .

قال صلى الله عليه وسلم : « مَن أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » (رواه البخاري ومسلم) (٣) .

يجب على المسلم أن يعرف حقيقة ما يعمل . وأن يفهم معنى ما يقول . وأن يميز بين الهدى والضلال . قال صلى الله عليه وسلم فى خطبته : « أما بعد .. فإنَّ خيرَ الحديث كتاب الله . وخير الهَدْى هدىُ محمد ، وشرُّ الأمور محدثاتها . وكل بدعة ضلالة » (رواه مسلم) (٤) .

---

(١) النساء : ٦٥

(٢) الحشر : ٧

(٣) البخاري برقم (٢٦٩٧) ، ومسلم الأقضية برقم (١٧) من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٤) مسلم برقم (خاص ٢٤٣) و (عام ٨٦٧) ، وذلك من حديث جابر بن عبد الله الأنصارى رضي الله عنه .

وقال صلى الله عليه وسلم : « ألا إنَّ مَن كان قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملّة . وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين . ثنان وسبعون في النار . وواحدة في الجنة وهي الجماعة » (رواه أحمد) (١) .

وروى الطبراني عن غُضَيف بن الحارث أن رسول الله ﷺ قال : « ما من أمه ابتدعت بعد نبيها في دينها إلا أضاعت مثلها من السُنّة » (٢) .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة حتى يدع بدعته » (رواه الطبراني) وقال المنذري : « إسناده حسن » (٣) ، ورواه ابن ماجه وابن أبي عاصم من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما . قال : قال رسول الله ﷺ : « أبَى اللهُ أن يقبل عمل صاحب بدعة حتى يدع بدعته » (٤) .

وفي صحيح الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : « مَن دعا إلى هُدىً كان له من الأجر مثلُ أجور مَن تبعه لا يَنقصُ ذلك من أجورهم شيئاً ، ومَن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثلُ آثام مَن تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً » (٥) .

---

(١) الإمام أحمد في المسند : ٣/ ١٢. من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، وأبو داود برقم (٤٥٩٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وإسناده صحيح .

(٢) ذكره الهيثمي في المجمع : ١٨٨/١ وعزاه إلى الطبراني في الكبير وفي إسناده راوٍ ضعيف ، وقد أورد له الشواهد فيكون الإسناد حسناً لغيره إن شاء الله .

(٣) أورده العلاّمة الهيثمي في المجمع : ١٨٩/١ . ، وقال : رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير هارون بن موسى الفروي وهو ثقة ، قلت : إسناده حسن .

(٤) ابن ماجه في مقدمة السنن برقم (٥٠) وهو من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، وقال المعلق في الزوائد : رجال إسناده كلهم مجهولون ، قاله الذهبي .

قلت : وله شاهد من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، وبذلك يكون الإسناد حسناً لغيره .

(٥) مسلم برقم (خاص ١٦) و (عام ٢٦٧٤) : ٤/ ٢٠٦٠ وهو من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

فاتقوا الله أيها المسلمون . إن نبينا محمداً ﷺ قد جاءنا بدين شامل متكامل . لا يقبل النقص ولا الزيادة ، فمَن خالفه فقد ابتدع وضلَّ : ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾(١) ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾(٢)

روى عن الإمام مالك رحمه الله أنه قال : مَن أتى بدعة فقد ظن أن محمداً ﷺ أخطأ فى الرسالة .

فحال صاحب البدعة تقول : إن رسالة محمد ﷺ ناقصة فهو يكملها ببدعته . كما صرَّح بذلك بعض دعاة الضلال .

سبحان الله والحمد لله ولا إلَهَ إلاَّ الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله .

اللهم صلِّ وسلِّم على نبينا الأمين . لقد تركنا على المحجة ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك (٣) .

فماذا بعد الحق إلا الضلال (٤) .

فاتقوا الله أيها المسلمون . تفهموا سُنَّة نبينا محمد ﷺ ، فما ورد عنه بنقل صحيح فخذوه وعضوا عليه بالنواجذ (٥) ، وما لم يرد عنه فهو بدعة وضلالة

---

(١) المائدة : ٣

(٢) الأنعام : ١٥٣

(٣) ابن ماجه فى مقدمة السنن من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه برقم (٤٣) : ١٦/١ ، وإسناده حسن مع الشواهد وهو بسياق طويل ، ورواه أبو داود وابن ماجه وابن حبان في صحيحه ، وقال الترمذى : حديث حسن صحيح .

(٤) إشارة إلى آية يونس : ٣٢

(٥) إشارة إلى حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه ، أحمد فى المسند : ١٢٦/٤ ، إسناده صحيح .

فاتركوه . ولا يُعْذر المسلم بأن يقول : رأيتُ الناس يفعلون شيئاً ففعلته . ولا يُعْذر بأن يقول : سمعتُ فلاناً يقول كذا فاتبعته ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[١]

فعليكم بجماعة المسلمين فإن يد الله مع الجماعة ، ومَن شذَّ شذ فى النار[٢] .

اللّهم إنّا نسألك الهداية والتوفيق . ونسألك إيماناً كاملاً . ويقيناً صادقاً . وعملاً صالحاً مقبولاً . وتوبة نصوحاً . ونسألك رحمة تهدى قلوبنا . وتلمُ بها شعثنا وتوحِّد بها صفوفنا . وتقوي بها ضعفنا . وتحفظ بها ذمارنا وديارنا . ونسألك مغفرة تمحو بها ذنوبنا ، وتسترُ بها عيوبنا . إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

---

(١) التوبة : ٣١

(٢) أخرجه الترمذى فى جامعه برقم (٢١٦٦) ، (٢١٦٧) الأول من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، والآخر من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ، وإسنادهما صالح للاحتجاج بهما ، والله أعلم .

٢٣ - الشيطان ينزغُ بين الناس

(الخطبة الثانية)

الحمد للّه .. لا نحصى ثناءً عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك [١] .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله . صلى اللّه وسلم عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فإن الشيطان له شِراكٌ ومصائدُ يصيد بها بنى آدم ، وخاصة المسلمين ، لأن المعركة قائمة بينه وبينهم ، أما غير المسلمين فهم من جنده وحزبه .

وكما أنَّ له شِراكاً فى الأفكار والعقائد والأخلاق ، فكذلك له شِراك فى المعاملات والحقوق . وغاية مراده أن يبعد المسلم عن الجنة ويقرِّبه إلى النار ، وأن يخرج الناس من الوفاق إلى الشقاق . ومن الراحة إلى التعب والشقاء .

ومن أخطر شراكه : الشح والطمع ، والنزعات النفسانية ، فمن الناس مَن يجمله حب المال . إلى التعدى على أموال الآخرين . وغمط حقوقهم . بالسرقة والنهب والغصب ، والخيانة . والغش والتدليس .

ومنهم مَن يمنع الأجير حقه ، وقد أمر نبينا محمد ﷺ بإعطاء الأجير أجره قبل أن يجف عَرَقُهُ [٢] .

---

(١) هذا جزء من دعاء النبى ﷺ ، أخرجه مسلم فى الصحيح ، كتاب الصلاة ، حديث رقم (خاص ٢٢٢) ، و (عام ٤٨٦) ، وهو من حديث أبى هريرة رضي اللّه عنه .

(٢) إن هذا اللفظ عزاه الهيثمى فى المجمع (٩٨/٤) : إلى أوسط الطبرانى وفى إسناده ضعيف ، ثم أورد له شاهداً من حديث أبى هريرة رضي اللّه عنه ، والأول من حديث جابر رضي اللّه عنه ، =

ومن الناس مَن يأخذ من ملك جاره فيدخله فى ملكه بدون حق .

ومن الناس مَن يضيِّق الطريق العام للمسلمين ويوسع ملكه .

ومن الناس مَن يكذب ويفتري . ويشهد زوراً . بان فلاناً بنى وغرس . وهو لم يبن ولم يغرس .

وغير ذلك من الحيل الباطلة والأكاذيب من أجل المال ومن أجل الدنيا . وهذا كله إثم وخطيئة يشترك فيها المدَّعى والشاهد ومَن علمه وأقره ، ولا شك أن هذا ناشىء عن الغفلة والصدود عن كتاب الله وسُنَّة نبيه ﷺ ، قال الله تعالى :

﴿ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾(١)

وقال صلى الله عليه وسلم : « إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام » (٢) .

وقال صلى الله عليه وسلم : « من ظلم شبراً من أرض طوقه من سبع أرضين » (رواه البخاري ومسلم) (٣) .

= وعزاه الحافظ فى التلخيص برقم (١٢٨٤) إلى ابن ماجه من حديث ابن عمر رضى الله عنهما والآخرين .. ومما قال أبو يعلي وابن عدى والبيهقى من حديث أبى هريرة وذكره البغوي فى المصابيح فى قسم الحسان .

(١) البقرة : ١٨٨ ، بلفظ : ﴿ ولا ... ﴾ .

(٢) جزء من خطبة النبى ﷺ ، أخرجه الشيخان فى صحيحهما : البخاري برقم (٦٧) : ١/١٥٧ - ١٥٨ ، وهو من حديث أبى بكرة رضي الله عنه .

(٣) أخرجه الشيخان فى صحيحهما : البخاري برقم (٢٤٥٢) ، وهو من حديث سعيد بن زيد ، وبرقم (٢٤٥٣) ، وهو من حديث عائشة رضي الله عنها بهذا المعنى .

وروى الإمام أحمد والطبرانى . عن أبى مالك الأشعرى رضى الله عنه ، عن النبى ﷺ أنه قال : « أعظم الغلول عند الله عَزَّ وجَلَّ ذراع من الأرض . تجدون الرجلين جارين فى الأرض ، أو فى الدار ، فيقتطع أحدهما من حظ صاحبه ذراعاً . إذا اقتطعه طوقه من سبع أرضين » (١) .

فاتقوا الله أيها المسلمون : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾(٢) ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾(٣)

وصلُّوا على البشير النذير (٤) .....

* * *

(١) هذا اللفظ لأحمد فى المسند : ٣٤١/٥ ، وإسناده حسن

(٢) التوبة : ١١٩

(٣) فاطر : ٦

(٤) إشارة إلى آية الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٤ - سبب انحطاط المسلمين مخالفة الشريعة [١]

(الخطبة الأولى)

الحمد لله رب العالمين . واحدٌ أحدٌ ، فردٌ صمدٌ .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له : ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ ﴾[٢]

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، أرسله رحمة للعالمين ، وهُدىً وبُشرى للمؤمنين .

اللّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ، ورسولك ، نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أهل الفضل والتقى ، ومَن تبعهم بإحسان ثم اهتدى .

أما بعد ..

فإنَّ من أعظم نِعَم اللّه على المؤمنين ، وأكبر منّة على الخلق أجمعين ، منّة لا يقابلها منّة . ونعمةً لا يقابلها نعمة ، هي رسالة خاتم النبيين ﷺ ، فاشكروا نعمة اللّه وأدوا حقها بالاقتداء والاتباع : ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[٣]

لو تأمل المسلم هذه النعمة لهزت مشاعره ، ولعرف قدرها وفوائدها ، لقد فتح

---

(١) ألقيت في ١٤٠٧/٧/٢٧ هـ .

(٢) الحشر : ٢٢

(٣) الحجرات : ١٧

الله بها قلوباً غلفاً ، وآذاناً صماً ، وأعيناً عُمياً ، أخرج الله بها الناس من الظلمات إلى النور ، ومن الضلالة إلى الهداية ، ومن الجهالة إلى المعرفة ، ومن الرذائل إلى الفضائل ، ومن الظلم إلى العدل .

نزلت رسالة محمد ﷺ من السماء في زمن طغت فيه الجاهلية ، وتحكمت فيه الفلسفات ، واتُبعت فيه الأهواء والشهوات ، فعُبد غير الخالق ، وشُكر غير الرازق ، ودُعي غير القادر : ﴿ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴾(١) ، تحكمت العصبيةُ فلا يُحترم دم ولا مال ، فقد تقوم الحرب وتستمر عشرات السنين من أجل ناقة ، مثل حرب البسوس (٢) وقد تصبح النساء أرامل والأطفال أيتاماً من أجل لطم فرس في السباق ، مثل حرب داحس والغبراء (٣) .

فجاءت رسالة المصطفى صلى الله عليه وسلم بالقول الفصل ، والحق العدل ، فألّفت القلوب ، وطهّرت النفوس ، ونظّفت السلوك ، وفتحت للناس آفاق النظر في العواقب والمصالح ودرء المفاسد ، فكوّنت أمةً متحدة ، متكاتفة ، متعاونة ، متسامحة ، كالبنيان يشد بعضه بعضاً ، وكالجسد الواحد يتألم إذا تألم منه أحد أعضائه (٤) : ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾(٥)

---

(١) الحشر : ١٩

(٢) إشارة إلى حرب البسوس وقد أشار إليها قول الله تعالى : ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ﴾ (آل عمران : ١٠٣) .

(٣) وقد أشار إليها الإمام ابن كثير فى التفسير : ٢/٨٥ فراجعه .

(٤) إشارة إلى حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما ، البخاري : ١٠/٣٦٧ ، الأدب (الفتح) ، ومسلم في البر والصلة ، حديث رقم (٢٥٨٦) باب « تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم » .

(٥) آل عمران : ١٦٤

فحملوا مشعل الهداية ، وأناروا الطريق ، ورفعوا راية الإسلام عالية خفّاقة ، وباعوا أنفسهم وأموالهم للّه ، وجاهدوا لإعلاء كلمة اللّه ، ولرفع الظلم عن خلق اللّه ، ولنشر العدل بين عباد اللّه ، لتكون كلمة اللّه هي العليا ، وكلمةُ الذين كفروا هي السفلى . فأنجز اللّه لهم وعده ، وحقق لهم نصره ، ومكّنهم في أرضه ، وصارت لهم السيادة ، وبأيديهم القيادة .

فلما كثرت الفتوحات ، وكثر اختلاط المسلمين بالأمم الأخرى من اليهود والنصارى والمجوس والصابئين والفلاسفة والمتكلمين ، وكان أعداء الإسلام يتربصون الدوائر ويتحينون الفرص ، لبس بعضهم ثوب الإسلام لإنفاذ مخططاتهم ، وبعضُ المسلمين أعجبهم علم الكلام ، والفلسفة ، فوقعوا في تحريف النصارى ، وسفسطة اليهود ، وتأويلات المجوس ، ومتاهات المتكلمين . فنشأت مذاهب في الإسلام مثلُ الخوارج والقدرية والجهمية والروافض والجبرية ، وما تفرع عنها من مذاهب وطوائف وملل ونحل : ﴿ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[1]

وتدرج الأمرُ ببعض الناس حتى زعم أن اللّه حالٌّ في خلقه ، وآخرون أنه متحد مع خلقه . حتى قال بعضهم : ما في الجبة إلا اللّه [2] . وما عبدك سواك . فالعبد عندهم رب ، والرب عبد - تعالى اللّه عما يقولون علواً كبيراً - وأنكر بعضهم أن يكون في السماء إلَه ، تعالى اللّه عما يقول الظالمون علواً كبيراً ، وبعضهم زعم أن الأعمال لترويض النفس لتلقّى العلم اليقيني ، فإذا وصل إلى العلم اليقيني سقطت عنه التكاليف . مستدلين بقوله تعالى ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾[3] فَيَشْتغلون بالغناء والكشوفات والأوراد المبتدعة عن

---

(١) المؤمنون : ٥٣

(٢) هذه مقالة أبى يزيد البسطامي نقلها الذهبي في الميزان : ٣٤٧/١

(٣) الحجر : ٩٩ ، وذكر ذلك كله فخر الدين الرازى في كتابه : اعتقادات فرق المسلمين . واليقين في الآية الموت أى اعبد ربك طول حياتك ص ٧٣ - ٧٤

العبادات . وبعضهم يزعم بأن ورده أفضلُ من القرآن ، وأن رؤيته أفضلُ من رؤية النبي ﷺ (١) .

ظن بعضهم أنه يرى اللّه ، أو أنه يرى النبي ﷺ ، أو الخضر ، أو أحداً من الصالحين يقظة . وما هى إلا تخيلات شيطانية . فإن الجن أعطاهم اللّه قدرة ليظهروا للعيان ، إما لقصد الإضرار بأحد ، أو لطمع في إغواء أحد . ففي صحيح مسلم عن أبي الدرداء أنه قال : قام رسول اللّه ﷺ يصلي فسمعناه يقول : « أعوذ باللّه منك ، ثم قال : ألعنك بلعنة اللّه - ثلاثاً - وبسط يده » ، فلما فرغ سألوه ، فقال : « إن عدو اللّه إبليس جاء بشهاب من نار ليجعله فى وجهي فقلت : أعوذ باللّه منك ثلاث مرات ، ثم قلت : ألعنك بلعنة اللّه التامة فلم يستأخر » (٢) .

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في المجلد الأول من الفتاوى أن بعض الفقهاء الصالحين قال : كنت مرة في العبادة فرأيتُ عرشاً عظيماً وعليه نور ، فقال : يا فلان .. أنا ربك وقد أحللتُ لك ما حرَّمتُ على غيرك ، قال : فقلت له : أنت اللّه الذي لا إلَهَ إلاَّ هو ؟ اخسأ يا عدو اللّه ، فتمزق ذلك النور وصار ظلمة ، قال : يا فلان ، نجوتَ مني بفقهك في دينك وعلمك . لقد فَتنْتُ بهذه القصة سبعين رجلاً . فقيل له : كيف عرفتَ أنه شيطان ؟ قال بقوله : أحللتُ لك ما حرَّمتُ على غيرك ، وقد علمتُ أن شريعة محمد ﷺ لا تُنسخ ولا تُبدَّل ، ولأنه قال : أنا ربك ، ولم يقدر أن يقول أنا اللّه الذي لاَ إلَهَ إلاَّ أنا (٣) .

---

(١) ذكره عبد القاهر الجرجانى فى الفرق بين الفرق ص ٢٥٤

(٢) أخرجه مسلم في الصحيح ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة حديث رقم (خاص ٢٤٠) ، و (عام ٥٤٢) وذلك من حديث أبي الدرداء رضي اللّه عنه ، وأخرجه النسائي في الصغرى كتاب السهو باب رقم (١٩) .

(٣) ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه اللّه تعالى في مجموعة فتاويه : ١/١٧٢ - ١٧٣ نقلاً عن الشيخ عبد القادر الجيلانى .

فبعض الناس يحصل له مثل هذه القصة أو غيرها فيُفْتن بها .

وقد يكون شخص محبّاً لأحد المشيخة ، فيأتيه جني ، ويقول : أنا الشيخ فلان ، وقد يُعطيه طعاماً وشراباً ، أو يدله على ما تاه عنه . ليعتقد بأن ذلك الشيخ له تأثير في الكون ، فيقع في شِراك إبليس .

ويجب أن يُعلم أن اللّه تعالى لا يراه أحد من خلقه في هذه الدنيا .

سئل النبى ﷺ هل رأيتَ ربك ؟ فقال : « نور أنَّىَ أراه » [١] .

فحجابه النور سبحانه ، فلو تجلى لأحد من خلقه في هذه الدنيا لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره [٢] ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [٣]

فمَن زعم أنه يرى اللّه في هذه الدنيا يقظة ، فإما أن يكون كاذباً دجالاً ليخدع العامة ، وليكثر المريدين والأتباع . وإما أن يكون رأى شيطاناً ، أو أشباحاً أو تخيلات .

وأما رؤية الموتى بعد الممات في اليقظة فلم يقله أحد من الصحابة ولا من التابعين لهم بإحسان ، ولم يقله أحد من الأئمة المُعْتدِ بهم . ومَن ظن أنه رأى الخضر فإنما أُتِىَ من جهله ، وقلة بضاعته من علوم الإسلام ، ومن ضعف اليقين

---

(١) إشارة إلى حديث أبي ذر رضي اللّه عنه ، أخرجه مسلم في الصحيح كتاب الإيمان ، حديث (٢٩١ خاص) ، و (عام ١٧٨) ، وأحمد في المسند : ١٥٧/٥

(٢) إشارة إلى حديث أبي موسى الأشعري رضي اللّه عنه : مسلم في الصحيح ، الإيمان ، برقم (٢٩٣) : ١٦١/١

(٣) الأعراف : ١٤٣

والإيمان ، والميتُ قَضَى عليه الخالق تعالى بأنه لا يرجع إلى الدنيا . كما في حديث الشهيد [١] . والعقل يمنع أن يكون شخص واحد في أكثر من مكان . وإنما هو تصور الجنى على صور الصالحين .

هذه سياسة إبليس وجنوده من الجن والإنس أعداء الإسلام والمسلمين ، شغلوا المسلمين عن دينهم ، وشغلوهم عن دنياهم . وأخذوا من الإسلام ما نفعهم في دنياهم ، فسبقوا في الصناعات والإنتاج . وسيطروا على المسلمين بما توصلوا إليه من القوة المالية والحربية ، فصار المسلمون إلى هذا الواقع المؤلم ، وشبابنا المؤمن المعاصر عنده من المعرفة واليقظة والفطنة ما لا يقبل معه دجل الكذّابين ، ولا تلبيس الشياطين ، ولا يقبل ما يخالف قواعد إسلامنا ، ولا ما يخالف ما عليه سَلَفنا .

فاتقوا اللّه أيها المسلمون .. ارجعوا إلى ربكم ، وعُودوا إلى دينكم . لقد كتب اللّه على نفسه النصر لأوليائه وحملة رايته ، وأصحاب عقيدته ، وعلّق هذا النصر بكمال الإيمان في قلوبهم ، واستيفاء مقتضيات الإيمان في معاملاتهم وقضاياهم وسلوكهم . فليس للمسلمين في الوجود واجب أهم من واجب العقيدة والمحافظة عليها . وليست لهم رسالة في هذه الحياة إلا رسالة الإسلام يحملونها إلى العالَم ، فإما أن يحملوا هذه الرسالة كما حملها أسلافهم إيماناً ، وعملاً ودعوة وجهاداً ، وإما أن ينبذوها فيبقون على حالهم لا يعرفهم أحد ، ولا يحترمهم أحد ، ولا يخشاهم ولا يرجوهم أحد . غثاء كغثاء السيل [٢] . وهشيم يابس لا حياة فيه ، تلعب به الأهواء وتذوره الرياح .

---

(١) إشارة إلى حديث أنس بن مالك رضي اللّه عنه أخرجه البخاري في الصحيح ، الجهاد ، باب (٦) باب « الحور العين ، وصفتهن » ، حديث رقم (٢٧٩٥) : ١٤/٦ - ١٥ (الفتح) ، وكذا مسلم في الصحيح ، كتاب الإمارة حديث رقم (خاص ١٠٨) ، (١٠٩) وأحمد في المسند : ١٠٣/٣

(٢) إشارة إلى حديث ثوبان مولى رسول اللّه ﷺ أخرجه أحمد في المسند : ٢٧٨/٥ ، وإسناده صحيح ، وكذا أبو داود برقم (٤٢٩٧) في الملاحم ، باب « تداعى الأمم على الإسلام » من وجه آخر في إسناده مجهول وإسناد أحمد صحيح . وأخرجه البغوي في شرح السُنّة برقم (٤٢٢٤) : ١٦/١٥

اتقوا الله وراقبوه ، وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون .

اللّهم إنّا نعوذ بك من مضلات الفتن ، ونعوذ بك من زيغ الأهواء ، ومن فتنة المحيا والممات ، ومن فتنة المسيح الدجال .

اللّهم بارك لنا فى القرآن العظيم .....

* *

٢٤ - التحذير من محدثات الأمور

(الخطبة الثانية)

الحمد لله ، أحمده وأستعينه وأستغفره وأتوب إليه .

وأعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، مَن يَهْدِ الله فلا مضل له . ومَن يضلل فلا هادى له .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله . حبيب الله وخليله . صلَّى الله وسلَّم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان .

أما بعد ..

فيا أيها المسلمون . أوصيكم وإياي بتقوى الله تعالى ، واتباع كتابه وهَدْي نبيه ﷺ . وسُنَّة الخلفاء الراشدين من بعده . عضوا عليها بالنواجذ . واحذروا البدع في الدين : « فإن كل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار » (١) .

وصلُّوا على الرسول الكريم ، فقد أمرنا الله بذلك في كتابه المبين . فقال جلَّ مِنْ قائل عليم : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾(٢)

وقال صلى الله عليه وسلم : « مَن صلَّى عليَّ مرة صلَّى الله بها عليه عشراً » (٣) .

---

(١) انظر الفتح : ١٠ / ٥١١ ، وقد مضى الآن وهو من حديث جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه .

(٢) الأحزاب : ٥٦

(٣) فضل الصلاة على النبي ﷺ لإسماعيل القاضي ص ٦٢ حديث رقم (٨) ، (٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وإسناده صحيح .

اللّهم صلِّ وسلّم وبارك وأنعم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، صاحب المقام المحمود والحوض المورود . وارض اللّهم عن الأربعة الخلفاء الراشدين المهديين : أبي بكر وعمر وعثمان وعليٍّ وسائر أصحاب نبيك محمد ﷺ .

اللّهم أعز الإسلام والمسلمين .

اللّهم انصر المجاهدين في كل مكان .

اللّهم آمنا في أوطاننا واحفظ إمامنا وولاة أمورنا ، ووفقهم لما فيه الخير والصلاح والرشاد .

اللّهم فرِّج هم المهمومين واقض الدَّيْن عن المدينين .

﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾(١)

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾(٢)

فاذكروا الله ..... إلخ .

* * *

(١) العنكبوت : ٤٥

(٢) النحل : ٩٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٥ - الإيمان بالقدر [١]

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾[٢]

ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن [٣] ، ﴿ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ۝١٢ ﴾[٤]

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ الله وحده لا شريك له ، تفرد بتصريف الأمور جملة وتفصيلاً .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، إمام المتقين وقدوة الصابرين . وقائد الغر المحجلين [٥] .

اللَّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أهل الفضل والتقى . وأُولو العزائم والمَضَى ، ومَن سلك سبيلهم بإحسان واقتفى .

أما بعد ..

فإن هذا الوجود الذى لا نعرف منه إلا القليل ولا يُكشف لنا منه إلا على قدر الحكمة والمصلحة .

---

(١) ألقيت فى ٢١/١٠/١٤٠٤ هـ .

(٢) الفاتحة : ٢

(٣) إشارة إلى ما ورد فى كتاب الله تعالى من الآيات الكريمة ومنها سورة الأنعام آية : ١٤٩ ، والأحاديث كثيرة فى هذا المعني ومنها ما أخرجه البخاري في الترجمة ، كتاب الإيمان باب (٨) ، انظر الفتح : ١١/ ٥٤٠

(٤) يس : ١٢

(٥) إشارة إلى حديث أبى هريرة رضي الله عنه : البخاري برقم (١٣٦) الوضوء ، ومسلم في الطهارة حديث رقم (٣٤) .

لا يقع فيه حركة ولا سكون ، ولا محبوبٌ ولا مكروه ، إلا وهو مقدَّر فى أصل تصميمه . وواقعٌ فى حسبان تكوينه ، لا محل فيه للصدفة . ولا سبيل فيه للجزاف . إنما هو تقدير العزيز العليم [١] . وإرادة الحكيم الخبير .

﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾[٢]

﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ ﴾[٣]

فكل ما يحصل فى هذا الوجود منذ نشأته إلى نهايته من أحداث عالَمية أو إقليمية ، جَماعية أو فردية . من خير وشر ، ومن خوف وأمن ، ومن صحة ومرض ، ومن إيمان وكفر ، ومن معصية وطاعة ، ومن نصح وغش .

وما يُشاهَد من حوادث وإصابات . وأنواع الأمراض والأسقام . وما فى البيوت من مشاكل وخلافات ، وما فى الأسواق من رِخْص وغلاء ، واختلاف أحوال الناس من فقر وغنى . وخصب وجدب . وعِز وذُل ، وعلم وجهل . وغير ذلك من الأحداث والأحوال .

كل ذلك فى علم اللّه وبِقَدَر اللّه . فما كان من خير فمن اللّه . وما كان من سىء فبمعصية المخلوق .

روى مسلم فى صحيحه عن عمرو بن العاص رضي اللّه عنه قال : سمعتُ رسول اللّه ﷺ يقول : « قدَّر اللّه المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة الأنعام : ٩٦ ، وسورة يس : ٣٨

(٢) الأنعام : ٥٩

(٣) هود : ٦

بخمسين ألف سنة » [١] إنه لا يسع الإنسان فى مقابلة الأحداث والمصائب إلا الرضا والتسليم . والصبر والاحتساب . وليس ذلك إلا للمؤمن .

أما الثالثة فهى حال الحيوان : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ [٢]

قال علقمة : هى المصيبة تصيب الرجل - أى والمرأة - فيعلم أنها من عند الله فيسلم لها ويرضى .

وروى البخارى رحمه الله من حديث أبى هريرة رضى الله عنه : « مَن يرد الله به خيراً يُصِب منه » [٣] .

وروى الترمذى وحسّنه وصححه عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة فى نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة » [٤] .

وعن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « إن عِظَمَ الجزاء مع عِظَمَ البلاء ، وإن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم ، فمَن رضى فله الرضا ، ومَن سخط فله السخط » (رواه الترمذي وحسّنه) [٥] .

---

(١) مسلم فى الصحيح ، كتاب القدر ، باب رقم (١٦) حديث رقم (خاص ١٦) ، و (عام ٢٦٥٣) ، وهو من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه .

(٢) التغابن : ١١

(٣) البخاري فى المرض ، باب « ما جاء فى كفّارة المرض » : ٩٣/١٠ (الفتح) ، ومسلم : البر والصلة (٢٥٧٣) وهو من حديث أبى هريرة رضي الله عنه .

(٤) الترمذى فى جامعه ، كتاب الزهد حديث رقم (٢٣٩٩) ، وهو من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ، وقال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح .

(٥) الترمذى فى جامعه برقم (٢٣٩٦) من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه ثم قال : حديث حسن غريب .

وروى الشيخان عن أبى سعيد عن النبي ﷺ قال : « ما يصيب المسلمَ من نَصَب ولا وَصَب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم - حتى الشوكة يشاكها - إلا كفَّر اللّه بها خطاياه » (١) .

إن الرضا باب اللّه الأعظم وجنة الدنيا . ومستراح العابدين . كما قال صلى اللّه عليه وسلم فى حديث أبى يحيى صهيب بن سنان : « عجباً لأمر المؤمن ، إنَّ أمره كله له خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سرَّاء شكر فكان خيراً له . وإن أصابته ضرَّاء صبر فكان خيراً له » (٢) .

وأهل الرضا تارة يلاحظون حكمة المبتَلِى وخيرته لعبده ، وتارة يلاحظون ثواب الرضا . وتارة يلاحظون عظمة المبتَلِى وغِناه عن خلقه ، وأنه إنما يبتلى عباده لصالح أنفسهم . فيهوِّن ذلك ألم المصيبة ويخفف .

وأما الصبر فهو حبس النفس عن التسخط من القضاء . وكف الجوارح عن العمل بمقتضى الجزع . وإنما ينفع الصبر فى محله عند الصدمة الأولى ، ولا ينافى الصبر ما يظهر على ملامح المصاب من آثار الحزن . والتألم من الوجع . والإخبارُ بالواقع وحزنُ القلب ودمعُ العين ، وأمثال ذلك ، فإنما هى غرائز بَشرية لا تنافى الصبر والرضا .

وفعل الأسباب المباحة لإزالة الآلام لا تنافى الصبر أيضاً .

وإنما الذى ينافى الصبر أعمال الجاهلية ، لطمُ الخدود وشق الجيوب (٣) والصراخ والعويل والدعاءُ بالويل والثبور .. فعلى المسلم أن يتلقى الأحداث بالصبر والاحتساب فذلك خيرٌ له .

---

(١) البخاري فى المرض باب : ما جاء فى كفّارة المرض : ٩١/١٠ ، ومسلم فى الصحيح برقم (٢٥٧٣) من حديث أبى هريرة وأبى سعيد الخدرى رضى اللّه عنهما .

(٢) أحمد فى المسند : ١٧٣/١ ، ١٧٧ ، ١٨٢ ، ومسلم فى الصحيح برقم (٢٩٩٩) الزهد ، مسلم من حديث صهيب الرومى رضى اللّه عنه باب (١٢) ، باب : المؤمن أمره كله خير ، وأما عند الإمام أحمد فهو من حديث سعد بن أبي وقاص رضي اللّه عنه .

(٣) إشارة إلى حديث ابن سمعود رضى اللّه عنه برقم (١٢٩٤) ، الجنائز ، باب (٣٥) ، =

والإنسان معرَّض للأخطاء ومحل للذنوب والخطايا ، وفيه نَقْص وإهمال وغفلة وصدود ، وكله تقصير فى حق الله ، فإذا أحب الله عبده طهَّره بالمصائب . ونقَّاه بها من أدران الذنوب . وكان أشد الناس وجعاً حبيب الله وخليله وكليمه وصفوته من خلقه محمداً ﷺ ، فعن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت : « ما رأيتُ أحداً الوجع عليه أشدُّ من رسول الله ﷺ » (متفق عليه) (١) .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : دخلت على النبي ﷺ وهو يوعك - أي من الحمى حرارة وألماً - فَمَسَسْته يدى فقلت : يا رسول الله ، إنك توعك وعكاً شديداً ، فقال النبي ﷺ : « أجل ، إني أوعك كما يوعك رجلان منكم » قال : فقلت : ذلك أن لك أجرين ، فقال : « أجل » . ثم قال : « ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه إلا حطَّ الله تعالى به سيئاتِه كما تَحطُّ الشجرة ورقها » (متفق عليه) (٢) .

والله تعالى لم يجعل هذه الدار دار بقاء وسرور ، وإنما هى دار سفر وابتلاء واختبار . دار عمل وجهد . والمسافر يصبر على مشقات السفر . وينتظر الوصول إلى دار المقر .

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَثَلُ المؤمن كمثل الزرع لا تزال الريح تُميله . ولا يزال المؤمن يصيبه البلاء . ومَثَلُ المنافق كمثل شجرة الأرزة لا تهتز حتى تُحصد » (٣) .

= باب « ليس منا مَن شق الجيوب » ، ومسلم فى الإيمان ، باب « تحريم لطم الخدود » ، حديث رقم (خاص ١٠٣) ، و (عام ١٦٦) من هذا الوجه واللفظ .

(١) البخاري برقم (٥٦٤٦) المرض ، الباب الثاني وعنوانه : شدة المرض ، وهو من حديث عائشة رضي الله عنها ، ومسلم في الصحيح : البر والصلة حديث رقم (٤٤) من هذا الوجه واللفظ .

(٢) البخاري : كتاب المرض باب : وضع اليد على المريض : ١٠/١٠٣ وهو من حديث عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه ، ومسلم في البر والصلة برقم (٢٥٧١) باب : ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك .

(٣) البخاري كتاب المرض : ١٠/٩٣ (الفتح) ، وهو من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وكذا مسلم في الصحيح في صفات المنافقين برقم (٢٨٠٩) .

وفي الصحيحين عن كعب بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَثَلُ المؤمن كمثل الخامة من الزرع تُكَفِئَها الرياح ، تَصْرَعُها مرة وتعدِّلها أخرى حتى يأتيه أجلُه . ومثل المنافق كمثل الأُرْزة المحذية التي لا يصيبها شيء ، حتى يكون انجعافها مرة واحدة » (١) .

وفي الصبر خير كثير ، فإن الله أمر به ووعد عليه بجزيل الأجر ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾(٢) ، وقال سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾(٣)

وقال تبارك اسمه : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾(٤)

إن تربية النفس بالبلاء وامتحان المؤمن بالمكروه ، تُطهِّر القلب وتزكِّي النفس وتنظم السلوك إلى أحسن . وتُبْرز حقيقة ما عليه المرء ومكنون صدره .

بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ الم ﴿١﴾ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾(٥)

---

(١) البخاري : المرض باب : ما جاء في كفّارة المرض : ٩١/١٠ - ٩٢ (الفتح) ، ومسلم (خاص ٦٠) ، و (عام ٢٨١٠) في صفات المنافقين .

(٢) الزمر : ١٠

(٣) آل عمران : ٢٠٠

(٤) البقرة : ١٥٥ - ١٥٧

(٥) العنكبوت : ١ - ٣

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ ﴾(١)

فالشدائد تُظهر مكنون القوي ومدَّخَر الطاقة وتفتح للقلب منافذَ ما كان يعلمها المؤمن من نفسه .

والمصائب تصحح أموراً ما كان تصلَحُ ولا تستقيم إلا في جو المحنة التي تزيل الغبش عن العيون والران عن القلوب ، وقد يَضْعف صبر الإنسان وتنفد طاقته ، لكن اللّه يعلم واقع الإنسان فجعل له سنداً يقوى ما ضعف . ومداداً يشد ما وهى . وهما الصلة باللّه والاستعانة به ، وإظهار العجز أمامه . والاعتراف بالحاجة إليه والتقرب إليه بأعمال يحبها ، وبكلمات يرضاها . ولذلك قُرِن الصبر بالصلاة ، وبالذكر ، وبالاسترجاع .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾(٢)

وكان صلى اللّه عليه وسلم إذا حزبه أمر استعان بالصلاة (٣) .

فالعبادة لها أسرار تتصل باللّه لا يعلمها العبد . فهي زاد الطريق ومددُ الروح ، وهي عدةِ الصابرين ، وقوة المصابين . قال سعيد بن جبير رحمه اللّه : لم تُعط هذه الكلمات : « إنا للّه وإنّا إليه راجعون » نبياً قبل نبينا ، ولو عرفها يعقوب لما قال : ﴿ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾(٤)

فاتقوا اللّه أيها المسلمون . واستعدوا لمواجهة طوارق الليل والنهار . تعرَّفوا

---

(١) العنكبوت : ١٠

(٢) البقرة : ١٥٣

(٣) إشارة إلى حديث حذيفة بن اليمان رضي اللّه عنه ، أخرجه أحمد في المسند : ٣٨٨/٥ ، إسناده جيد

(٤) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة يوسف : ٨٤

إلى الله في الرخاء ، يعرفكم في الشدة ، وخذوا من صحتكم لمرضكم ، ومن فراغكم لشغلكم ، ومن حياتكم لموتكم . ومن غناكم لفقركم ، ومن قُدْرتكم لعجزكم . ومن قوتكم لضعفكم ، ومن شبابكم لهرمكم [١] .

اللّهم إنّا نعوذ بك من جهد البلاء ، ومن درك الشقاء ، ومن سوء القضاء .

﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ ﴾[٢]

.. إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

(١) جزء من حديث ابن عباس رضي الله عنه ، أخرجه أحمد في المسند : ٣٠٧/١ ، وإسناده حسن .

(٢) البقرة : ٢٨٦

٢٥ - لا يؤاخذ اللّه بحزن القلب ودمع العين

(الخطبة الثانية)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾[١]

﴿ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٧٠ ﴾[٢]

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاّ اللّه وحده لا شريك له : ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ ، وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٨ ﴾[٣] .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله وخيرته من خلقه .

اللّهم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان .

أما بعد ..

فإنَّ الناس يختلفون في الرقة والرحمة . وفي التجلد وكظم الغيض . والنبي ﷺ أكمل الناس في كل الأحوال والصفات . وهو المشرِّع يبيِّن ما يحل وما يحرم . فلما توفى ابنه إبراهيم ذرفت عيناه فقال له عبد الرحمن بن عوف : وأنتَ يا رسول اللّه ؟ فقال : « يا بن عوف إنها رحمة »[٤] ، ولما قُتِل ابن حارثة وجعفر وابن رواحه رضي اللّه عنهما ، جلس صلى اللّه عليه وسلم

---

(١) الفاتحة : ٢

(٢) القصص : ٧٠

(٣) الأنعام : ١٨

(٤) إشارة إلى حديث أنس بن مالك رضي اللّه عنه : البخاري برقم (١٣٠٣) ، الجنائز باب (٤٣) : قول النبي ﷺ : « إنّا بك لمحزونون » .

يُعرف فيه الحزن ، وهذا هو الاعتدال في هذا الباب . لا تفريط في الحزن حتى يحصل المحذور . ولا تفريط في التجلد حتى يفضي إلى القسوة والاستخفاف بقدْر المصاب .

وهو القدوة صلى الله عليه وسلم لكل مسلم ، فاتقوا الله عباد الله .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾(١)

* * *

(١) الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٦ - إبليس يتوعد بني آدم [١]

(الخطبة الأولى)

الحمد لله الذي هدانا للإسلام ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له ، أكمل ديننا ، وأتم علينا نعمته ، ورضى الإسلام لنا ديناً .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ، ودين الحق ليظهره على الدين كله ، وكفى بالله شهيداً .

اللّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فإنَّ اللّه تبارك وتعالى خلق بني آدم حنفاء ، على فطرة الإيمان ، وأشهدهم على أنفسهم : ألست بربكم ؟ قالوا : بلى ، فلا يولد أحد إلا على هذه الفطرة ، لا تفاوت بينهم ، فإذا عبَّر عنه لسانه إما شاكراً وإما كفوراً .

فمن الناس مَن هداه الله فثبت على العهد ، واستقام على الفطرة ، فآمن بخالقه ، وصدَّق برسله ، والتزم بدين الله وشرعته ، لا زيادة ولا نقصان .

ومنهم مَن اجتالته الشياطين فأضلتهم عن دينهم ، فأحلُّوا ما حرَّم الله ، وحرَّموا ما أحلَّ الله ، وشرعوا في الدين ما لم يأذن به الله [٢] : ﴿ وَلَقَدْ

---

(١) ألقيت في ١٤٠٠/٧/١٤ هـ .

(٢) إشارة إلى حديث عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه ، أخرجه مسلم في الصحيح ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها برقم (خاص٦٣) ، و (عام ٢٨٦٥) باب رقم (١٦) وعنوانه : =

صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ ﴾(١)

لما أمر الله تعالى إبليس بالسجود مع الملائكة لآدم عليه السلام ، تكريماً لآدم ، وإظهاراً لقدْره ، امتنع إبليس عن السجود ، وتوعّد آدم وذريته بأن يصدهم عن الإيمان ، وأن يحملهم على كفر النعمة ، وأن يصدهم عن الصراط الموصل إلى الله ، وإلى الجنة ، وأن يحرفهم إلى طريق المهالك ، والمتاهات ، الموردة إلى النار ، قال الله تبارك وتعالى في ذلك : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ ﴾(٢)

أي لآخذنهم من تحت حنوكهم فلا يفلتون مني ولأضلنهم ، ولأمنينهم ، ولأزينن لهم في الأرض ، ولأحملنهم على اتباع الشهوات ، كما قال الله مخبراً عنه : ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾(٣)

. فأجابه عزّ وجلّ : ﴿ قَالَ ٱذْهَبْ ﴾ أي فقد أنظرتك إلى يوم القيامة : ﴿ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ ﴾(٤) كل صوت يأمر بمنكر وينهى عن معروف

= باب « الصفات التى يُعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار » : ٤/٢١٩٧ - ٢١٩٨ وسياقه طويل وفيه هذا اللفظ .

(١) سبأ : ٢٠ - ٢١

(٢) الإسراء : ٦١ - ٦٢

(٣) الأعراف : ١٦ - ١٧

(٤) الإسراء : ٦٣ - ٦٤

أو يدل على معصيته فهو من صوت إبليس .بما في ذلك المعازف والمزامير والملاهي والمسلسلات الخليعة .

﴿ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ ﴾[١] كل دعاة السوء ، ودعاة البدعة ، ودعاة الضلالة ، ودعاة الشهوات المحرَّمة ، والذين يصدون عن طاعة الله ويشغلون الناس عن ما أوجب الله ، وكل راكب في معصية الله ، وكل ماشي إلى ما يغضب الله .. كل هؤلاء من جنود إبليس ومن خَيْله ورَجله .

﴿ وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ﴾[٢] المشاركة في الأموال ، كل مال حرام بأى نوع كان سواء بالربا ، أو السرقة ، أو الاختلاس ، أو الغش ، أو الخيانة ، أو الرشوة ... وما إلى ذلك ، فهو من سهم إبليس يشارك به بني آدم .

وأما المشاركة في الأولاد . فكل عمل محرَّم من نصيب إبليس وصدُّ الأولاد عن الفطرة القويمة إلى الكفر أو للأديان التائهه ، أو البدع المحرَّمة ، أو الديانات المنسوخة وما أشبه ذلك ، إنه يخرج الأولاد من حزب الله إلى حزب الشيطان .

وأيضاً كل تسمية محرَّمة مثل عبد النبي وعبد الرسول وعبد عليّ ، وعبد الحسن ، وعبد الحسين ، وعبد الكعبة ، وما أشبهها .

وكل اسم مُعَبَّد لغير الله ، يجعل إبليس مشاركاً في الأولاد لأنهم اتبعوه وأطاعوه في هذه التسمية المحرَّمة ، فإن العبودية لله وحده ، وهو الخالق وحده ، وهو الرازق وحده ، وهو المحيي وهو المميت وإليه النشور .

﴿ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ ﴾[٣] ، يقول : أنت الآن

---

(١) الإسراء : ٦٤

(٢) الإسراء : ٦٤

(٣) الإسراء : ٦٤

شاب . فتمتع بشهواتك وأنت لاحق على التوبة ، ولا يزال به حتى تدركه المنية وهو على هذه الأمنية .

ويقول : هذه الأموال التى تتدفق من البنوك تتركونها تذهب ، لا تنفقون منها ، أرباح كثيرة وأعمال سهلة ، خذوها فانتفعوا بها ، إنها من أمانى إبليس .

ويقول أيضاً : « إن الضغط يورث الانفجار » اترك الأولاد يأخذون حريتهم ، وينطلقون في هذه الحياة ويفتحون أذهانهم على آفاقها ، وينظرون بأعينهم إلى حياة التقدم والرقي ، لا تعارضهم ولا تأمرهم بالمعروف ، ولا تنههم عن المنكر . فإذا كبروا ونضجت عقولهم لحقوا الخير ، ويريد بذلك إخراج الولد من بيئة الإيمان إلى بيئة الكفر ، من توجيه الخير إلى داعى السوء ، من الأخلاق العالية إلى التردي فى حضيض الشهوات ، من أداء شعائر الإسلام إلى نسيانها ، ومن تلاوة القرآن إلى لهو الحديث الماكر ، ومن مناجاة الله إلى السمر الفاجر ، ومن مخالطة الصالحين إلى مخالطة الفسقة المارقين ، فيكون في قبضة إبليس ، وقد احتنكه وأجلب عليه بخَيْله ورَجِله .

فاتقوا الله عباد الله ، اتقوا الله أيها المسلمون . اتقوا الله أيها الرعاة .

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾(١)

اللهم بارك لنا في القرآن العظيم ، وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لى ولكم ، فاستغفروا الله إنه هو الغفور الرحيم .....

* *

(١) الأعراف : ٢٧

٢٦ - إبليس يستدرج الإنسان

(الخطبة الثانية)

إنَّ الحمد للّه ، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ باللّه من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللّهم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدى بهَدْيه إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فإن عدونا - أعاذنا اللّه منه - لا يكل ولا يغفُل عن تنفيذ توعُّده لبني آدم . لذلك فهو يضع الشراك في طرقاتهم ، ويخبيء الكمائن من خَلْفهم ، ويُخَوِّفهم من كل جهة ، ويغلبهم على كل الأمور ، حتى إذا أخفق في حالة أدرك فريسته في حالة أخرى ، فأول ما يحاول الدعوة إلى أشد الأمور وأصعبها وأنكاها ، وهى الدعوة إلى إنكار الخالق تبارك وتعالى ، فيصبر الإنسان لا فرق بينه وبين الحيوان ، فيقول ليس إلا الطبيعة ، والتسلسل والتطور ، ليس من بعث ولا نشور ، ولا من ثواب ولا عقاب ، فيكون الإنسان دهرياً زنديقاً ، لا دين له ولا خُلُق . فإذا لم ينجح ، دعاه إلى الشرك الأكبر وعبادة القبور وتقريب القرابين لهم والنذور ، ويقول : إنهم يقربونكم إلى اللّه زلفى [١] خداعاً منه . لأن الشرك يُحبط العمل ، ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾[٢]

---

(١) إشارة إلى سورة الزمر : ٣

(٢) الفرقان : ٢٣

فإذا لم ينجح في ذلك دعاهم إلى البدعة . لأن البدعة أشد خطراً على بني آدم من كبائر الذنوب ، فإن البدعة تتعلق بالقلب وتتوغل فيه حتى تكون عقيدة .

أما الكبائر فإنها تتعلق بالشهوات ، شهوة المال أو شهوة الفَرْج أو شهوة اللسان . فقد تزول المعصية بزوال الشهوة إما بالاستغناء بالحلال . أو لزوالها ، أو للعجز عنها ، فالتوبة من الكبائر أيسر من التوبة من البدع .

ولذلك إذا جاء الداعي إلى صاحب الكبيرة يدعوه إلى تركها يلبيه ويستجب ويعترف بالخطأ سواء أقلع أم لا ، أما صاحب البدعة فإذا جاءه الداعي إلى السُنَّة كابر وعاند ولم يقبل أي جدل ، أو نقاش .

فالبدعة إذاً أحب إلى إبليس من الكبائر ، وأشد خطراً على بني آدم من الشهوات .

فإذا لم يتمكن إبليس من إدخال ابن آدم في البدعة ، رغَّبه في الكبائر . وزينها له . وحرَّك قلبه إليها ، وأنساه الوعد والوعيد .

فإذا لم يتمكن من ذلك حثه على الصغائر ، حتى يُكثر منها ويكون مدمناً لها .

فإذا لم يستطع أن يوقعه في الصغائر أوقعه في الاشتغال بالمفضول عن الفاضل . يشغله بالأعمال غير المشروعة عن المشروعة .

فإذا لم يستطع سلَّط أولياءه من الجن والإنس على الناس . فيسلط هذا على هذا ، ويضع بينهم الضغائن والإحن ، والبغضاء حتى يتقاتلوا ويتحاربوا ، ويهلكوا دينهم ودنياهم وإبليس يضحك .

فاتقوا اللّه أيها المسلمون ، المؤمن كيِّسٌ فَطِن ، خذوا حذركم من عدوكم ، وكونوا متيقظين منتبهين لتوعُّده وآخذين العدة لدفعه والإفلات منه ، فإنه عدو

مبين . وليس من نجاة إلا بالاعتصام بالله وسُنَّة الرسول ﷺ والالتجاء إلى الله والاعتصام بحبله [١] ، والاستمساك بالعروة الوثقى [٢] والالتفاف إلى جماعة المسلمين [٣] المخلصين لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم [٤] .

وصلُّوا على البشير النذير ، صلى الله عليه وسلم ، فإنه قال : « مَن صلَّى عليَّ مرة صلى الله عليه عشراً » ..... [٥] .

* * *

(١) إشارة إلى سورة آل عمران : ١٠٣

(٢) إشارة إلى سورة البقرة : ٢٥٦ ، ولقمان : ٢٢

(٣) إشارة إلى الحديث النبوي الشريف ، أخرجه البخاري معلقاً من حديث الحارث بن الحارث الأشعرى . (الفتح : ٣١٦/١٣) .

(٤) إشارة إلى حديث تميم الدارى رضي الله عنه : مسلم في الصحيح ، الإيمان برقم (٥٥) ، والبغوي برقم (٣٥١٤) .

(٥) إشارة إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه : مسلم برقم (٤٠٨) والترمذي (٤٨٥) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٧ - ثبات الأمة خير لها [١]

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾[٢] .

نزّل الذِّكْر وحفظه من كيد الآثمين : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩ ﴾[٣].

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له : حي قيوم﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾[٤] .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، الصادق الأمين ، تركنا على المحجة ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك [٥] .

اللّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فإنَّ الإسلام منهج واضح بيِّنٌ لا يقبل التدليس ولا يَتَّفق معه ما ليس منه . ومهما حاول أعداؤه الدس عليه وإدخال خيوط في لُحْمَتِه أو سُدَتِه انكشفت

---

(١) ألقيت في ١٤٠٦/٨/٢ هـ .

(٢) الفاتحة : ٢

(٣) الحجر : ٩

(٤) البقرة : ٢٥٥

(٥) إشارة إلى حديث العرباض بن سارية رضي اللّه عنه برقم (٥٠) المقدمة : ١٩/١١ إسناده صحيح وأخرجه الترمذي وابن حبان في الصحيح ، انظر من هذه المجموعة : ٢١/١

كالخيط الأسود في النسيج الأبيض ، ولكن الخطر العظيم فيما إذا جُعل على الأعين غشاوة فيلتبس عليها البياض بالسواد ، فهو أعظم خطراً إذا كانت القلوب عمياء لا تبصر وإنما تقاد إلى حيث يشاء القائد .

المعركة بين الإسلام وأعدائه لم تنفك في يوم من الأيام ، ولم تضع الحرب أوزارها في لحظة من اللحظات ، وإنما انتقلت من اللهب الحامي الذي يؤلم الأجساد ، ويثير الشعور ، ويحث على التجمع والدفاع ، إلى لهب حرارته خفية ، مثل بعض أشعة الكهرباء تفتك بلا حرارة . وتنضج بلا وهج ، وتمزق بلا صوت . ومن هذا القبيل صار الهجوم من جانب أعداء المسلمين ، والمسلمون غافلون ، فلم يشعر أبناء المسلمين بما حَولهم ولو أحس بعضهم فلم يُسمع منه صوت الإنذار .

لقد بذل أعداء المسلمين شتّى المحاولات لصدهم عن إسلامهم وإدخالهم في دينهم ، أو عزلهم على الأقل عن الإسلام وتركهم على الجاهلية . ولم تنجح المحاولات العسكرية . ولا المحاولات الفكرية الماسونية والعلمانية والإلحادية ، ولا محاولات الكنيسة والبِيَعْ . حتى وجدوا حيلة شيطانية وأسلوباً خبيثاً ، فأخذوا أناساً ألبسوهم ثياب الإسلام . وأظهروا للمسلمين بأنهم دعاة دين وسعاة إصلاح ، فخدعوا قليلي البضاعة من الإسلام بالدعاية المباشرة وباستنكار جزئيات ضعيفة يوهم استنكارها بأن ما سواها صحيح . وهذا من أخبث الدس والمكيدة ، والمحاولة جادة . بكل الوسائل وبكل الأشكال والأساليب لتفريغ المفهومات الدينية ، والحماسات الإسلامية من أدمغة المسلمين ، يحاولون تبديل الدين من نظام السماء إلى نظام بَشري باسم الدين ، يحاولون إفساد العقائد الإسلامية . وطمس معالم التوحيد باسم الدين ، يحاولون جعل الإسلام في جانب بعيداً عن الحياة ونظامها ، ويأخذون ثوب الإسلام ويلبسونه الجاهلية المعاصرة لتكون من الدين ، لتؤدى دورها في كل البقاع التي لا زالت فيها عاطفة دينية لقيادتها بهذا الدستور المزور إلي محاضن الصليبية واليهودية أو الإلحاد ، والهدف الأساسي هو استعباد البَشر وجعلهم أرقاء أتباعاً لهم .

وإذا نظرنا إلى البلاد الإسلامية التي خدعت بتلك المخادع ، ودخلت تحت رق الغازين المستعمرين نراها في انحدار وتقهقر دائماً ، وجميع مجالات الحياة في الفكر والتطور ، وفي التعليم والتنظيم ، وفي القوة العسكرية ، وفي الطاقة الاقتصادية . .

وإذا تأملنا قوله صلى اللّه عليه وسلم : « وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة » [١] وجدناه قد حصل بسبب الغزو الفكري الذي غفلت عنه الأمة الإسلامية ، حتى تمكن منها .

إن العقيدة الإسلامية التى يضيق أعداء الإسلام وأتباعهم وأشياعهم صدراً بالذود عنها وكشف ما يراد بها . ويضيقون صدراً بصقلها وكشف الغشاوات عنها ، إنها هي الهدف الأساسي الذي من أجله أرسلت الرسل وهي القاعدة الأساسية لرسالة نبينا محمد ﷺ التي ظل ثلاثة عشر عاماً يدعو إليها وحدها . وهي التي لم تنفك سورة من سور القرآن - بل ولا آية من آياته - إلا وتدعو لها وتذود عنها .

إن البيت هو المدرسة الأولى للأولاد . ومسئوليته هي المسئولية الأولى . فلا يحل لرب البيت أن يتخلى عن واجباته نحو أبنائه ، فلا يتركهم للدعايات الخادعة فريسة ، إن أهل الأهواء قلّ أن ينفك صبيهم عن عقيدتهم لأنه يُلاحظ ويُعلّم ويُزال عن فكره كل ما أدخل فيه من غير عقيدتهم ، ولأن الشيطان يذكرهم ويحثهم ويحرضهم . ودعاة السوء من حولهم من جنود إبليس يحذرونهم ويؤنبونهم في التساهل عن عقيدتهم .

أما أبناء أهل السُنّة والجماعة فقد أهملهم البيت وأبعدتهم الدعايات عن المسجد ، وهم في المدرسة بين منهج لا يتعداه ، وبين مدرس هزيل ، أو جاهل عنيد .

---

(١) إشارة إلى حديث أبى هريرة رضي اللّه عنه ، أخرجه أحمد في المسند : ٣٣٢/٢ وابن ماجه في الفتن ، حديث رقم (٣٩٩١) ، وأبو داود في السنة برقم (٩٦٤٥) ، والترمذي في جامعه برقم (٢٦٤٢) ، وقال : حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، وتأملوا قول الخالق تبارك وتعالى : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ﴾(١)

﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١٧﴾ ﴾(٢)

اللّهم بارك لنا في القرآن العظيم .....

* *

(١) البقرة : ١٠٩

(٢) البقرة : ٢١٧

٢٧ - مَن أراد الاستقامة فليتبع القرآن

(الخطبة الثانية)

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أما بعد ..

فإن القرآن نور لا يستضيء به إلا مَن تدبره وعمل بما فيه . والقرآن هُدىً لا يهتدي به إلا مَن عرفه وأخلص فكره وعقيدته لله .

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾(١)

فكل الأمور القيِّمة المستقيمة سواءً في العقائد والشعور أو في العبادات أو في العلاقات والسلوك . أو في السياسة والتدبير أو في الاقتصاد أو تنمية الأموال أو في إصلاح المجتمع وتنظيم الحياة . نجدها في القرآن ، فمَن أراد أن يسير في كل أعماله وأقواله وتصرفاته إلى أقوم الطرق ، وأفضل الوسائل فليجعل القرآن أمامه يسير عليه ، إنه كلام اللّه ورسالته إلى خلقه ، وهو معجزة نبينا محمد ﷺ ، وهو نظام الإسلام .

---

(١) الإسراء : ٩

والسُنَّة المطهرة مثل القرآن في وجوب الإتباع ، فهى توضحه وتفسره .
فاتقوا الله أيها المسلمون ...

ارجعوا إلى كلام الله . عودوا إلى كتاب الله . اعملوا بسنة رسول الله .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾(١)

* * *

(١) الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٨ - الانتصار على النفس [١]

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾[٢]

﴿ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝١٤٢ ﴾[٣]

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له : ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٨ ﴾[٤]

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝٨ ﴾[٥]

اللّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فليست المعركة العسكرية هي التي يخوضها الإنسان وحدها في هذه الحياة . بل أمام الإنسان معركة كبرى أهم وأخطر . وتعتبر المعركة العسكرية جزئية

---

(١) ألقيت في ١٤١١/٢/١١ هـ .

(٢) الفاتحة : ٢

(٣) البقرة : ١٤٢ ، ٢١٣

(٤) الأنعام : ١٨

(٥) المنافقون : ٨

بالنسبة للمعركة التي بين الإنسان وبين نفسه وضميره وهواه وشهواته :

﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾(١)

وبين المعركتين ارتباط . فمَن انتصر على النفس والهوي وتغلب على الشهوات . أياً كان نوعها . بسلاح التقوى والإيمان وتحكيم الشريعة . واستطاع أن يطبقها على نفسه وعلى أهله وأولاده وحاشيته ومَن في حكمهم فإن انتصاره في المعركة الجزئية العسكرية أرجى وأقوى .

ولا قيمة في شرع الله للانتصار العسكري ما لم يكن شاملاً للانتصار على النفس والغلبة على الشهوة والهوى .

أما الحرب الإعلامية وحرب الأعصاب وما يقال من دعايات ودعوة إلى مباديء لم يأذن بها الله . وليست في دين الله . فهي دعايات كاذبة ماكرة . قد تُغلَّف بغلاف برّاق ماكر لغدر العامة واقتناصها والتشويش عليها وتغيير اتجاهها . ولكنها لا تنطلي علي ذوي الإدراك والإنصاف . ومآلها للفشل والاضمحلال وعاقبتها للخزي والعار .

والإسلام بطهارته ورفعة شأنه وعلو هدفه لا ينزل إلى مستوى السفهاء ولا يهبط إلى المقاصد الدنيئة ، بل يأمر بالصبر وترك الأمر إلى الله : ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾(٢)

﴿ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾(٣)

---

(١) النازعات : ٣٧ - ٤١

(٢) الأنعام : ٣٣

(٣) يس : ٧٦

والواجب على المسلمين مقابلة الأحداث والفتن بالصبر والتقوى والتماسك والتعاون والترابط والاعتصام بحبل الله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾(١)

فالتقوى والاعتصام بحبل الله قاعدتان تقوم عليهما الأمة المسلمة وتؤدي بهما مُهمَتها في هذه الحياة وخصوصيتها في البَشر : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾(٢)

ولئن أمر الإسلام بالاستعداد للعدو وأخذ الاحتياطات من كل جوانبها فهو لا يُحرض على مقابلة الإساءة بالإساءة ولا يقابل الغدر والخيانة بمثلها . ولا السفه والطيش والكذب والافتراء والبهتان بمثلها .

وإنما يأمر بما فيه وقاية الأمة وحماية حقوقها وكرامتها . كما أن الإسلام يأمر بالتعامل مع الناس جميعاً بسماحة الإسلام : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾(٣) ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ ﴾(٤) ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ ﴾(٥)

---

(١) آل عمران : ١٠٢ - ١٠٣

(٢) آل عمران : ١١٠

(٣) الأعراف : ١٩٩

(٤) الأعراف : ٢٠٠

(٥) فصلت : ٣٤ - ٣٦

ويجب على الإنسان أن يعلم واقعه في هذه الدنيا ومكانته عند الله ورسالته في هذه الحياة ومهمته في هذا الوجود ، فلم يُخلق الإنسان عبثاً ولم يُترك هملاً ، ولن يذهب سدى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾(١)

﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾(٢)

وقدرة الله تعالى تلاحق الإنسان أينما توجّه . وعلم الله يُلم بالشارد والوارد ، ويحصى على الإنسان الخواطر والخوالج ، والغيبُ المكنون الذي لا تدركه الظنون مكشوف لعلم الله .

﴿ سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴿١٠﴾ ﴾(٣)

ومع كمال علم الله بالإنسان وإحاطته به . جعل سبحانه مع كل فرد من بني آدم ملائكةً لحراسته ولإحصاء أعماله وأقواله : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾(٤) ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾(٥)

وكما يكون الناس يُولّ الله عليهم ، وكما يكونوا يكونُ الله معهم أو يتخلى عنهم ، وكما يكونوا ينصرُهم الله أو يخذلُهم ، وكما يكونوا يعزُهم الله أو يذلُهم : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾(٦)

(١) الذاريات : ٥٦
(٢) المائدة : ٤٨
(٣) الرعد : ١٠
(٤) الانفطار : ١٠ - ١٢
(٥) الرعد : ١١
(٦) الرعد : ١١

فالخالق تعالى يتعقب خلقه بعلمه وبسمعه وبصره وإحاطته وبالحفظة من أمره . ويراقب ما يُحدثون من تغيير في دينهم ومعاملاتهم ومكاسبهم وسلوكهم وأخلاقهم ، فَيُنْفِذُ فيهم قَدَرَه على وفق ما غيَّروا .

فالإنسان بإرادته وبرغبته يقرر مصيره ، فهو يملك المحافظة على نعمة الله بشكرها وبطاعة الله وباجتناب حرماته في كل حركة من حركاته وفي كل مرفق من مرافق حياته وفي كل صغيرة وكبيرة . وربط قلبه بالله في شأنه كله : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾[1]

وهذا عدل من الله ورحمة . فلم يسلبْ نعمة وهبها لقوم حتى يكونوا هُم السبب في سلبها : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾[2]

وهذا نبي الرحمة الصادق المصدوق - صلى الله عليه وسلم - يُقْسِم قَسَماً مؤكداً ناصحاً لأمته مشفقاً عليهم ، عن حذيفة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عذاباً من عنده ثم لتدعنه فلا يستجاب لكم »[3] . وعن أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه قال : أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ ﴾[4] فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « إن الناس إذا رأوا منكراً فلم يغيروه يوشك

---

(١) الأنفال : ٥٣

(٢) إبراهيم : ٧

(٣) الترمذي : برقم (٢١٦٩) : ٤/٤٦٨ ، وحسَّن إسناده الترمذي ، وأحمد في مسنده : ٥/٣٨٨ ، ٣٨٩ ، من هذا الوجه واللفظ .

(٤) المائدة : ١٠٥

أن يعمهم اللّه بعقابه » [١] . فكما أن المسلم مكلّف هداية نفسه ، فهو أيضاً مكلّف هداية ولده وأهله ومَن تحت رعايته . فلا يغفُل عنهم ولا يترك الحبل على الغارب بل يَتَفقدهم ويتابع أعمالهم وسلوكَهم . فمَن كان في مرضاة اللّه شجَّعه وقرَّبه وأحبه . ومَن كان على معصية اللّه تاركاً لشيء من أوامر اللّه منتهكاً شيئاً من حرمات اللّه أمره ونهاه . وأخذ على يده ومنعه عن هواه .

روى البخاري ومسلم رحمة اللّه عليهما عن عبد اللّه بن عمر رضي اللّه عنهما قال : سمعتُ رسول اللّه ﷺ يقول : « كلكم راع ومسؤول عن رعيته . الإمام راع ومسؤول عن رعيته ، والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته ، والمرأة راعيةٌ في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها ، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته ، والولد راع في مال أبيه ومسؤول عن رعيته ، وكلكم راع ومسؤول عن رعيته » [٢] .

فاتقوا اللّه أيها المسلمون ، توبوا إلى اللّه ، استغفروا ربكم وحاسبوا أنفسكم وتفقدوا شؤونكم وزنوا أعمالكم بموازين الشريعة ، فما وافق منها فاحمدوا اللّه والزموه . وما كان مخالفاً فاتركوه حتى لو كان فيه قناطير الذهب والفضة ، فإن مآلها إلى القلة والهلاك ، وحتى لو كان فيها موافقة النفس والهوى . فإنه لا عزّ مع معصية اللّه ولا ذُلّ مع طاعة اللّه ، فاتقوا ربكم وتوبوا إليه واستغفروه لكل صغيرة وكبيرة .

---

(١) ابن ماجه برقم (٤٠٠٥) الفتن باب (٢٠) باب : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإسناده صحيح وقد عزاه السيوطي في الدر المنثور (٢١٥/٣) : إلى ابن أبى شيبة وأحمد ، وعبد بن حميد ، والعدني ، وابن منيع ، والحميدي في مسانيدهم ، والترمذي وصححه ، والنسائي ، وابن ماجه ، وابن يعلي وثم ذكر الآخرين .

(٢) البخاري في عدة مواضع من صحيحه (١) - الأحكام حديث رقم (٨٩٣) الجمعة ، ومسلم برقم (١٨٢٩) من حديث ابن عمر رضي اللّه عنهما .

روى مسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « يا أيها الناس ، توبوا إلى الله فإني أتوب في اليوم إليه مائة مرة » [١] .

وعليكم بالتوبة النصوح . قال ابن تيمية رحمه الله : هي الخالصة لله من كل غش . والتوبة النصوح قطع جذور الذنب من القلب والهوى . فإن العبد إنما يعود إلى الذنب لبقايا في نفسه . فمَن خرجَ من قلبه الشبهة والشهوة لم يعد إلى الذنب .

والتوبة النصوح واجبة . لقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾[٢]

ولا يجوز للمسلم أن يُصر على المعصية حتى ولو كانت صغيرة ، وحتى ولو كانت سهلة في نفسه ، وحتى لو رأى الناس يعملونها . وحتى لو تاب ثم عاد في المعصية فتجب التوبة . ولو تكررت منه التوبة والعودة .

روى الإمام أحمد في مسنده عن عليّ رضي الله عنه أنه قال : « إن الله يحب العبد المفْتَن التواب » [٤] .

وفي حديث آخر رواه أحمد : « لا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار » و « ما أصر مَن استغفر » [٥] وهو من حديث أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه .

---

(١) مسلم : الذكر والدعاء والاستغفار ، حديث رقم (٢٧٠٢) .

(٢) التحريم : ٨

(٣) ذكر ذلك كله ابن الأثير في النهاية : ٦٣/٥ ومنه أخذ شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله .

(٤) مسلم برقم (٢٩٦٥) الزهد ، ورواية أحمد بهذا اللفظ : ٨٠/١ ، ١٠٣ عن عليّ رضي الله عنه .

(٥) أبو داود برقم (١٥١٤) : الصلاة ، من حديث أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه . والترمذي : برقم (٣٥٥٤) .

نستغفر اللّه ونتوب إليه .

اللّهم استر عوراتنا ، واغفر زلاّتنا ، وتجاوز عن إهمالنا وتقصيرنا ، واكتب لنا رحمتك التى وسعت كل شيء .

ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين .

اللّهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، ودنيانا التي فيها معاشنا ، وآخرتنا التي إليها معادنا .

اللّهم ألّف بين قلوب المسلمين ووحّد صفوفهم واجمع كلمتهم على الحق المبين .

اللّهم اخذل الظلمة المعتدين والمارقين المفسدين ، الذين يتعدون حدودك وينقضون عهدك ويقتلون عبادك ويهتكون حرماتك .

اللّهم اهزمهم وزلزل أقدامهم وردهم على أعقابهم خاسرين .

اللّهم إنّا نجعلك في نحورهم ، ونعوذُ بك من شرورهم .

اللّهم اغفر لنا ولجميع المسلمين .. إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

٢٨ - الرب لا يطرد الإنسان إذا عصى

(الخطبة الثانية)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ ﴾[١]

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله وخيرته من خلقه .

اللّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدي بهَدْيه ، واتبع سبيله .

أما بعد ..

فإن الخالق تبارك وتعالى يعلم ضعف البَشر . هذا الإنسان الذي كرَّمه اللّه وفضَّله . ثم تهوى به الشهوة إلى مكان سحيق . وتدفعه الميولات والرغبات النفسية إلى فعل ما يفعله المتوحش من الحيوان .

فالذي خلق الإنسان أعلم بما خلق : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾[٢] ، فهو لا يطرد الإنسان إذا عصى ، وإنما يرده إلى الصواب ويأمره بالرجوع إلى اللّه وبالتوبة النصوح .

ولئن جاء في الشريعة عقوبات وتعزيرات وحدود ، فإنما هى للتربية والتطهير . وليست للانتقام والتعذيب ولا للتنفير .

والإسلام حينما يدعو إلى السماحة والتعقل ، ويختار أيسر الأمرين وأسهلهما للبَشر ، فهو لا يدعو إلى الترخيص ولا التشجيع على المعصية . وإنما يجمع بين التربية والرحمة ، فأنجح أساليب التربية ما جمع بين الترغيب والترهيب .

وصلوا على البشير النذير .....

* * *

---

(١) الفاتحة : ٢ - ٣

(٢) الملك : ١٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٩ - التحذير من الدسائس [١]

(الخطبة الأولى)

الحمد لله على نعمة الإسلام ، والحمد لله على آلائه وفضله التام .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له ، واحدٌ أحدٌ ، فردٌ صمدٌ .

اللّهم لا نحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك [٢] .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، بلّغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح للأمة ، صلى اللّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد ..

فيقول الخالق تبارك وتعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[٣] ، لقد أكمل اللّه لأمة محمد ﷺ دينها . وأتم نعمته على المسلمين ، ورضى لهم رسالة محمد ﷺ منهجاً لحياتهم ، بل ولجميع الناس أجمعين ، فلم يعد هناك من سبيل لتعديل شيء منه ولا لتبديله ، ولا لترك شيء من حكمه إلى حكم غيره ، لم يبق مجال للعدول من شريعته إلى شريعة أخرى ، وقد علم اللّه حين رضيه للناس أنه يسع الناس جميعاً ، وأنه يحقق الخير للناس جميعاً .. فجعله خاتم الرسالات .

---

(١) ألقيت في ١٤٠٦/٦/٢٣ هـ .

(٢) من دعاء النبي ﷺ في الصحيح لمسلم (الصلاة) حديث رقم (٢٢٢) من حديث عائشة رضي اللّه عنها .

(٣) المائدة : ٣

وقد علم الله أن معاذير كثيرة يمكن أن تقوم أمام هذا المنهج القويم ، وأن خواطر ورغبات قد تتسرب إلى النَيْل من قدسية الإسلام وكماله .

وقد علم الله أن دسائس وشبهات ستوقع خلافاً في المسلمين . وأخطر هذه المعاذير والدسائس : الرغبة في تأليف القلوب بين الطوائف المختلفة والعقائد المتعددة . فيحصل بذلك إهمال ما هو من صميم الإسلام أو إدخال ما ليس منه إليه ، فيحصل اهتزاز العقيدة وتصدع قواعد الإيمان ، وترجع الأمة إلى الجاهلية الأولى . كما هو الحال في بعض الأقطار .

إن شريعة الله أبقى وأعلى من أن يضحي بجزء منها في مقابل شيء ، قدَّر الله ألا يكون . فالناس قد خُلقوا ولكل منهم مشرب ، ولكل منهم مطمع ، ولكل اتجاه هدف ، فالواجب اتباع الحق . والواجب اتباع العدل : ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩ ﴾(١)

ولحكمة من حكم الله خُلقوا مختلفين : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ ﴾(٢) ﴿ وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ١١٦ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١١٧ ﴾(٣) ، وإن التساهل في شيء من شريعة الله . أو السكوت على شيء لم يأذن به الله . ولم يشرِّعه رسول الله ﷺ لإرضاء الناس . أو لكف كلام الناس أو لاستمالة قلوب الناس . إنما هى محاولة فاشلة لا مبرر لها من الواقع ، ولا قيمة لها في ميزان الله ، ولا سند لها من

---

(١) النساء : ٥٩

(٢) هود : ١١٨ - ١١٩

(٣) الأنعام : ١١٦ - ١١٧

شريعة الله ، ولا قبول لها في حس المسلم الحقيقي الذي يعرف قدر الله ويعرف قدرة الله ، ويؤمن بأن الأمر كله لله ، وأن الكون ملك لله . وأن المآل إلى الله : ﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾(١)

لقد مَنَّ الله على هذه البلاد فجمع شتاتها ، وآخى بين أهلها ووحَّد اتجاههم في عقيدتهم ، وفي عباداتهم ومعاملاتهم وأحكامهم على منهاج الإسلام . فاعتصموا بحبل الله وساروا على صراط الله ، ذلك بفضل الله وتوفيقه ، ثم بفضل القادة المصلحين المخلصين لدينهم وأمتهم وبلادهم ، عرفوا للإسلام حقه . وللعقيدة طهارتها ، وللعدل قواعده ، وللأمن أسبابه ، وللنعم شكرها ، فبلادنا في نعمة ولله الحمد لا توجد في غيرها . فتجب المحافظة على مقوِّمات هذه النعمة . وتقوية روابط وحدتها . والأخذ على يد مَن يحاول فك رباطها وإثارة الخلافات بأى سبب كان وفي أي مجال كان . فمنهاج الله واضح ، متكامل لا يقبل الزيادة ، ولا النقصان ؛ فمَن أراد أن يزيد فيه ما ليس منه فقد أخطأ وتاه ، ومَن أراد أن ينقص منه فقد اعتدى وضل .

وقد نهى الله تعالى عن الخلاف في العقيدة ومخالفة نصوص الشريعة في الفروع وحذَّر من نتائجه . أمر بالاعتصام بحبله وبيَّن فوائده . قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾(٢) ، وقال سبحانه : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾(٣) ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾(٤)

وقال صلى الله عليه وسلم : « مَن أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو

---

(١) الأنعام : ١٦٤

(٢) آل عمران : ١٠٢ - ١٠٣

(٣) آل عمران : ١٠٥

(٤) الأنفال : ٤٦

رد » . (رواه البخارى ومسلم) [١] وفي رواية لمسلم : « مَن عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد » [٢] . أى مردود على صاحبه ، وروى الإمام مسلم وغيره عن جابر رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته ، واشتد غضبه كأنه منذر جيش يقول : صبحكم ومساكم ويقول : « أما بعد : فإن خير الحديث كتابُ الله ، وخير الهَدْى هَدْيُ محمد ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة » [٣] .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة حتى يدع بدعته » (رواه الطبراني وإسناده حسن) [٤] ، ورواه ابن ماجه وابن أبى عاصم في كتاب السُنَّة من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ولفظهما : قال رسول الله ﷺ : « أبى الله أن يقبل عمل صاحب بدعة حتى يدع بدعته » [٥] ، وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال : وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون ،

---

(١) البخاري برقم (٢٦٩٧) الصلح باب (٥) من حديث عائشة رضي الله عنها : ٣٠١/٥ (الفتح) ، مسلم في الصحيح : الأقضية (١٧) من هذا الوجه واللفظ .

(٢) هذا لفظ مسلم في الصحيح برقم (١٧١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها وعلقه البخاري : ٢٩٧/٤

(٣) هذا لفظ مسلم (الجمعة) برقم (خاص ٤٣) ، و (عام ٨٦٧) : ٥٩٢/٢ وذلك من حديث جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه .

(٤) أورده الهيثمي في المجمع : ١٨٩/١ ، وقال الهيثمي : رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير هارون بن موسى الفروى وهو ثقة .

قلت : هارون بن موسى بن أبى علقمة عبد الله بن محمد الفروى المدني قال الحافظ : لا بأس به .

قلت : إسناده حسن .

(٥) ابن ماجه برقم (٥) المقدمة (٧) باب : اجتناب البدع والجدل : ١٩/١ وإسناده ضعيف ولكن حديث عائشة بمعناه : « مَن أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد » - صحيح .

فقلنا : يا رسول الله ، كأنها موعظة مودِّع فأوصنا قال : « أوصيكم بتقوى الله ، والسمع والطاعة وإن تأمَّر عليكم عبدٌ ، وإنه مَن يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسُنَّتي وسُنَّة الخلفاء الراشدين المهديين ، عَضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة » (رواه أبو داود وابن ماجه وابن حبان في صحيحه وقال الترمذي : حديث حسن صحيح) [١] .

فاتقوا الله أيها المسلمون .. إنَّ المعصية إذا خفيت لا تضر إلا صاحبها . أما إذا ظهرت ولم تُنكر عمَّت الخاصة والعامة : ﴿ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [٢]

اللّهم إنّا نسألك الثبات على الحق ، والعزيمة على الرشد ، والهداية إلى الصراط المستقيم .

اللّهم أبرم لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه أهل الطاعة ، ويذل فيه أهل المعصية ويُؤمر فيه بالمعروف ويُنهى فيه عن المنكر ، إنك على كل شيء قدير .

اللّهم اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

---

(١) أخرجه ابن ماجه في المقدمة (٦) باب : إتباع سُنَّة الخلفاء الراشدين المهديين حديث رقم (٤٢) وذلك من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه ، وإسناده صحيح لدى الجميع .

(٢) الأنفال : ٢٥

٢٩ - المعصية إذا خفيت لا تضر إلا صاحبها

(الخطبة الثانية)

الحمد للّه رب العالَمين .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له ، إلَهُ الأوَّلين والآخرين .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، إمام المتقين وقائد الغر المحجلين .

اللّهم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أما بعد ..

فأوصيكم وإياي بتقوى اللّه ، وبالتمسك بكتاب اللّه وبسُنَّة رسول اللّه ﷺ ، عَضواً عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور [١] التي لم تكن في عهد رسول اللّه ﷺ وأصحابه . ولا في عهد التابعين المحسنين ، احذروها فإنها ضلالة .

روى مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد اللّه قال : قال رسول اللّه ﷺ : « أما بعد .. فإن خير الحديث كتابُ اللّه ، وخير الهَدْيُ هَدْى محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها . وكل بدعة ضلالة » [٢] - وزاد النسائي : « وكل ضلالة في النار » [٣] . وعن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال : قال رسول اللّه ﷺ :

---

(١) إشارة إلى حديث العرباض بن سارية رضي اللّه عنه ، أخرجه أحمد في المسند : ١٢٦/٤ وإسناده جيد .

(٢) مسلم في الصحيح كتاب الجمعة - حديث رقم (خاص ٤٣٠) ، و (عام ٨٦٧) من حديث جابر بن عبد اللّه الأنصاري رضي اللّه عنه .

(٣) النسائي : من حديث جابر بن عبد اللّه الأنصاري : ١٨٨/٣ - ١٨٩ ، وإسناده صحيح .

« يكون في آخر الزمان دجّالون كذّابون يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإياهم لا يضلونكم ولا يفتنونكم » (رواه مسلم) [١] .

وروى مسلم أيضاً عن عبد اللّه بن مسعود رضي اللّه عنه قال : قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : « ما من نبي بعثه اللّه في أمته قبلي إلا كان في أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسُنّته ويقتدون بأمره . ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون . فمَن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومَن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل » [٢] .

فاتقوا اللّه أيها المسلمون .. مَن دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور مَن تبعه ، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً .

ومَن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام مَن تبعه ، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً .

إن الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم ، يأخذ الشاذة والقاصية والناحية ، وإياكم والشِعاب وعليكم بالجماعة .. مَن فارق الجماعة شِبراً فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه [٣] ، وما أحدث قوم بدعة إلا رفع مثلها من السُنّة . فتمسكُ

---

(١) مسلم في المقدمة برقم (٧) : ١٢/١ وذلك من حديث أبي عثمان مسلم بن يسار عن أبي هريرة رضي اللّه عنه .. ثم ذكر هذا الحديث .

(٢) أخرجه مسلم في الصحيح (الإيمان) حديث رقم (خاص ٨٠) ، و (عام ٥٠) من حديث ابن مسعود رضي اللّه عنه .

(٣) أخرجه أحمد في المسند : ١٣٠/٤ وذلك من حديث الحارث الأشعري رضي اللّه عنه ، وإسناده جيد .

بسُنَّة خير من إحداث بدعة [١] ومَن وقَّر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام .

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾[٢]

* * *

(١) أحمد في المسند : ٤/١٠٥ ، وذلك من حديث غضيف بن الحارث رضي الله عنه .

(٢) الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣٠ - الحث على العلم النافع من كتاب اللّه والسنة

(الخطبة الأولى)

الحمد للّه رب العالمين ، أحمده وأستعينه ، وأستغفره وأتوب إليه ، وأعوذ باللّه من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا . مَن يَهْدِه اللّه فلا مضل له . ومَن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاّ اللّه وحده لا شريك له ، وأشهد أنّ نبينا وحبيبنا محمداً عبده ورسوله ، صلّى اللّه عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد ..

فأوصيكم وإياي بتقوى اللّه تعالى ومراقبته في السر والعلانية .

عباد اللّه .. إننا نلاحظ في زمننا هذا كثرة العلوم وتنوع مقاصدها ، وتفاوت نتائجها ، وإقبال الناس على العلم باختلاف نياتهم ، وتفاوت رغباتهم ، وينبغي أن نعلم أن العلوم تختلف فضلاً وشرفاً باختلاف مقاصدها ، ومباحثها ، وتتفاوت سمواً ورفعة باختلاف مصادرها وموارِدها .

وإن أفضل العلوم وأشرفها وأنفعها للإنسان هو ما تحصل به سعادته . وراحة قلبه ، واطمئنان نفسه وتحقيق عزته وكرامته في الدنيا والآخرة .

وهو ما أُخِذَ من كتاب اللّه تعالى ، وسُنّة رسوله ﷺ ، إذ المقصود به هو أشرف المقاصد ، وجه اللّه تبارك وتعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ﴾(١)

---

(١) الأنعام : ١٦٢ - ١٦٣

وأما ثمرته فراحة النفس ، واطمئنانها وتحقيق عزتها وكرامتها ، وحفظ حقوقها .

وأما غايته فأعلى المطالب ومنتهى الأماني : جنات النعيم : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ ﴾(١) . وعلم الشريعة تبقى آثاره بعد فناء صاحبه وبقية العلوم تزول أثارها بزواله .

فهذا العلم هو الذي تحيا به القلوب . يغرس فيها محبة الله وعظمته ، ويقر فيها معرفته وخشيته ، فيسكن القلب وتخشع الجوارح ، فتكون عاملة للخير بعيدة عن الشر ، كلها صلاح وفلاح ، من أجل هذا أثنى الله تعالى على العلم ومدح أهله وبيَّن منزلتهم عنده ومكانتهم من خلقه : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾(٢) ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾(٣) ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾(٤) ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ ﴾(٥)

وبشَّر نبينا محمد ﷺ طالبي العلم الذي جاء به وأوضح فضلهم عند الخالق جلَّ وعلا . ومنزلتهم لدى جميع الخلائق مَن في الأرض ومَن في السماء ، كما في حديث أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه قال : إني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « مَن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سلك الله له به طريقاً إلى الجنة (٦) ، وإن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يطلب (٧) ، وإن العالم ليستغفر

---

(١) الكهف : ١٠٧ - ١٠٨
(٢) الزمر : ٩
(٣) فاطر : ٢٨
(٤) المجادلة : ١١
(٥) مريم : ٩٦
(٦) البخاري معلقاً : ١ / ١٦٠ (الفتح) ، وأبو داود موصولاً برقم (٣٦٤١) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه من حديث أبي هريرة .
(٧) أحمد في المسند : ٤/١٣٩ من حديث صفوان بن عسال المرادي رضي الله عنه ، وإسناده حسن .

له مَن في السموات والأرض حتى الحيتان في الماء [١] ، وفضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ، وإن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً . وإنما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر » [٢] .

هذا هو العلم النافع الذي جاء به نبينا محمد ﷺ . فهو الموصل إلى الله . وهو المورد إلى جنات النعيم ، وهو الذي يُهتدى به في ظلمات الجهل والشبه والشكوك والحيرة : ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝١٥ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [٣]

هذا هو العلم الذي يجب أن يُعلَّم ويُتعلَّم . فهو الذي يُعرف به الخبيث من الطيب ، والحلال والحرام ، وبه ينتشر الأمن ويقوم العدل ، وتعم به الخيرات ، وهو الذي ينظم حياة الفرد والجماعة والأسرة ، فحملة هذا العلم قادة الأمة وهداتها في مسيرتها كالنجوم يُهتدى بها في ظلمات البر والبحر ، فإذا فقدت الأمة الهداة ضلّت في المتاهات وهامت في الظلمات ، قال صلى الله عليه وسلم : « إن مثل العلماء في الأرض كمثل النجوم في السماء يُهتدى بها في ظلمات البر والبحر ، فإذا طمست النجوم أوشك أن تضل الهداة [٤] . إن الله لا يقبض

---

(١) أحمد في المسند : ١٩٦/٥ من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه الطويل وإسناده جيد مع الشواهد .

(٢) هو نفس حديث أبي الدرداء رضي الله عنه ، أحمد في المسند : ٥ / ١٩٦ ، وأبو داود : (العلم) الباب الأول من هذا الوجه ، وابن ماجه برقم (٢٢٣) : ١٨/١ بسياق طويل .

(٣) المائدة : ١٥ - ١٦

(٤) أخرجه أحمد في المسند : ١٥٧/٣ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، وإسناده فيه ضعف ، أورده الهيثمي في المجمع : ١٢١/١ ، وقال : رواه أحمد وفيه رشدين بن سعد واختلف في الاحتجاج به وأبو حفص صاحب أنس مجهول والله أعلم .

قلت : إن هناك أحاديث أخرى بمعناه وهي صحيحة .

العلم انتزاعاً . ينزعه من صدور الرجال ، ولكن يذهب العلماء فإذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا » [١] .

وإذا تأملنا الأمم التي لم يكن لها حظ من هذا العلم ولا هداة حق ، يهدونهم الطريق السوي . وجدناهم في حيرة مظلمة ومتاهة موحشة ، قد سئموا حياتهم وتفككت أسرهم لأنهم تقلبوا في جميع ما يخطر على بالهم من ملذات الدنيا ، وأطلقوا لأنفسهم الحرية الفردية العائمة ، فسلكوا جميع سبلها حتى نهايتها ، ودخلوا مع أبوابها حتى أقصاها فلم يبق لهم تطلع إلى مستقبل أفضل ولا تشوق إلى حياة أكمل ، ولم يكن لهم نور يهتدون به . فلم يكن لهم إيمان بالله فيتجهون إليه ، ولا إيمان باليوم الآخر فيعملون له ، ولا بالجنة فيتسابقون إليها ، ولا بالنار فيهربون منها ، وإن هم إلا ﴿ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾[٢] . هذه حالهم مع ما هم فيه من علوم الدنيا وتطورها ومع ما هم فيه من الحرية الفردية المطلقة .

ومما يؤسف له - أيها المسلمون - أن بعض المسلمين قد انحرفوا عن معرفة دينهم ، وتلقي علومه التي هي أفضل العلوم وأشرفها ، وما ذاك إلا لقصر النظر وضعف الإدراك . وقصور التفكير . والجهل بحقيقة الإسلام .

فظنوا أن الإسلام وعلوم الإسلام تحول بينهم وبين العمل في الحقل العام ، وأنه يوجب العمل في حقل خاص ، وتوهموا أنه يدعو إلى الركود والسكون والدعة ، وأنه يمنع من التمتع بالطيبات ، والتلذذ بالخيرات ، فقالوا : إنه علم ليس له مستقبل . وهذا تصور خاطيء وقول بلا علم ، وحكم بلا دليل ، بل يخالفه نص كتاب الله وسُنَّة نبيه ﷺ وتاريخ الإسلام .

---

(١) أخرجه الشيخان في صحيحهما وأحمد في المسند : ١٦٢/٢ كلهم من حديث عبد الله ابن عمرو رضي الله عنه ، البخاري : برقم (١٠٠) كتاب العلم (الفتح) : ١٩٤/١ ، ومسلم في الصحيح (العلم الحديث) رقم (خاص ١٣) ، وكذا أحمد في المسند : ١٩٠/٢

(٢) الأعراف : ١٧٩

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا ﴾(١) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا ﴾(٢) ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً ﴾(٣) ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾(٤) ﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾(٥) ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾(٦) ﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾(٧)

« احرص على ما ينفعك ولا تعجزنّ » (٨) ، « ذهب أهل الدثور بالأجور » (٩) ، « لا حسد إلا في اثنتين » (١٠) .

إن دين الإسلام وعلوم الإسلام تحث على الجد والعمل والتعاون ، وتدعو إلى القوة والعزة والمنفعة وحفظ الكرامة . قد وضع لجميع مرافق الحياة نظاماً متقناً ، طاهراً نقياً .

---

(١) البقرة : ١٦٨

(٢) المؤمنون : ٥١

(٣) البقرة : ٢٠١

(٤) الجمعة : ١٠

(٥) البقرة : ٢٧٥

(٦) الأنفال : ٦٠

(٧) هود : ٣٧

(٨) إشارة إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه أحمد في المسند : ٣٦٦/٢ ، ٣٧٠ ، إسناده صحيح .

(٩) إشارة إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه برقم (٨٤٣) ، الفتح : ٣٢٥/٢ ، ومسلم - المساجد (١٤٢) ، وأحمد في المسند : ٢٣٨/٢

(١٠) إشارة إلى حديث ابن مسعود رضي الله عنه - البخاري برقم (٧٣) العلم (الفتح) : ١٦٥/١ ، ومسلم : المسافرين برقم (٢٦٨) ، وأحمد في المسند : ٣٥٦/١

فاتقوا الله أيها المسلمون .. ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ﴾(١) .

فيا أيها المسلمون .. يا شباب الإسلام : ﴿ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ﴾(٢) . لا ترغبوا عن علوم الإسلام . ولا يفتنكم الشيطان وأعداؤكم عن مصدر عزتكم ومورد كرامتكم ، تعلموا العلم النافع واطلبوه من ينابعه ومناهله الصافية ، ولازموا حلق الذكر ومجالس العلم ، وكونوا من حزب الله المفلحين ومن الهداة العاملين .

اللّهم اشرح صدورنا للإسلام واملأ قلوبنا بالإيمان وفقهنا في الدين وارزقنا العمل به . واجعلنا من عبادك الصالحين ﴿ الَّذِينَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٣) .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب وخطيئة فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

* *

---

(١) النساء : ١٣٤

(٢) المائدة : ١٠٥

(٣) البقرة : ٢٧٧ ، بلفظ : ﴿ وَلاَ .... ﴾ .

٣٠ - لا يجوز حمل الناس على الشواذ

(الخطبة الثانية)

الحمد للّه ، وله الحمد في السموات والأرض وهو الحكيم الخبير .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاّ اللّه وحده لا شريك له .

وأشهد أنّ نبينا محمداً عبده ورسوله وصفوته من خلقه ، صلى اللّه عليه وسلم وعلى آله وأصحابه ومَن استن بسُنّته واقتفى أثره .

أما بعد ..

فاتقوا اللّه عباد اللّه ، لقد اتفق أئمة الهدى وعلماء الإسلام على قواعد الدين وأصوله ، واختلفوا في أشياء من الفروع ، اختلافاً ناشئاً إما لأن الدليل بلغ البعض ولم يبلغ الآخر . أو لأنه صح عند البعض ولم يصح عند الآخر ، أو لاختلاف في التأويل والفهم ، وكل منهم يُرجَى له الخير على اجتهاده وإصابته .

ويوجد بعض الناس يتبعون شواذ الأقوال ويحملون الناس على الأخذ بها ، ويخطئونهم في كل عمل يخالفها . ومنهم مَن يذهب إلى العوام في القرى والبوادي حيث لا علم عندهم فيشككونهم في دينهم ويخطئونهم في أعمالهم طوال حياتهم الماضية ويجعلونهم في حيرة من أعمالهم المستقبلية . وقد تكون في مسائل فرعية مسنونة لا يجب فعلها ولا يُعاقَب تاركها ، فيقيمون الدنيا ويقعدونها من أجلها ومن أجل التعصب للرأي .

فهؤلاء شذّاذ الأقوال قد يكون لبعضهم نيّة صالحة وغفلة حملته على الثقة بقول فرد والشك في أقوال جماهير المسلمين وأئمة الهدى من حُفّاظ القرآن الكريم ، والسُنّة المطهرة ، وبعضهم قد تكون عنده نيّة غير حسنة إما لحب الظهور واتخاذ أتباع . وإما رغبة في نشر شيء من آراء الطوائف الضالة . فيجب على المسلمين العوام منهم وطلاب العلم التروي في قبول الأقوال الشاذة .

وسؤال الراسخين في العلم عنها ليعرفوا الدليل الصحيح من غيره ، والراجح من المرجوح ، ولا يجوز أن يكون المسلم إمعة مع كل صاعق وناعق .

وصلُّوا على البشير النذير والسراج المنير . فقد أمرنا الله بذلك في كتابه العزيز فقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾(١)

وقال صلى الله عليه وسلم : « مَن صلّى عليَّ مرة واحدة صلى الله عليه بها عشرة » (٢) .

اللّهم صلِّ وسلّم وبارك وأنعم على عبدك ورسولك نبينا محمد صاحب المقام المحمود والحوض المورود .

اللّهم ارض عن الخلفاء الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ . وعن بقية الصحابة أجمعين . وأهل بيته الطيبين الطاهرين . ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

اللّهم ارض عنا معهم بمنك وإحسانك يا أرحم الراحمين .

اللّهم أعز الإسلام والمسلمين ، وأذل الشرك والمشركين ، ودمر أعداء الدين ، وانصر عبادك المؤمنين ، واحم حَوْزة الإسلام يا رب العالمين .

اللّهم آمنا في أوطاننا ، واحفظ إمامنا وولاة أمورنا ، ووفقهم لما فيه صلاح العباد والبلاد .

---

(١) الأحزاب : ٥٦

(٢) رواه الإمام إسماعيل بن إسحاق القاضي المالكي في فضل الصلاة على النبي ﷺ برقم (٣) ص ٢٣ ، وإسناده حسن لغيره وهو من حديث إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة رضي الله عنه ، وله شاهد صحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، أخرجه العلامة القاضي رقم (٩) ص ٢٦

اللّهم أصلح جميع ولاة أمور المسلمين .

اللّهم اغفر للمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات .

اللّهم فرِّج هم المهمومين ، واقض الدَّيْن عن المدينين ، واشف مرضى المسلمين .

عباد الله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[1]

واذكروا الله العظيم يذكركم ، واشكروه على نعمه يزدكم : ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾[2]

* * *

(١) النحل : ٩٠

(٢) العنكبوت : ٤٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣١ - اختبار المؤمن [١]

(الخطبة الأولى)

الحمد لله رب العالمين ، وهو الحكيم العليم ، يعلم ما كان وما لم يكن كيف يكون إذا كان .

وأشهد أنْ لاَ إِلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له ، خلق القلم وأمره بكتابة ما هو كائن إلى يوم القيامة : ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾[٢]

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الذين اختارهم لصحبة نبيه وطهّرهم تطهيراً .

أما بعد ..

فأوصيكم وإياي بتقوى الله تعالى فلا سعادة ولا صلاح إلا بالتقوى .

عباد الله .. إذا أراد الإنسان أن يشتري مصاغاً من المجوهرات . ذهب به إلى المختبر ليتأكد من جودته وسلامته من الغش .. فإذا كان مغشوشاً لم يقبله ، وإذا أراد إنسان أن يلتحق بالوظيفة أرْسِل للمختبر الصحى للتأكد من لياقته طبياً للخدمة وإذا لم يصلح لم يوظف ، وإذا دخل الطالب في سلك المدرسة اختبر لمعرفة نشاطه وحرصه على العلم والتحصيل . فإذا لم ينجح أدى الأمر إلى طرده من المدرسة ، أفلا يُختبر مَن أراد دخول الجنة .

---

(١) ألقيت في ١٤٠١/٣/٣ هـ .

(٢) يس : ١٢

وأمامنا اختبارٌ أهم من اختبارات الدنيا ، اختبار عام شامل ، فيه نجاح وتفوق وقبول ، وفيه رسوب وطرد ، وإبعاد ، أسئلته مُقدَّمة قبله مفتوحة معلومة للناس . حرصاً من المختبِر على النجاح رحمة بالحريصين على السبق ، وكأنى بسائل يسأل : ما هو موضوع هذا الاختبار وما هي أسئلته . وما هي أسباب النجاح . وأين مكان الاختبار . وما هي درجة النجاح . وما فائدته وثمرته ؟

١ - فأما موضوع الاختبار فهو الإيمان . كما قال تبارك وتعالى : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢﴾(١)

٢ - وأما الأسئلة فهي المذكورة في قوله سبحانه ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ﴾(٢)

وقوله : ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ۝٣٥﴾(٣) ، فأخبر قبل وقوعها بأنها اختبار وابتلاء وامتحان .

٣ - وأما مكان الاختبار ، فهو هذه الحياة الدنيا ، فما دام الإنسان حياً فيها فهو تحت الاختبار . فليأخذ حذره واستعداده .

٤ - وأما أسباب النجاح . فهي المذكورة في قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾(٤)

وقوله : ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾(٥) .. فالصبر والصلاة وتفويض الأمر لله وشكر النعمة هي أسباب النجاح .

---

(١) العنكبوت : ١ - ٢
(٢) البقرة : ١٥٥
(٣) الأنبياء : ٣٥
(٤) البقرة : ١٥٣
(٥) البقرة : ١٥٥ - ١٥٦

٥ - وأما تقدير النجاح . فهي قوله تعالى ﴿ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾[1]

﴿ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ﴾ تقدير ممتاز

﴿ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ ، درجة الشرف الأولى .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه : نعْمَ العدلان ونعمت العلاوه : ﴿ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ﴾ فهذان العدلان :﴿ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ فهذه العلاوه . فهؤلاء أعطوا ثوابهم وزيدوا عليه أيضاً [2] .

٦ - وأما فائدة الاختبار . فكما قال سبحانه : ﴿ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾[3] ، وقوله : ﴿ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴾[4] لمعرفة القلوب الطيبة النظيفة المستنيرة بنور الإيمان . التي تصلح لتحمل أمانة الله والعمل بها وتبليغ رسالة نبيه ﷺ والدعوة إليها .

٧ - وأما ثمرته . فالاختبار كسب درجة عالية في الإيمان والحث على تطهير النفس وإزالة الغشاوة عن العيون وإزالة الران عن القلوب . كما يمحو السيئات

---

(١) البقرة : ١٥٧

(٢) ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره : ٣٤٧/١ - ٣٤٨ ، تحت هذه الآية الكريمة من سورة البقرة : ١٥٧ .

قلت : أخرجه الحاكم في المستدرك : ٢/ ٢٧٠ ، وإسناده على شرط الشيخين ووافقه الذهبي في التلخيص ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١ / ٣٧٨) إلى وكيع وسعيد بن منصور ، وعبد بن حميد ، وابن أبي الدنيا في كتاب العزاء ، وابن المنذر والحاكم وصححه والبيهقي في شعب الإيمان ثم ذكر لفظ الحديث .

(٣) العنكبوت : ٣

(٤) العنكبوت : ١١

ويشدُّ العزائم ويُصفِّي العقائد . ويُقوِّي الصلة باللّه . فيكون المؤمن طاهراً نقياً . مؤهلاً لأن يكون في خدمة اللّه ومن حزب اللّه . من أولياء اللّه . من المقربين إلى اللّه . فمَن كان مع اللّه وصبر على بلاء اللّه . وشكر نِعَم اللّه كان اللّه معه يوفقه . ويسدده ويحفظه ، ويوجهه لكل خير ويصرفه عن كل شر . ينير الطريق أمامه . وهذه حال المؤمن الحقيقي ، المؤمن الصادق .

قال صلى اللّه عليه وسلم : « عجباً لأمر المؤمن . إن أمره كله خيرٌ وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سَرَّاء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضَرَّاء صبر فكان خيراً له » (رواه مسلم) [١] .. خير عام شامل في أمور الدين والدنيا .

هذا له في هذه الدنيا .

أما في الآخرة . فكما قال سبحانه : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[٢] لا يُقدَّر له قدرٌ ولا يُحَد له أجر ، إنما هو من فضل الجواد الواجد الكريم .

ذكر ابن كثير في تفسيره : أن عليَّ بن الحسين زين العابدين رضي اللّه عنهما قال : « إذا جمع اللّه الأوَّلين والآخرين ينادي مناد : أين الصابرون ليدخلوا الجنة قبل الحساب ، قال : فيقوم عُنُقٌ من الناس - أي جماعة - فتتلقاهم الملائكة فيقولون : إلى أين يا بني آدم ؟ فيقولون : إلى الجنة . فيقولون : قبل الحساب ؟ قالوا : نعم . قالوا : ومَن أنتم ؟ قالوا : نحن الصابرون . قالوا : وما صبركم ؟ قالوا : صبرنا على طاعة اللّه . وصبرنا عن معصية اللّه . حتى توفانا اللّه . قالوا : أنتم كما قلتم ، ادخلوا الجنة فنِعْمَ أجرُ العاملين » [٣] .

---

(١) مسلم في الصحيح : الزهد ، حديث رقم (٢٩٩٩) عن صهيب الرومي رضي اللّه عنه ، وأحمد في المسند : ١/١٧٣ ، ١٧٧ ، ١٨٢ ، من حديث سعد بن أبي وقاص رضي اللّه عنه ، وإسناده قوي .

(٢) الزمر : ١٠

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان برقم (٨٠٨٦) : ٦/٢٦٣ ، ثم قال في نهاية الحديث : هذا متن غريب وفي إسناده ضعف ، واللّه أعلم . =

ويشهد لهذا قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾(١)

فاتقوا الله أيها المؤمنون . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٣﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾(٢)

اللهم بارك لنا في القرآن العظيم ، وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم .

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

* *

= وهو من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه ، عن جده ، وأما قول عليّ بن الحسين رحمه الله تعالى فقد أورده ابن كثير في تفسيره : ٣٤٦/١ ، دون العزو إلى أحد ، والله أعلم . أورده تحت قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ ﴾ (البقرة : ١٥٤) .

(١) الزمر : ١٠

(٢) البقرة : ١٥٣ - ١٥٧

٣١ - الحلال بيِّن والحرام بيِّن

(الخطبة الثانية)

الحمد للّه رب العالَمين ، قلوب العباد بين أصبعيه يقلبها كيف يشاء .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدى بهَدْيه واتبع مِلّته .

أما بعد ..

فأوصيكم وإياي بتقوى اللّه ، واعلموا أن مدار التقوي على صلاح القلب ، فبصلاح القلب تصلح الجوارح والأعمال ، وبفساده تفسد الجوارح والأعمال ، والقلب ملك الأعضاء وبقية الأعضاء جنوده ، ففى الصحيحين عن النعمان ابن بشير رضي اللّه عنه قال : سمعتُ رسول اللّه ﷺ يقول : « إن الحلال بيِّن وإن الحرام بيِّن وبينهما أمورٌ مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس ، فمَن اتقي الشبهات ، فقد استبرأ لدينه وعِرضه ، ومَن وقع في الشبهات ، وقع في الحرام كالراعي يرعي حول الحمي يوشك أن يرتع فيه ، ألا وإن لكل ملك حمي ، ألا وإن حمى اللّه محارمه ، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب » [١] .

---

(١) أخرجه الشيخان في صحيحيهما ، البخاري : برقم (٥٢) ، الإيمان : ١٢٦/١ الفتح ، ومسلم : المساقاة برقم (١٠٧ خاص) ، وذلك من حديث النعمان بن بشير رضي اللّه عنهما .

ولا صلاح للقلوب حتى تستقر فيها معرفة الله وعظمته ومحبته وخشيته ومهابته . ولا صلاح لأهل الأرض إلا بالإيمان بالله ورسوله ﷺ ، وبصلاح الرعاة تَصْلح الرعايا . فاتقوا الله أيها المسلمون .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾(١)

* * *

(١) الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣٢ - نعمة الهداية للإسلام [١]

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾[٢] ، أكملَ ديننا وأتمَّ علينا نعمته ورضى الإسلام لنا ديناً [٣] ، وجعلنا خير أمة أخرجت للناس [٤] .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه لا شريك له . خلقنا من العدم وربانا بالنعم من أجل عبادته وطاعته : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ ﴾[٥]

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ﴿ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾[٦] ، ﴿ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [٧].

صلّى اللّه وسلم عليه وعلى آله وأصحابه نجوم الهدى ومصابيح الدجى .

أما بعد ..

فإن أعظم نعمة يرفل المسلم في خيرها وسعادتها هى نعمة الإسلام . فالهداية والتوفيق بيد اللّه وحده يهدي بها مَن يشاء من عباده . فالإسلام نعمة

---

(١) ألقيت في ١٤٠٠/١١/١٠ هـ .

(٢) الفاتحة : ٢

(٣) إشارة إلى آية المائدة : ٣

(٤) إشارة إلى آية آل عمران : ١١٠

(٥) الذاريات : ٥٦

(٦) التوبة : ٣٣

(٧) التوبة : ٣٢

يجب على المسلمين شكرها ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾(١)

يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ (٢)

الإسلام يضيء بصيرة المسلم فيرى بها الأمور على حقيقتها .. يرى بها الطيب طيباً وإن قلَّ أنصاره . ويرى الخبث خبيثاً وإن كثر أتباعه ﴿ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾(٣)

والكفر عمى في القلب . عمي في الاتجاه والسلوك . عمى في التصور . عمي البصيرة لا يرى حقائق الأمور : ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ، وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ﴾ (٤) .

الإسلام نور يهتدي به السائرون في هذه الحياة لا يراه إلا المبصرون ، والكفر والإلحاد ظلمات يتيه فيها السائرون في ظلمات الغي والحيرة .

الإسلام ظلٌّ وارفٌ بارد يستظل به المسلم من هاجرة الشك والقلق .

والكفر وهَجٌ مُحرقٌ وَحُرورٌ مُقْلق . يُحرق النفس ويُقْلقُها بوهج الحيرة وعمي البصيرة . وظلمة الطريق .

---

(١) الأنعام : ١٢٥

(٢) الحجرات : ١٧

(٣) المائدة : ١٠٠

(٤) فصلت : ٤٤

الإسلام حياة القلوب . وحياة المشاعر . والكفر موت القلوب وموت الضمائر . وهكذا طبائع الخير وطبائع الشر ، وصفات الخبيث وصفات الطيب . والفرق بينها شاسع .

﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ ۖ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ ﴾(١)

الإسلام يَزِنُ الأمور بموازينها الحقيقية لا يداهن ولا يحابي ، ولا يمدح إلا في موضع المدح . ولا يذم إلا في موضع الذم . ولا يعاقب إلا في موضع العقوبة . ولا يعفو إلا في موضع العفو . يزن الذهب بميزانه ، ويكيل العطر بمكياله . ويرد الخبيث في أوكاره . ويكبت الشر في صدوره .

الإسلام يربي ويُعلّم ويُثقف . ينقل الإنسان من طور الوضاعة إلى طور الرفعة والعزة .

ينقله من مشابهة الحيوان إلى سمو الأخلاق والمكارم . والإنسانية الضالة تعلم أن الإسلام له شرفُ العُلا وقوةُ الظهور . وكمالُ القدرة والقهر . ولكن الشياطين تصدهم عن إتباع الهُدَي : ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾(٢)

الإنسانية التائهة تُحسُّ ما هي فيه من الحصار النفسي والقلق الروحي . وانهيار الأخلاق وتفكك المجتمع . والانفصال بين الراعي والرعية في البيت الواحد والأسرة والدولة . يرون ما عليه المسلمون من التآخي والتعاطف والتعاون والشكر على النعماء والصبر على البلاء والارتياح النفسي والارتباط بين الأسرة والمجتمع . وبين الراعي والرعية .

---

(١) فاطر : ١٩ - ٢٣

(٢) الأنعام : ٣٣

من أجل ذلك فأعداء الإسلام يحسدون المسلمين على ما هم فيه : يحسدونهم على ما آتاهم الله من فضله [١] . ويكيدون لهم المكائد بشتّى أنواعها وأساليبها . والمعركة بين الحق والباطل مستمرة من حين خُلِق آدمُ وامتنع إبليس من السجود حتى تقوم الساعة . مثارها الحقد والحسد . وللباطل صولة ثم يضمحل . فمتى انتفض الإسلام وانتشر إشعاعه في الوجود انتصر ، لكن إذا تقاعس المسلمون وركنوا إلى الدنيا والراحة وتركوا الجهاد صال الباطل صولته : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾[٢] وقد حان الآن انتفاضة الإسلام وأعداؤه يدركون هذا ، فدخل عليهم الخوف والذعر من كلمة « إسلام » حتى ولو باللسان . فجُنَّ جنونهم فصاروا يقتلون المسلمين في كل مكان ويشردونهم ويسعون بينهم بالتخريب والفساد .

ولقد كان صمود المجاهدين في أفغانستان مع قِلّة عددهم وعُدّتهم وقلة قُوّتهم أمام دولة كبيرة غنية قوية شرسة . لقد كان صورةً حية لروح الإيمان وإباء الإسلام . آبة على قوة الإيمان وصموده . وفورة المسلم وصبره وكفاحه . يقول المجاهدون الأفغان : لو أن عندنا من السلاح واحدٌ في المائة مما عند عدونا لأذقناه درساً لا ينساه .

فواجب على المسلمين أن يتفهموا حقيقة إسلامهم وإيمانهم ، وأن يحافظوا عليه من الشكوك والبدع والغزو الفكري . يجب على المسلمين أن يكونوا يقظين

يحب على المسلم أن يكون صلب العود قوي الشكيمة ، وأن يعلم أنَّ ما أخطأه لم يكن ليصبه ، وما أصابه لم يكن ليخطئه [١] فبذلك يجد حلاوة الإيمان .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾[٢]

اللّهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا ، وكرِّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين .

اللّهم بارك لنا في القرآن العظيم .....

* *

(١) إشارة إلى ما أخرجه أحمد في المسند : ٣١٧/٥ من حديث عبادة بن الصامت رضي اللّه عنه ، وإسناده حسن في الشواهد ، وأخرجه أيضاً من حديث أبي الدرداء رضي اللّه عنه : ٤٤١/٦ - ٤٤٢ ، والترمذي في جامعه برقم (٢١٤٤) باب القدر ورقمة (١٠) ، وفي إسناده عبد اللّه ابن ميمون قال الترمذي : منكر الحديث ، وإسناد الإمام أحمد ليس فيه هذا الرجل فهو حسن مع الشواهد ، واللّه أعلم .

(٢) آل عمران : ٢٠٠

٣٢ - يد اللّه مع الجماعة

(الخطبة الثانية)

الحمد للّه الذي هدانا للإسلام .

وأشهد أنْ لاَ إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، صلى اللّه وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان .

أما بعد ..

فإن أصدق الحديث كتاب اللّه . وخير الهَدْي هَدْى محمد ﷺ . وشرُّ الأمور محدثاتها ، فكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار [١] . أوصيكم وإياي بتقوى اللّه تعالى . والتمسك بكتاب اللّه وسُنّة رسوله ﷺ وسُنّة الخلفاء الراشدين من بعده . عَضوا عليها بالنواجذ [٢] ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾[٣] ، ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾[٤] وحجوا فرضكم . واسمعوا وأطيعوا لولي أمركم ، وكونوا مع جماعة المسلمين ، فإن يد اللّه مع الجماعة ، ومَن شذَّ شذَّ في النار [٥] . افعلوا الأسباب فإنكم

---

(١) مسلم في الصحيح - الجمعة - حديث رقم (خاص ٤٣) ، و (عام ٨٦٧) من حديث جابر رضي اللّه عنه .

(٢) النسائي في الصغري : ٣/ ١٨٠ - ١٨٩ من حديث جابر رضي اللّه عنه ، انظر : الفتح : ٥١١/١٠

(٣) النساء : ٣٦

(٤) البقرة : ٤٣

(٥) إشارة إلى حديث ابن عمر رضي اللّه عنهما ، أخرجه الترمذي في جامعه برقم (٢١٦٧) الفتن ثم قال : هذا حديث غريب من هذا الوجه ثم كأنه حسَّن إسناده ، واللّه أعلم .

مأمورون بها . وآمنوا بالقضاء . وتوكلوا على الله واصبروا على البلاء . واشكروا النعماء . فذلكم خير لكم .

الحكمة جمالُ كل شيء ، وهى سبب النجاح . وأزِمّة الأمور بيد الله يُصرِّفها كيف يشاء . واعلم أيها المسلم أن : « المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير » [١] « احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجزنّ [٢] ، وإن أصابك شيء فلا تقل : لو أنى فعلت كذا وكذا لكان كذا وكذا . ولكن قل : قدّر الله وما شاء فعل . فإن « لو » تفتح عمل الشيطان » [٣] .

إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ [٤] .....

* * *

(١) مسلم في الصحيح ، القدر ، حديث رقم (خاص ٣٤) ، و (عام ٢٦٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وأحمد في المسند : ٣/ ٣٧٠ من هذا الوجه واللفظ .

(٢) هو نفس هذا الحديث الذي مضى الآن في الرقم الأول .

(٣) هو نفس هذا الحديث عند مسلم والإمام أحمد في المسند : ٢/ ٣٧٠

(٤) الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣٣ - التحاكم إلى القرآن والسُنَّة [١]

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[٢] .

﴿ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ ﴾[٣] .

وأشهد أنْ لاَ إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له . بفضله اهتدى المهتدون ، وبعدله ضلَّ الضالون .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، بلَّغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح للأمة وجاهد في اللّه حق جهاده وتركنا على المحجة ليلها كنهارها بيضاءً نقيةً واضحةً جلية . نورها ساطع وطريقها مستقيم لا يزيغ عنها إلا هالك [٤] .

اللّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه نجوم الهدى ومصابيح الدجى .

أما بعد ..

فأوصيكم وإياي بتقوى اللّه ، وهى فعل ما أمر اللّه به واجتناب ما عنه نهى .

---

(١) ألقيت في ١٤٠٦/٦/٤ هـ .

(٢) الفاتحة : ٢

(٣) البقرة : ١٤٢

(٤) إشارة إلى حديث العرباض بن سارية رضي اللّه عنه - ابن ماجه في مقدمة السنن برقم (٥٠) وإسناده صالح للمتابعات والشواهد ، وحديث عائشة رضي اللّه عنها بمعناه : « مَن أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد » ، وللحديث شواهد كثيرة جداً .

إن الإسلام عقيدةٌ وعملٌ وسلوك ، ينشىء في بالقلب نوراً وضّاءً يكشف للسائر طريق السعادة . فيعطى النفس قوة مع طمأنينة ، ويضفي على الجوارح خشوعاً ووقاراً . ويكسب العمل توفيقاً وسداداً ، ويلبس الشخصية المسلمة رفعة ومهابة . لأنه يصلها بمصدر الحياة وبمصدر التوفيق . وبمصدر العزة ، خالقها تبارك وتعالى .

أما الكفر .. فهو انقطاع عن الحياة الحقيقية ، لأنه انعزال عن مصدر الحياة : ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾(١) ﴿ أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ﴾(٢)

قد جعل الله للهدى طريقاً ، مَنْ توجه إليه وجد فيه انشراح الصدر وطيب النفس والعزة والرفعة ، فيُوفّق للسير عليه حتى يصل إلى المنتهى الذي منه المبتدا .

ومَنْ أعرض عن طريق الهدى ، وصدّ عنه وانحرف فَقَد النُّورَ ودخل في ظلمات الضلال ليس بخارج منها .

فالذين سمعوا القرآن وقالوا : « آمنا به إنه الحق من ربنا » هداهم الله للإيمان بسبب اختيارهم طريق الهدى .

والذين قالوا : ﴿ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ ﴾(٣)

حرموا الإيمان وتاهوا في ظلمات الكفر والطغيان بسبب انصرافهم عن طريق الهدى واختيارهم طريق الردى .

---

(١) الأنعام : ١٢٢

(٢) الزمر : ٢٢

(٣) المدثر : ٢٤ - ٢٥

الإنسان له اختيار وإرادة لا تتنافى مع إرادة الله ومشيئته .

هناك صنف من الناس لهم مصالح عند المسلمين ولهم أهداف ، فأظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٩ ﴾[1] وهم أخطر على المسلمين من الكافر الصريح . ولذلك اعتنى الإسلام بإيضاح علامات هؤلاء ومميزاتهم لأخذ الحذر منهم . وقد يحاول أولئك التلبيس على المسلمين . ولكن هناك علامةٌ لا يتحملونها وتضيق بها صدورهم فلا بد أن تظهر . وهي قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ۝٦١ ﴾[2]

إن الإيمان الصحيح متى استقر في القلب ظهرت آثاره على الجوارح ، أما إذا كان قولاً باللسان ولم يدخل الإيمان في القلب فليس بإيمان ، إنما هو خداع وما يخدعون إلا أنفسهم . إنما هو مرض الكفر في القلب فزادهم الله مرضاً .

من المعلوم بالضرورة أن حكم الله وحكم رسوله ﷺ لا يحيد عن الحق ، ولا ينحرف مع الهوى ، ولا يتأثر بالمودّة والشنآن ، ولكن بعض الناس لهم أهداف واتجاهات وهم موجودون في كل زمان ، والإسلام يحول بينهم وبين مصالحهم وإنفاذ غاياتهم . لذلك يقفون أمام دعوة الإسلام . ويقفون أمام رغبة المسلمين في تحكيم شريعتهم .

إن مقتضى الإيمان أن يتحاكم الإنسان إلى ما آمن به ، فإذا زعم أنه آمن بالله وبما أنزل الله . وأنه آمن برسول الله ﷺ وبما أُنزل عليه . ثم دعى إلى التحاكم إلى ما آمن به كانت التلبية الكاملة . فأما حين يصد ، وحين يماطل

---

(١) البقرة : ٨ - ٩

(٢) النساء : ٦١

ويعارض ، فهو مخالف لدعوى الإيمان ويكشف عن حقيقة النفاق الذي هو أخطر على المسلمين من الكفر الصريح .

لقد شهد الله تعالى بعدم إيمان الذين يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أُمِروا أن يكفروا به .

وأقسم الله تعالى بأن الناس لا يؤمنون ولو ادعوا الإيمان . حتى يُحَكِّموا رسول الله ﷺ في أقضيتهم ثم ينفذوا حكمه ويتلقونه بالقبول والتسليم .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾[1]

قال : « ينكر تعالى على مَن خرج عن حكم الله المُحكَم المشتمل على كل خير والناهي عن كل شر . وعَدَلَ إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله ، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات ، كما يصنعونها بآرائهم وأهوائهم .

إننا ولله الحمد في مملكتنا العزيزة نعيش في ظل وارف من عدالة الإسلام ، وننعم بعيش رغيد تحت الحكم الرشيد . ونتقلب في أمن شامل ، حَسدنا عليه القريب والبعيد . ونتمتع بإخاء وتراحم تحت راية التوحيد ، كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ يُعلَّم في مدارسنا في كل مراحلها ، وحكم الله ورسوله نافذ في كل قضايانا وعلى كل طبقاتنا . وذلك بفضل الله وحده ثم بفضل دعوة الإصلاح . والنصح لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم [2] . وبفضل تحكيم

---

(١) المائدة : ٤٩

(٢) إشارة إلى حديث « الدين النصيحة » : مسلم من حديث تميم الدارى رضي الله عنه برقم (٥٥) ، انظر : المجموعة الأولى : ١/٥٤

شريعة الله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾[1]

اللّهم احفظ علينا إسلامنا . واحفظ لنا أمننا واستقرارنا ، وارزقنا شكر نعمك علينا .

اللّهم إنّا نعوذُ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك . وفجاءة نقمتك .

استغفروا ربكم وتوبوا إليه إنه هو التواب الرحيم .

* *

(١) آل عمران : ٢٠٠

٣٣ - الإسلام قواعد مترابطة

(الخطبة الثانية)

الحمد للّه رب العالمين ، هدانا للإسلام وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا اللّه .

وأشهد أنْ لاَ إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له ، المَلِكُ الحق المبين .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، إمام المتقين وقائد الغر المحجلين ، وسيد الخلق أجمعين .

اللّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدى بهَدْيه واستنَّ بسُنَّته إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فإن للإسلام قواعد ظاهرة بيِّنة . مترابطة متماسكة ، يؤيد بعضها بعضاً ويصدق بعضها بعضاً ويكمل بعضها بعضاً ، فيجب على المسلم أن ينقاد لجميع قواعد الإسلام . فلا يصلح أن يأخذ بعضاً ويترك بعضاً ، لا يصلح أن يعمل به في العبادات ويتركه في المعاملات . ولا أن يُحكِّم في الحدود ويُبعَد عن الحقوق ، ولأن يُتْلى القرآن في المناسبات ويُبعد عن حقل التعليم . لا يصلح أن تكون الدولة مسلمة والشعب مسلم ولا يُدَرسُّون في مدارسهم نظام الإسلام . لا يستقيم الحال إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كل المجالات .

لا بد من التناصح والتعاون في كل الميادين .

فاتقوا اللّه أيها المسلمون .

اتقوا اللّه يا حكام المسلمين ، إنكم إنما وصلتم إلى ما أنتم فيه إلا بإرادة اللّه

لينظر ماذا تعملون ، تذكروا قول الله تعالى ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾(١)

﴿ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾(٢)

وكفى بالقرآن معلماً وواعظاً .

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾(٣)

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾(٤)

* * *

(١) آل عمران : ٢٦

(٢) الحج : ٤١

(٣) الأحزاب : ٥٦

(٤) سورة ق : ٣٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣٤ - واقع الحال فتنة [١]

(الخطبة الأولى)

الحمد لله رب العالمين : ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ أحْسَنُ عَمَلاً ، وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾[٢]

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له . خلق الإنسان ويعلم ما توسوس به نفسه وهو أقرب إليه من حبل الوريد [٣] .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله . عرف الدنيا فصير على بلائها . وعرف الآخرة فأقبل عليها . وعرف ربه فاجتهد في عبادته وتبليغ رسالته .

اللّهم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدى بهَدْيه وسلك سبيله .

أما بعد ..

فإن الإيمان عقيدةٌ ، وتكليفٌ وإخلاص للّه ، وصبْر واحتساب وتحمُّلٌ ومسئولياتٌ ونظامٌ .

فلا يكفي أن يقول الإنسان إنه مؤمن ، لا يكفي أن ينطق بالشهادتين بلا عمل ، بل لا بد من العمل بمقتضاها ، ولا بد أن يُمْتَحن المؤمن لمعرفة صدق

---

(١) ألقيت في ١٤٠٧/٣/١٩ هـ .

(٢) الملك : ٢

(٣) إشارة إلى معناه في سورة ق : ١٦

إيمانه وقوته وضعفه . وهذه سُنّة الله قال تعالى : ﴿ الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣ ﴾(١)

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره : « ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ : استفهام إنكار ومعناه أن الله تعالى لا بد أن يبتلي عباده المؤمنين بحسب ما عندهم من الإيمان . كما جاء في الحديث الصحيح : « أشد الناس بلاءً الأنبياءُ ، ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل ، يُبتلى الرجل على حسب دينه ، فإن كان في دينه صلابةٌ زيد له في البلاء » (٢) .

والله جلّ شأنه يعلم حقيقة ما في القلوب قبل أن يَبْتلي ، ولكن الابتلاء يكشف للمشاهدة ما هو معلوم في علمه مُغَيّبٌ على البَشر . فيحاسب الناسَ على ما يقع من عملهم . وذلك فضل من الله من جانب . وعدل من جانب ، وتربية للناس من جانب ، فلا يأخُذُ أحداً إلا بما ظهر من أمره وبما حققه فعله ، وكُلُّ ما يُصيب المؤمن من نكد وتعب ، ونَصَب ، وأذى فهو ابتلاء : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾(٣) ليظهر صبره واحتسابه وقوة إيمانه أو ضد ذلك .

كما أن ما يحصل للإنسان من زخارف الدنيا وشهواتها ومتَاعها . وعزها وشرفها وعلوها ورفعتها وكثرة المال والولد ، ذلك أيضاً امتحان وفتنة ليظهر مدى شكر العبد لنعَم الله وتجاوبه مع شرع الله وأداء حق الله فيها : ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ۝١٥ ﴾(٤) ﴿ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ

---

(١) العنكبوت : ١ - ٣

(٢) أحمد في المسند : ١٧٢/١ من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وإسناده صحيح .

(٣) البقرة : ١٥٥

(٤) التغابن : ١٥

﴿ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴾(١) ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴾(٢)

وإن من أعظم الفتن وأشدِّها خطراً على العقيدة والإسلام ، وعلى الفرد والجماعة ، ما نشاهده في هذا الزمن من واقع المسلمين وواقع الكافرين ، نرى أمماً ودولاً كافرة لا تدين بدين الحق ولا تحافظ على الفضيلة . ولا تقيم العدل . منغمسة في شهواتها لاهيةً في دنياها . ومع هذا فهي متقدمةٌ في صناعاتها ، متوفرة اقتصادياتها شديدةٌ قوتها ، ترفل في نِعَم اللّه ولا تشكرها ، وتعيش تحت إرادة اللّه ولا تؤمن بها . بينما نرى كثيراً من المسلمين في ابتلاء وامتحان ، فمنهم مَن هو في فقر وفاقة وضعف ، ومنهم مَن يُطارَد في بلاده ، ويُمْنَع من إظهار شعائر إسلامه ويماط عن وجهه حجابُ العفة والحصانة ، ومنهم مَن تتابعه بالمُغْريات والمرغبات ، ومنهم مَن تخدعه الماسونية بدعايتها ، ومنهم مَن تلعب به الأهواء في عقيدته وليس من موجه ولا مَنْ يأطره على الحق أطراً ، ومنهم مَن أُخْرِج من دياره . وشُرِّد عن بلاده وسُلبت حقوقه وأمواله وليست لديه قوة يدافع بها ولا يجد مَن يُناصره ويسانده ، إنما يدافع بقوة الإيمان .

وذلك اختبار وفتنة : ﴿ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٤ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝٥ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ۝٦ ﴾(٣) وإذا وضعنا حال المسلمين في كفة الميزان السماوي ، ووضعنا حال الكافرين في الكفة الأخرى ، رجحت كفة المسلمين مهما كان الأمر وعلى أي حال . وهذا ميزان اللّه في آخر سورة آل عمران يكشف الحقيقة ويبيِّن الواقع فلم يكن اللّه ليترك عباده

---

(١) الأنعام : ١٦٥

(٢) طه : ١٣١

(٣) محمد : ٤ - ٦

المؤمنين يلتبس عليهم الأمر ، ولم يكن ليسلمهم لتفكير تائه ولا إلى نظرة سطحية

قال تعالى ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ ﴾(١) ، وهذا في كفة : ﴿ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ ﴾(٢) هؤلاء في الكفة الثانية .

فانظر أخي المسلم نظرة اعتبار وتأمل وإنصاف ، أيهما أفضل وأيهما أرجح ؟ امتاع قليل يزول عن قريب بآفة أو بالموت ، وبعده جهنم يُلف فيها الكافر كما يمهد الصبي تضغطه وتصهره من كل جانب : ﴿ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ ﴾(٣)

أم الإيمان والصبر على المكاره قليلاً من الزمن وبعده جنات متعددات ، أنهارها جارية ، و ﴿ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾(٤) ﴿ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ ﴾(٥) ﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ ﴾(٦) ﴿ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ ﴾(٧) ﴿ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ ﴾(٨) ﴿ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ ﴾(٩) ﴿ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ ﴾(١٠)

---

(١) آل عمران : ١٩٦ - ١٩٧

(٢) آل عمران : ١٩٨

(٣) فاطر : ٣٦

(٤) الحاقة : ٢٣

(٥) الرحمن : ٥٢

(٦) مسلم (الإيمان) المغيرة بن شعبة حديث رقم (٣١٢) وأحمد في المسند : ١٠٥/٣٥٢ - والآية من سورة الزخرف : ٧١

(٧) الرحمن : ٥٦

(٨) الرحمن : ٧٠

(٩) الواقعة : ٣٦ - ٣٧

(١٠) الرحمن : ٥٨ ـ

﴿ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ ﴾[١] ، لا نكد فيها ولا تعب ، ولا هم فيها ولا نَصَب . لا يَبْغُون عنها حِوَلاً .

فاتقوا الله أيها المسلمون ﴿ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾[٢] ﴿ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ ﴾[٣]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾[٤]

اللّهم بارك لنا في القرآن العظيم .....

* *

---

(١) الصافات : ٤٩

(٢) الحشر : ٢٠

(٣) لقمان : ٣٣

(٤) آل عمران : ٢٠٠

٣٤ - كفالة الأطفال وحضانتهم

(الخطبة الثانية)

الحمد لله رب العالمين ، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا [١] .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللّهم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن اتبع سبيله واستقام على ملّته .

أما بعد ..

فإن كفالة الأطفال وحضانتهم واجبة لحقهم ولحفظهم وتعليمهم وتربيتهم . فلا يقر الطفل عند مَن لا يحسن التربية أو يهمل فيها . ولا يقر عند مَن سلوكه سيِّء . وأخلاقه مُتدهورة . لأن في ذلك ضرراً على الطفل ويقدم من الأبوين والأقربين من تتوفر فيه مصلحة الطفل : « جاءت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت : يا رسول الله ، إنَّ ابني هذا كان بطني له وعاء ، وحجري له حواء ، وإن أباه طلّقني وأراد أن ينزعه مني . فقال صلى الله عليه وسلم : « أنتِ أحق به ما لم تنكحي » [٢] .

---

(١) خطبة الحاجة والنكاح - أحمد في المسند برقم (٤١١٦) ، (٣٧٢١) ، والنسائي في النكاح : ٨٩/٦ ، وابن ماجه برقم (١٨٩٢) ، والبغوي في شرح السُنّة برقم (٢٢٦٨) كلهم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه ، وإسناده صحيح والبيهقي في السنن الكبرى : ٢١٤/٣

(٢) أحمد في المسند : ١٨٢/٢ من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عبد الله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنه ، وإسناده حسن ، وأخرجه أبو داود أيضاً (الطلاق) باب رقم (٣٥) .

وروي أنَّ أبا بكر الصدِّيق رضي الله عنه قضى على عمر بن الخطاب رضي الله عنه بتسليم ابنه عاصم لأمه وقال : ريحها ولطفها خير له منك [١] .

وإذا بلغ الطفل سبع سنين فالذكر يُخيَّر بين أبويه ، فمَن اختار منهما صار عنده [٢] .

جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله ، إن زوجي يريد أن يذهب بابني وقد سقاني من بئر أبي عنبه وقد نفعني . فقال عليه الصلاة والسلام للصبي : « هذه أمك وهذا أبوك فخذ بيد أيهما شئتَ » ، فأخذ بيد أمه فانطلقت به .

أما الأنثى .. فإذا بلغت سبع سنين فالأصلح لها أن تكون عند أبيها لرعايتها ولرفع شأنها وقدرها [٣] .

وإذا كان الطفل عند أحد الأبوين لنشوز أو فراق . فلا يُمنع من زيارة الآخر ، بل يجب أن يُعلَّم البر والصلة ، ولا يجوز أن يُجعل الأولاد أداة انتقام فيُمنع من زيارة الأب أو الأم لقصد الإساءة والانتقام .

الطفل يتأثر نفسياً وبدنياً إذا رأى الخلاف بين أبويه ، فما بالكم إذا رأى الفُرقة . وجُعِل أداة انتقام دون مراعاة لمصلحته . ودون إحساس بشعوره .

---

(١) أخرجه مالك في موطئه برقم (١٤٥٤) ص ٥٤٥ بمعنى هذا الآخر وأخرجه البغوي في شرح السُنَّة (٢٤٠٠) : ٣٣٣/٩٤ ، المغني : ١١٤/٧

(٢) أحمد في المسند برقم (٧٣٤٦) ، وأبو داود : (٣٢٧٧) ، والترمذي : (١٣٥٧) ، وابن ماجه : (٢٣٥١) كلهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وإسناده صحيح .

(٣) أخرج معناه الإمام أحمد برقم (٦٧٠٧) ، وأبو داود برقم (٢٢٧٦) وهو نفس حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه ، انظر : شرح السنة للبغوي : ٣٣٣/٩ - ٣٣٦ في هذا الموضوع .

ليس في مصلحة الصبى أن يُترك هائماً في الشوارع وفي النوادي دون رعاية .

وليس من مصلحة الصبية أن تُترك تتردد على الباعة والخياطين ، وتنتقل من دكان لآخر ، فاتقوا الله أيها المسلمون ، وأحسنوا رعايتكم وقوموا بولايتكم وأدوا أماناتكم .

ثم اعلموا أن الله تعالى أمرنا بأمر بدأ فيه بنفسه فقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾(١)

* * *

(١) الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣٥ - الأمر بالمعروف [١]

(الخطبة الأولى)

الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له . خلق فقدّر وشرع فيسّر وربى فطهّر . وأعطى وكثّر . ونهى وأمر .

وكل أمر مستقر : ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾[٢] .

وأشهد أنّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله الطاهر المطهّر ، أمر بالمعروف ونهى عن المنكر .

اللّهم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك ونبيك محمدٍ وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدى بهَدْيه وسار على سبيله .

أما بعد ..

فإنّ اللّه تبارك وتعالى إنما أرسل الرسل وأنزل الكتب ووضع الحدود ، للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وإقامة العدل بين الخلق . فمَن عمل بالمعروف وترك المنكر دخل الجنة . ومَن عمل بالمنكر وترك المعروف دخل النار .

والإسلام - وهو دين اللّه الذي أنزل على رسوله محمد ﷺ - إنما شَرع الولاية وقسّم المسئوليات وشرع الجهاد وفصّل النظم والتعاليم إلا للعمل بها ولا تحصل الاستقامة عليها إلا بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

---

(١) ألقيت في ١٤٠٣/٢/١٩ هـ .

(٢) الأنعام : ١٨

والإسلام سلطان يستمد قوته من الله تبارك وتعالى فهو مأمن للمسلم من شرور نفسه ومن غوائل شهواته .

ومأمن لجميع الناس يحافظ على دمائهم وأعراضهم وأموالهم وينشر العدل بينهم .

والخالق تعالى جعل في الإنسان غرائز وميولات من أجل عمارة هذا الكون .

فإذا لم يكن في قلبه قوة إيمان وتقوى تجعله يخاف الله ويرجوه . وتنير له طريق الهدى في هذه الحياة مالت به تلك الرغباتُ عن الصراط السوي .

فإذاً لا بد له من سلطان آخر يرد الظالم عن ظلمه . ويهدي الضال التائه إلى صوابه .

فإذا فُقد هذا وذاك أشرفت الأمة على الهلاك والدمار كما نشاهد في بعض الأقطار الإسلامية : إسلام بلا تطبيق . وشعائر دين بلا تنفيذ . اسم بلا مسمى .

إنني حينما أتكلم في هذا الأمر المهم لا أقصد إنساناً بشخصه ولا بلداً بعينه .

أيها المسلمون في كل مكان .. اسمحوا لي أن أصارحكم وأناصحكم ؛ إنَّ أكثر الناس غفلوا عن الحياة الحقيقية . وغفلوا عن مهمتهم في هذه الدنيا . نسوا ربهم ونسوا وعده ووعيده ، ونسوا قرآنهم وأحكامه . وإسلامهم وشرائعه . الروح الإسلامية قد ماتت ، والدم الإسلامى مثلج بارد ، والغيرة لله فقدت .

الصلوات ضُيِّعت . والجماعات أهملت . والزكاة مُنعت ، وأرباح الربا أكلت . والخمر والمخدرات شُربت . والفواحش بأنواعها انتشرت . والنساء على الرجال سيطرت . والجمَالُ استنوقت . وآيات القرآن هُجرت وشعائر الإسلام حوربت . وعقيدة التوحيد حوصرت ، والدراسات الإسلامية قلِّصت ، وشهادة الزور ظهرت . والكذب والغش والغيبة والنميمة حدِّث ولا حَرَج ، وأكل أموال الناس بالباطل والرشوة سيطرت على النفوس ، والناس في حب الدنيا تفانت . فكل شيء للدنيا ومن أجل الدنيا : ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾[1]

---

(١) آل عمران : ١٨٥

إن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واجب إسلامي لا يستقيم الأمر إلا به . ولا يُرفع الظلم إلا به ، ولا يُنشر العدل إلا به . ولا تصلح الشعوب والحكومات إلا به .

إنه واجب على كل مسلم بحسب قدرته وطاقاته .

قال صلى الله عليه وسلم : « مَن رأى منكم مُنكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وهذا أضعف الإيمان » (١) .

وقال صلى الله عليه وسلم : « كلكم راع وكلّ مسئول عن رعيته » (٢) .

بعض الناس يظن أن الأمر بالمعروف مجرد وظيفة ومعاش ، وليس الأمر كذلك بل هي منصب إسلامي من أعلى المناصب وأشرفها .

فهو وظيفة سيد الخلق نبينا محمد ﷺ وإخوانه الرسل من قبله . وهو دعوةٌ إلى الله وإلى شرع الله . وإلى فضائل الإسلام ومكارم الأخلاق .

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ (٣)

﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ﴾(٤)

فأي منصب أشرف من هذا المنصب . فما بال الناس عنه معرضين . إنني أحذركم خطر التهاون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فأنتم ترون وتقرؤون

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان باب : بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان رقم (٤٩) .

(٢) البخاري : ٣١٧/٢ ، ومسلم (١٨٢٩) ، وأحمد : ٥/٢ ، ٥٤ ، ١١١

(٣) يوسف : ١٠٨

(٤) الأعراف : ١٥٧

وتسمعون الكوارث والمحن التي تنزل في بعض الجهات . إنها آثار المعاصي . ونتائج ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : ﴿ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ﴾(١) فكم للريح من غارات تُهلك الحرث والنسل . وكم للبحار من صفيان تغمر ما حولها . وكم للأنهار من فيضانات تسحق ما تمر عليه . وكم للأمطار والصواعق من كوارث . وكم للزلازل من رجفات تدمر المدن والقرى . وكم للبراكين من حمم ولهب .

وكم سلّط الله أحقر خلقه - الجراد والقُمّل والضفادع والبعوض - على الطغاة ، وكم سلّط الله شرار الأمة على خيارها إذا عصوه . ولم تتمعر وجوههم لله .

وكم من نعمة زالت بمعصية المنعم ، وكم من شرف وجاه عاد صاحبه حقيراً ذليلاً ، وكم ظهر من أنواع الأمراض التي لم تكن في أسلافنا ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾(٢)

وكم لله عَزَّ وجَلَّ من قوة قاهرة تَخْرق العادات وتهز الأرض والسموات ، إنها سياط يؤدب الله بها خلقه رحمة بهم لينقذهم من عذاب أليم سرمدي . وليدخلهم في رحمته ودار نعيمه .

لكن مَن أبَى . فلم تنفعه المواعظ . ولم توقظه العِبَر . ولم يتأدب مع خالقه . فلا يلومنّ إلا نفسه .

﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾(٣)

---

(١) الأنفال : ٢٥

(٢) الروم : ٤١

(٣) العنكبوت : ٤٠

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ ﴾(١)

﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾(٢)

توبوا إلى الله واستغفروه : ﴿ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾(٣)

اللّهم بارك لنا في القرآن العظيم .....

* *

(١) لقمان : ٣٣

(٢) فاطر : ٦

(٣) الزمر : ٥٤

٣٥ - صدق أبيٍّ

(الخطبة الثانية)

الحمد لله ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴾(١)

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فأوصيكم وإياي بتقوى اللّه ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ﴾(٢)

ثم اعلموا أن ليوم الجمعة آداباً يعلمها الكثير ولكن المهم هو العمل .

روى أبو داود وابن خزيمة عن عبد اللّه بن عمرو بن العاص رضي اللّه عنهما ، أن رسول اللّه ﷺ قال : « مَن اغتسل يوم الجمعة ومسّ من طيب امرأته إن كان لها . ولبس من صالح ثيابه ثم لم يتخط رقاب الناس ولم يلغُ عند الموعظة كان كفارةً لما بينهما »(٣) .

والذي يتخطى رقاب الناس إنما يتخذ جسراً إلى جهنم لأنه آذى إخوانه المسلمين . أتَى متأخراً فأخذ يبحث عن مكان في مقدمة المسجد . يركض هذا برجله . ويلطِم رأس هذا بنعله التي في يده ، وأخيراً يفرِّق بين اثنين بدون إذنهما .

---

(١) غافر : ٣

(٢) الطلاق : ٥

(٣) أخرجه أبو داود في سننه (٣٤٧) ، وابن خزيمة في صحيحه (١٧٧٥) ، وهو صحيح .

هذا منكر أنكره نبينا محمد ﷺ وهو يخطب على المنبر فقال : « اجلس فقد آذيت وآنيت » [١] .

أما الكلام والإمام يخطب ؛ فإنه مبطل لأجر الجمعة الذي يكفِّر سبعة أيام ، فإذا شرع الإمام في الخطبة وجب الإنصات وحرم الكلام إلا مع الإمام . فإذا قلتَ لصاحبك : أنصت والإمام يخطب فقد لغوت . كما في حديث البخاري ومسلم [٢] .

وروي البزار وأحمد عن ابن عباس رضي اللّه عنهما قال : قال رسول اللّه ﷺ : « مَن تكلم يوم الجمعة والإمام يخطب فهو كمثل الحمار يحمل أسفاراً » [٣] ، وقرأ رسول اللّه ﷺ سورة براءة وهو يخطب يوم الجمعة . فقال أبو ذر لأُبَيّ : متى نزلت هذه الآية ؟ فلم يجبه . فلما انصرف من الصلاة قال له : ما لكَ من جمعتك إلا ما لغوت . فأخبر أبو ذر النبي ﷺ فقال : « صدق أُبَيّ » [٤] .

وسأل ابن مسعود أُبَيّ بن كعب والإمام يخطب عن مسألة علمية فلم يرد عليه ، فلما انصرف قال : إنك لم تحضر معنا الجمعة لأنك تكلمت والنبي ﷺ يخطب ، فذكر ذلك لرسول اللّه ﷺ فقال : « صدق أُبَيّ .. أطع أُبَيّاً » [٥] .

فاتقوا اللّه أيها المسلمون ، إذا جاء أحدكم إلى المسجد فليجلس حيث وصلت الصفوف . وإذا خطب الإمام فأنصتوا . وصلّوا على البشير النذير .....

* * *

---

(١) أخرجه أبو داود (١١٨) ، والنسائي : ١٠٣/٣ ، وابن خزيمة : ١٥٦/٣ ، وإسناده صحيح .

(٢) أخرجه البخاري : ٢١٤/٢ (الفتح) ، ومسلم (٨٥١) .

(٣) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٨٤/٢) : رواه أحمد والبزار والطبراني في الكبير وعنه مجالد بن سعيد وقد ضعفه الناس ووثقه النسائي في رواية .

(٤) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه (١٨٠٧) ، وابن ماجه : الإقامة (٨٦) ، وأحمد : ١٤٣/٥ وهو صحيح .

(٥) قال المنذري في الترغيب والترهيب (٥٠٧/١) : رواه أبو يعلي بإسناد جيد وابن حبان في صحيحه .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣٦ - الحديث القدسي : يا عبادي [١]

(الخطبة الأولى)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ [٢] .

﴿ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [٣] .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له . قيومُ السموات والأرضين . ومدبرُ الخلائق أجمعين .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله . وصفوته من خلقه . أعطاه القرآن ومثله معه [٤] وخصه بجوامع الكلم [٥] ، وسماحة الدين ، وشمول الرسالة .

صلّى اللّه وسلم عليه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين ، وعلى آلهم وأتباعهم بإحسان أجمعين .

أما بعد ..

فيا أيها المسلمون .. أوصيكم وإياي بتقوى اللّه ومراقبته في السر والعلانية :

---

(١) ألقيت في ١٣٩٥/٤/٧ هـ .

(٢) الفاتحة : ٢ - ٣

(٣) التغابن : ١

(٤) إشارة إلى حديث أبي رافع رضي اللّه عنه : أحمد في المسند : ٨/٦ ، وأبو داود (٤٦٠٥) وإسناده صحيح .

(٥) إشارة إلى حديث أبي هريرة رضي اللّه عنه : البخاري برقم (٦٩٩٨) ، التعبير ، ومسلم : المساجد رقم (خاص ٥) ، و (عام ٥٢٣) ، وفيه هذا اللفظ : « أعطيت جوامع الكلم » ، وفي البخاري : « أوتيت فواتح الكلم » .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾(١)

أيها الإخوة في الإسلام .. إنَّ اللّه تبارك وتعالى قد أنعم على بني آدم . إذ أوجدهم من العدم . ورباهم بجميع النِعَم .

خلق لهم ما في الأرض جميعاً . وتكفل بأرزاقهم ورعايتهم وتدبير شئونهم . وحفظ مقومات حياتهم . ويسّر لهم طرق الخير والسعادة .

ومع هذا الفضل العظيم . والإحسان الكبير فإنه سبحانه يتودد إلى عباده . ويتحبب إليهم . يُعرِّفهم بعظمته وجلاله وقدرته وكبريائه . ويبرهن لهم على كمال ربوبيته ، ووحدانيته في ألوهيته . وكمال قدرته واستغنائه عن خلقه . ويُعرِّفهم بأنفسهم ويبيِّن لهم ضعفهم وفقرهم وشدة حاجتهم إليه . لعلهم أن يقدِّروه حق قدره . وأن يؤدوا الواجب له . وأن يشكروه على آلائه ، فهلم بنا - أيها المؤمنون - نتأمل هذا الحديث الشريف القدسي من كلام المصطفي صلى اللّه عليه وسلم .

روى الإمام مسلم رحمه اللّه في صحيحه ، عن أبي ذر الغفاري رضي اللّه تعالى عنه ، عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه عَزَّ وجَلَّ أنه قال : « يا عبادي ، إني حرَّمتُ الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرَّماً فلا تظالموا . يا عبادي ، كلكم ضالٌ إلا مَن هديته فاستهدوني أهدكم . يا عبادي ، كلكم جائع إلا مَن أطعمته فاستطعموني أطعمكم ، يا عبادي ، كلكم عارٍ إلا مَن كسوته فاستكسوني أكسُكم . يا عبادي ، إنكم تخطئون بالليل والنهار ، وأنا أغفر الذنوب جميعاً . فاستغفروني أغفر لكم » (٢) .

« يا عبادي ، إنكم لن تبلغوا ضُري فتضروني . ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني .

---

(١) الحشر : ١٨

(٢) مسلم : البر (٥) ، والنسائي : القيامة (٨٨) ، وابن ماجه : الزهد (١٥٤) .

يا عبادي ، لو أنَّ أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم ، كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في مُلْكي شيئاً . يا عبادي ، لو أنَّ أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل منكم ما نقص ذلك من مُلْكي شيئاً . يا عبادي ، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد ، فسألوني فأعطيتُ كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر . يا عبادي ، إنما هى أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها ، فمَن وجد خيراً فليحمد الله ، ومَن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه »[1] .

تأملوا أيها المسلمون هذا الحديث النبوي الكريم .

تأملوا هذا الأسلوب الرائع .. تأملوا الفصاحة والبيان .

تأملوا جوامع الكلم التي اختُص بها المصطفى عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم .

تأملوا هذه الكلمات الموجزات وما اشتملت عليه من المعاني .

تأملوا هذا النداء الكريم من رب العالمين .. نداءٌ يلفت الانتباه ويأخذ بمجامع القلوب الطيبة . فمَن أنت يابن آدم ومن أي شيء خلقت وما هي حياتك وما هو مآلك .

هذا رب العالَمين .. مالك الملوك . وقيوم السموات والأرضين يتودد إليك ويتحبب إليك بنعمه وآلائه ، ويناديك بأشرف الصفات : يا عبادي . يا عبادي . يا عبادي ، يكررها في هذا الحديث عشر مرات ، وأنت لاهٍ عن ربك متنكر لآلائه وإحسانه . تقابلها بالمعاصي والجحود . نسيت حقيقة أمرك فاغتررت بما آتاك ربك من الصحة والنعَم والعقل والإدراك والإبداع والاختراع والتقدم والنجاح . ونسيتَ ربك الذي منه منشأك وإليه معادك .

---

(١) مسلم في الصحيح البر والصلة ، باب (١٥) ، باب : تحريم الظلم ، حديث رقم (خاص ٥٥) ، و (عام ٢٥٧٧) ، وذلك عن أبي إدريس الخولاني عن أبي ذر رضي الله عنه بسياق طويل : ١٩٩٤/٤ - ١٩٩٥

تأملوا هذا الحديث القيم لعل اللّه أن يفتح بصائرنا لمعرفته سبحانه . ومعرفة عظمته وجلاله . ولعلنا أن نعرف أنفسنا وضعفنا وواقع الحال منا .

يقول سبحانه : « يا عبادي ، إني حرمتُ الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرّماً فلا تظالموا » .

الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه . واللّه تبارك وتعالى هو الحكيم العليم يضع الأشياء في مواضعها .

ورحمة اللّه وفضله وإحسانه جعل الظلم مستحيلاً في حقه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[1] ، فهو سبحانه لا يرجو أحداً ولا يخاف من أحد . ولا يحتاج إلى أحد . بل هو مستغن عن كل أحد ، وكل شيء ملكه وتحت أمره ، لكن ابن آدم ظلوم جهول ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾[2] طماع يتطلع إلى ما ليس له ، يحب الغلبة والقهر والسيطرة وليست له ، ويخاف من غيره ويحتاج إلى غيره . فالظلم حينئذ من صفاته ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾[3] ، وحيث إن الظلم فيه فساد الدنيا والدين ، واستعباد الناس لغير اللّه ، حرّمه اللّه وتوعّد الظالمين بالطرد والإبعاد من رحمته . وتوعّدهم بالذل والهوان والعذاب الأليم .. ألا لعنة اللّه على الظالمين [4] .

« يا عبادي ، كلكم ضال إلا مَن هديته » .

خُلق ابن آدم لا يعلم شيئاً ، فلو تُرك الإنسان لنفسه وشهواته لاستهوته الشياطين ولغلبت عليه الشهوات . لذلك فإنه في أشد الحاجة إلى خالقه

---

(١) النساء : ٤٠

(٢) إبراهيم : ٣٤

(٣) إبراهيم : ٣٤

(٤) إشارة إلى معناه في سورة الأعراف : ٤٤

والاعتصام بربه ليسأله التوفيق ويلهمه طريق الرشد والصلاح : ﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾(١)

ولما كانت الهداية هي أساس السعادة والصلاح . وهي طريق النجاة ، أوجب الله على عباده المؤمنين أن يطلبوا منه الهداية في كل يوم وليلة سبع عشرة مرة على الأقل . فيقول في كل ركعة من الصلاة المكتوبة : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ ﴾

« يا عبادي ، كلكم جائع إلا مَن أطعمته » .

الخلق كلهم فقراء إلى الله . والله هو الغني الحميد . فلا يستطيع الإنسان أن يتحصل على ما يطرد جوعه وما يستر عورته إلا ما كتب الله له ، فلو اجتمعت الجن والإنس على أن ينفعوا إنساناً بشيء لم ينفعوه إلا بما كتب الله له (٢) ، لذلك حثنا الرب جلَّ جلاله على طلب الرزق منه والاعتماد عليه وحده والطمع فيما عنده وحده مع فعل الأسباب المشروعة .

« يا عبادي ، إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم » .

هذا هو واقع الحال منا : كلنا خطَّاؤون . كلنا مذنبون . وكلنا مقصرون . كلنا إعراض وصدود وإهمال . فرغَّبنا سبحانه في عفوه وسعة رحمته ، فما على الإنسان إذا وقع في معصية الله إلا أن يتوجه إلى الله بنيةٍ صادقة وقلب ناصح ،

---

(١) آل عمران : ١٠١

(٢) إشارة إلى حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، أخرجه : الإمام أحمد في المسند : ١٩٣/١ وإسناده حسن ، وأخرجه الترمذي في جامعه ، كتاب صفة القيامة حديث رقم (٢٥١٦) من هذا الوجه واللفظ ثم قال : هذا حديث حسن صحيح .

فيقول : أستغفر الله العظيم الذي لا إلَهَ إلاَّ هو الحي القيوم وأتوب إليه ، والله يفرح بتوبة عبده [١] ، فيغفر ذنوبه ويستر عيوبه .

إنَّ الاستغفار يحط الخطايا كما تحت الرياح ورق الشجر وقت جفافه . والتوبة تَجُبُّ ما قبلها [٢] وإن كانت كبائر الذنوب كالجبال الشامخات . وباب التوبة مفتوح على مصراعيه للتائبين حتى تطلع الشمس من مغربها [٣] . ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[٤]

« يا عبادي ، إنكم لن تباغوا ضري فتضروني ، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني » .

الخلق كلهم ملكٌ لله وفي قبضته وتحت قهره . ولكهم ضعفاء فقراء إليه . فلم يتعرف إليهم بآياته . ولم يتودد إليهم بالنعم لا رجاء نفعهم ولا خوف ضرهم . وإنما رحمة بهم وإحساناً إليهم . ومهما أعطى الإنسان من الصحة والقوة ، ومهما بلغ من الفهم والإدراك والتقدم ، فهو ضعيف لله يعيش في مجال ضيق محدود مآله إلى الفناء والزوال .

ما السموات في كف الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم إن شاء قبضها وإن شاء أرسلها [٥] ، وإن شاء أفناها وإن شاء أبقاها : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ

---

(١) إشارة إلى حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، مسلم : برقم (٣٧٤٧) ، والبغوي في شرح السُنَّة (١٣٠٣) من هذا الوجه واللفظ .

(٢) إشارة إلى حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه بسياق طويل وفيه أن الإسلام يَجُبُّ ما كان قبله ، أخرجه : أحمد في المسند : ١٩٨/٤ ، ١٩٩

(٣) إشارة إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه : مسلم في الصحيح ، الذكر والدعاء رقم (خاص ٤٣) ، و (عام ٢٧٠٣) .

(٤) الزمر : ٥٣

(٥) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الزمر : ٦٧ ، وأما هذا الحديث فلم أقف على لفظه وإنما أخرج البخاري ومسلم ، والترمذي والنسائي وابن جرير الطبري وغيرهم كما عزاه السيوطي إليهم في الدر المنثور (٢٤٦/٧) ، بهذا المعنى أو قريباً منه ، والله أعلم .

﴿ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ ﴾(١)

« يا عبادي ، لو أنَّ أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في مُلكي شيئاً » .

إنما أمر الله عباده بطاعته ونهاهم عن معصيته لصالح أنفسهم والله غني عنهم : « سبحان الله والحمد لله والله أكبر » . فلا تنفعه طاعة المطيع ولا تضره معصية العاصي . وكل أمره سبحانه وكل نهيه جلَّ وعلا في صالح العباد لإصلاح دينهم ودنياهم وآخرتهم . فهو قادر على أن يُذهب هذا الكون كله ويأت بخلق جديد ، ﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ ﴾(٢) ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ ﴾(٣)

فالقادر على خلق كل شيء وإفناء كل شيء مستغنٍ بذاته عن كل شيء .

« يا عبادي ، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل واحد مسألته ، ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر » .

هذا خبرٌ حقٌ مُشاهَدٌ بالعيان . ومَثَلٌ رائع . فخزائن الله سحاء الليل والنهار لا تغيض مع كثرة الإنفاق : و ﴿ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ ﴾(٤) فلا تنقص من كثرة الانفاق ، فنحن نشاهد السحاب المسخَّر بين السماء والأرض

---

(١) فاطر : ٤١

(٢) النساء : ١٣٣

(٣) النحل : ٤٠

(٤) المائدة : ٦٤

ينشأ غماماً في جو الصحراء . ثم يؤلّف الله بينه . ثم يجعله ركاماً : ﴿ فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ﴾(١) وفى لحظة واحدة ترتوى الأرض وتسيل الشعاب . وتجري الأودية وتمتلىء السدود . ونرى السحاب لم ينقص بل ازداد تكثفاً وتراكماً وثقلاً بالماء . فسبحان مَن عطاؤه كلام . ومنعه كلام : ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾(٢)

الله أعلم بمصالح خلقه وأحوالهم وعاقبة أمورهم : ﴿ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ﴾(٣)

ثم ختم هذا النداء والتوجيه بقوله : « يا عبادي ، إنما هى أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها » ؛ لبيان الحكمة في الخلق والرزق . والأمر والنهى .. وهو إنفاذ القدرة الشاملة . والحكمة البالغة ، ومعرفة المطيع من العاصي ، ثم : ﴿ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ﴾(٤).

« فمَن وجد خيراً فليحمد الله » – على توفيقه وهدايته . « ومَن وجد غير ذلك » – فبما كسبت يداه – « فلا يلومنَّ إلا نفسه » (٥) .

فاتقوا الله عباد الله .. تعرَّفوا إلى الله بآياته ودلائل قدرته وآثار رحمته ونعمه وآلائه . وتقرَّبوا إليه بطاعته وطاعة رسوله . واعرفوا فقرنا وحاجتنا إليه أشد من حاجتنا إلى الماء والهواء . فكونوا دائماً وأبداً على صلة بربكم . اطلبوا منه الهداية والتوفيق ، توجهوا إليه في قضاء حوائجكم . واطلبوا منه

---

(١) النور : ٤٣

(٢) يس : ٨٢

(٣) الشورى : ٢٧

(٤) البقرة : ٢٨١ ، آل عمران : ١٦١

(٥) إشارة إلى حديث أبي ذر رضي الله عنه ، مسلم : البر والصلة رقم (خاص ٥٥) ، و (عام ٢٥٧٧) .

المدد وحده ، واطلبوا منه كشف الكربات وحده ، فإنه هو القادر على ذلك كله وحده . ومَن سواه من الأنبياء والصالحين والأولياء والمقرَّبين لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً إلا ما شاء الله [١] .

تعرَّفوا إلى الله في الرخاء يعرفكم في الشدة [٢] ، فإنه قريب مجيب دعوة الداعي إذا دعاه [٣] .

اللّهم بارك لنا في القرآن العظيم . وانفعنا به وبسُنَّة نبينا الكريم .

اللّهم الهمنا رشدنا ، وقنا شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا . واهدنا الصراط المستقيم .

أقول قولي هذا ، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين ، واستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

* *

---

(١) إشارة إلى سورة الأعراف : ١٨٨ ، ويونس : ٤٩

(٢) إشارة إلى حديث ابن عباس رضي الله عنه بسياق طويل وفيه هذا اللفظ ، أحمد في المسند : ١/١٠٧ وإسناده صحيح كما مضى عند الترمذي .

(٣) إشارة إلى سورة البقرة : ١٨٦

٣٦ - ليس بين اللّه وبين خلقه واسطة

(الخطبة الثانية)

الحمد للّه أحمده وأستعينه . وأستغفره وأتوب إليه .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله . صلّى اللّه عليه وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فيا أيها المسلمون .. اتقوا اللّه تعالى : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾(١) .

اعتصموا بكتاب اللّه . وبهَدْى نبيه ﷺ .

واحذروا البدع ومحدثات الأمور في التشريع : « فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة . وكل ضلالة في النار » (٢) .

اعبدوا اللّه بما شرعه اللّه على لسان نبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم . توجهوا إلى اللّه تجدوه أمامكم . تقرَّبوا إليه بصالح الأعمال ، وتعرَّفوا إليه بطاعته وطاعة رسوله تجدوه ذخراً لكم .

ولا تجعلوا بينكم وبينه واسطة . فإنه قريب منكم يراكم ويسمع دعاءكم ويعلم

---

(١) الطلاق : ٢ - ٣

(٢) هذا جزء من حديث جابر الأنصاري رضي اللّه عنه : مسلم في الصحيح كتاب : الجمعة حديث رقم (٤٣ خاص) ، و (عام ٨٦٧) .

أحوالكم . وهو مستوٍ على عرشه بائن من خلقه [١] فأنتم في قبضته وتحت إحاطته . فعلقوا آمالكم به : ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا ﴾[٢] ورغبة ورهبة ولا تعلقوا آمالكم بما لا ينفع ولا يضر من القبور والأبواب والحيطان والشبابيك . وما ذلك إلا من دسائس أعداء الدين .

فاتقوا الله عباد الله ، وقيسوا أعمالكم بمقياس الشريعة الإسلامية : كتاب الله وسُنّة نبيه الثابتة الصحيحة .

وصلُّوا على النبي الكريم ، فقد أمرنا الله بذلك في كتابه المبين ، فقال جلّ من قائل عليم : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾[٣] .

اللّهم صلِّ وسلّم وبارك وأنعم على عبدك ورسولك نبينا محمد صاحب الحوض المورود والمقام المحمود .

اللّهم ارض عن الأربعة الخلفاء الراشدين : أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ . وعن بقية أصحاب نبيك أجمعين ، وأهل بيته الطيبين الطاهرين . ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

اللّهم ارض عنا معهم بمنك وإحسانك يا أرحم الراحمين .

اللّهم أعز الإسلام والمسلمين . وأذل الشرك والمشركين ، ودمر أعداء الدين ، يارب العالَمين .

اللّهم أدم الأمن والاستقرار في أوطاننا . وانصر واحفظ إمامنا وولاة أمورنا ، ووفقهم لما يصلح العباد والبلاد ، وكن لهم مؤيداً وناصراً .

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى في سبع مواضع في كتاب الله تعالى ومنها طه : ٥

(٢) الأعراف : ٥٥

(٣) الأحزاب : ٥٦

اللّهم أصلح ولاة أمور المسلمين ، واهدهم سبل السلام ، وأخرجهم من الظلمات إلى النور .

اللّهم انصر جيوش المسلمين ووحّد صفوفهم واجمع شملهم وقوِّ شوكتهم . وثبت أقدامهم وانصرهم على القوم الكافرين .

اللّهم اخذل اليهود وأعوانهم . اللّهم فرِّق جمعهم وشتت شملهم وأذهب ريحهم وأنزل الرعب في قلوبهم ، ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم واجعلهم عبرة في الهزيمة للمعتبرين .

اللّهم اغفر للمسلمين والمسلمات ، الأحياء منهم والأموات .

اللّهم فَرِّج هم المهمومين ونفِّس كرب المكروبين . واقض الدَّيْن عن المدينين ، واشف مرضى المسلمين .

اللّهم اهدنا الصراط المستقيم : ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم غَيرِ ٱلمَغضُوبِ عَلَيهِم وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾[1]

عباد اللّه .. اذكروا اللّه العظيم يذكركم ، واشكروه يزدكم ، ﴿ وَلَذِكرُ ٱللَّهِ أَكبَرُ وَٱللَّهُ يَعلَمُ مَا تَصنَعُونَ ۝٤٥ ﴾

* * *

(١) الفاتحة : ٧

(٢) العنكبوت : ٤٥

الباب الثاني

الاعتصام .. والطاعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣٧ - الدين النصيحة [١]

(الخطبة الأولى)

الحمد لله رب العالمين . قسَّم بين العباد أخلاقهم كما قسَّم أرزاقهم .

اللَّهم اهدنا لأحسن الأعمال والأخلاق ، لا يهدي لأحسنها إلا أنت .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللَّه وحده لا شريك له ، أمر بالتناصح وبعث به المرسلين .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، أرسله متمماً لمكارم الأخلاق ، فكوَّن أمة ذات أدب رفيع ، وخُلُق كريم ، فكان أحدُهم مرآة أخيه .

اللَّهم صلِّ وسلِّم على الناصح الأمين ، عبدك ورسولك محمد سيد الأولين والآخرين ، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فإن التناصح قاعدة من قواعد الدين ، فلا تتحقق المصالح ولا تُدرأ المفاسدُ ولا تستقيم الأمور إلا بالتناصح ، والنصح دليل حُسْن الخُلُق . وحُسْنُ الخُلُق أساس كل خير ، ومصدر كل فضيلة . وأحسن الناس أخلاقاً وأنصحهم وأنفعهم للناس رسول اللَّه ﷺ فقد أدَّبه ربه فأحسن تأديبه : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[٢]

وللمسلم في رسول اللَّه ﷺ أسوةٌ حسنة ، يتأدب بآدابه ويتحلى بأخلاقه ، ويقتفي أثره ، ويعمل بسُنَّته وينصح لأمته .

---

(١) ألقيت في ٢٣/١٠/١٤١٠ هـ .

(٢) القلم : ٤

فالمسلم عليه واجبات لربه الذي خلقه . ولكتاب اللّه الذي هو نظام حياته . ولرسوله الذي هداه وأنقذه . ولولاة أمره الذين يتعبون لراحته . ولأخوته في اللّه الذين يشدون أزره ويعتصمون بحبل اللّه معه ، وبين أيدينا حديث من جوامع كلمه - صلى اللّه عليه وسلم - له شأن عظيم وهو أحد قواعد التشريع . يدور عليه الفقه وخصال الدين . وهو قوله صلى اللّه عليه وسلم في صحيح مسلم : « الدين النصيحة » ، وعند الترمذي كررها ثلاثاً .

روى مسلم رحمه اللّه عن أبي رقية تميم بن أوس الداري رضي اللّه عنه : أنَّ النبي ﷺ قال : « الدين النصيحة » قلنا : لمن يا رسول اللّه ؟ قال : « للّه ، ولكتابه ولرسوله . ولأئمة المسلمين . وعامتهم » [١] .

قال النووي [٢] : هذا حديث عظيم الشأن وعليه مدار الإسلام ، وأما ما قاله جماعة من العلماء بأنه أحد أرباع الإسلام . أى : أحد الأحاديث الأربعة التي تجمع أمور الإسلام ، فإنما لهم وجهة نظر من ناحية والمدار على هذا وحده . والنصيحة كلمة جامعة معناها - أي في حق المخلوق - حيازة الحظ للمنصوح له ، وهو من وجيز الأسماء ومختصر الكلام . وليس في كلام العرب كلمة أجمعُ لخيري الدنيا والآخرة منه .

و « النصيحة » مأخوذة من « نَصَحَ الرجل ثوبه » إذا خاطه بالمنصحة - وهى الإبرة - فشبهوا فعل الناصح فيما يتحراه من صلاح المنصوح له بما يسده من خلل الثوب .

وقيل : « النصيحة » مأخوذة من نصحتُ العسل إذا صفيتُه من الشمع . شبهوا تخليص القول من الغش بتخليص العسل من الخلط .

---

(١) مسلم : الإيمان برقم (٥٥) ، والبغوي في شرح السُنَّة برقم (٣٥١٤) كلاهما من حديث تميم الداري رضي اللّه عنه ، وللإمام البغوي - رحمه اللّه تعالى - عليه كلام جيد مفيد للغاية فراجعه : ١٣/٩٤ - ٩٦

(٢) شرح سلم : ٢/٣٧

وقال في فتح الباري : يقال : نصح الشيء إذا أخلص ، ونصح له القول إذا أخلص له . والمعنى : أنه يَلُم شعث أخيه بالنصح كما تلم المنصحة . ومنه التوبة النصوح : كأن الذنب يُمزق الدين والتوبة تَخيْطُه .

ومن المعلوم أن اللّه تعالى غني عن نصح كل ناصح . وغني عن طاعة الطائعين . ولا تضره معصية العاصين ، فلو كان الخلق كلُهم على أتقى قلب رجل واحد ما زاد ذلك في مُلْكه شيئاً . ولو كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من مُلْكه شيئاً . فسبحان الواحد القهار .

فالنصيحة للّه شدة العناية باتباع محبته فى أداء ما افترض ومجانبة ما حرَّم وإيثارُ محبة اللّه على محبة الإنسان نفسه وأهله وولده وماله والخلق أجمعين . والإيمان به وترك الإلحاد في صفاته ووصفه بصفات الكمال والجلال . وتنزيهُه سبحانه وتعالى عن جميع النقائص . وصحةُ الاعتقاد في وحدانيته . وإخلاصُ النيِّة له في عبادته . ووصفُه بما وصف به نفسه ووصفَه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تشبيه ولا تمثيل : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾[1]

ومن النصح للّه القيام بطاعته واجتنابُ معصيته والحبُ فيه والبغض فيه ، وموالاة مَن أطاعه ومعاداة مَن عصاه ، وجهاد مَن كفر به ، والاعتراف بنعمته وشكره عليها . والدعوة إليه وإلى صراطه . والتلطف بالناس في ذلك ، قال بعض الصحابة : إنَّ أحبَّ عباد اللّه إلى اللّه الذين يُحَبِّبون اللّه إلى عباده ، ويُحَبِّبون عباد اللّه إلى اللّه ، ويسعون في الأرض بالنصيحة .

ومنفعة النصح للّه راجعة إلى العبد نفسه في صلاح أمره كله ، واللّه غني عن خلقه ونصحهم . ولكنه بهم رؤوف رحيم .

وأما النصيحة لكتاب اللّه فالإيمان بأنه كلام اللّه وشدةُ محبته وتعظيم قدره .

---

(١) الشورى : ١١

والحرصُ على فهمه وتدبرُ معانيه . والتعبدُ بتلاوته . وإقامة حدوده والحكم بأحكامه والتصديق بوعده ووعيده والاعتبار بمواعظه وقَصَصِه . والتفكر في عجائبه والعمل بمحكمه والإيمان بمتشابهه . والدعوة إليه وتعلمه وتعليمه . وذب تحريف المبطلين عنه ، ورد طعن الملحدين ، والدعوة إليه والتحلي بآدابه .

وأما النصيحة لرسول الله ﷺ . فالإيمان برسالته والتصديق بما أخبر به . وطاعته في أمره ونهيه . وإعظام حقه وإحياء سُنَّته ونشر شريعته والدعوة إليها والدفاع عنها . ومحبته أحب من النفس والأهل والولد والناس أجمعين . وموالاة مَن والاه ومعاداة مَن عاداه ، والاقتداء بأخلاقه والاهتداء بهَدْيه . ومحبة أزواجه وأصحابِه وآله ومَن سار على نهجه .

وأما النصيحة لأئمة المسلمين - وهم الولاة الذين يلون أمر هذه الأمة - فالنصح لهم حبُ صلاحهم ورُشدِهم وعدلِهم ، وحبُ اجتماع الأمة عليهم وكراهةُ الافتراق وتأليفُ القلوب عليهم وجمعُ الكلمة بهم ورُد القلوب النافرة .

والتدينُ لله بطاعتهم في المعروف . ومعاونتُهم على إنفاذ الحق وعلى قمع المفسدين ، وعلى الأخذ على أيدي السفهاء والمخربين ، وسدُ خلتهم عند الهفوة . وتذكيرُهم بلطف ورفق ، ووعظُهم بالحكمة والموعظة الحسنة . وإعلامُهم بما غفلوا عنه من حقوق الرعية . وتحذيرهم من الاغترار بالثناء الكاذب والتملق المزيف ، وحثهم على التمسك بكتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ ، وأداء الصدقات إليهم ، والدعاء لهم بالصلاح والاستقامة والتوفيق . وحبُ إعزازهم في طاعة الله . واجتناب الخروج عليهم ، ولو ظهر منهم حيف أو تصرف لا يرضاه المرء فيجب السمع والطاعة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾[1]

---

(١) النساء : ٥٩

وأما النصيحة لعامة المسلمين فإرشادهم إلى مصالحهم ، وتعليمُهم أمور دينهم ودنياهم ، وسترُ عوراتهم ، وسدُ خلاتهم ، ونصرةُ المظلوم منهم ، وكفُّ الظالم عن ظلمه ، ومجانبةُ غشهم ، ودفعُ الأذى عنهم ، ومواساة فقيرهم ، وتوقيرُ كبيرهم ، ورحمةُ صغيرهم ، والتلطفُ باليتيم ، والدعاء لهم والاهتمام بأمورهم ، والمحافظة على أموالهم وأعراضهم ودمائهم ، وكفُ جميع وجوه الأذى عنهم ، والحذر من غشهم ، ومن الحقد والحسد ، وتخللهُم بالموعظة الحسنة . وأمرُهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر بلطف ورفق وحكمة ، والتواضع لهم .

ذكر ابن رجب [١] عن الفضل بن عباس رضي اللّه عنهما قال : ما أدرك عندنا مَنْ أدرك بكثرة الصلاة والصيام ، وإنما أدرك عندنا بسخاء الأنفس وسلامة الصدور والنُصْحِ للأمة . وكان السَلَف إذا أرادوا نصيحة أحد وعظوه سراً . حتى قال بعضهم : مَنْ وعظ أخاه فيما بينه وبينه فهي نصيحة ، ومَنْ وعظه على رؤوس الناس فإنما وبّخه . وقال بعض الفضلاء : المؤمن يستر وينصح ، والفاجر يهتك ويُعيِّر . وسئل ابن عباس رضي اللّه عنهما عن أمر السلطان بالمعروف فقال : إن كنتَ فاعلاً ولا بد ففيما بينك وبينه . أ هـ .

فاتقوا اللّه أيها المسلمون .. أدُّوا النصيحة لأهلها ، وتناصحوا فيما بينكم ، وليكن أحدكم مرآة أخيه ، فإن رأى به أذىً فليمطه عنه وينبهه عليه .

اللّهم ألهمنا رشدنا وقنا شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، ونسألك اللّهم سلامة الصدور ، وسخاء الأنفس ، وحلاوة المنطق ، ولين الجانب ، والنصح لكل مسلم ، وحب المساكين .

ونسألك الرحمة والمغفرة لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين .

استغفروا ربكم وتوبوا إليه وراقبوه واتقوه ، إنه هو الغفور الرحيم .

* *

---

(١) جامع العلوم والحكم ص ٧١ ، شرح الحديث السابع .

٣٧ - الاستحياء من اللّه

(الخطبة الثانية)

﴿ الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ [١] .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاّ اللّه وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللّهم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان .

أما بعد ..

فأوصيكم وإياي بتقوى اللّه .

قال ابن رجب [٢] رحمه اللّه : إن آداب الخير وأزِمتَه تتفرع من أربعة أحاديث : قول النبي ﷺ : « مَن كان يؤمن باللّه واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت » ، وقوله صلى اللّه عليه وسلم : « مِنْ حُسْنِ إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » ، وقوله للذى اختصر له في الوصية : « لا تغضب » ، وقوله صلى اللّه عليه وسلم : « المؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه » ا . هـ .

والاستحياء من اللّه جُماع الأمر .

روى الترمذي عن عبد اللّه بن مسعود رضي اللّه عنه مرفوعاً : « الاستحياء من اللّه تعالى : أن تحفظ الرأس وما وعَى ، وتحفظ البطن وما حوى . ولْتذكر

---

(١) الفاتحة : ٢ - ٤

(٢) جامع العلوم والحكم ص ٩٧ ، شرح الحديث (١٢) .

الموت والبلى ، ومَن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا .. فمَن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحيا » (١) .

وقال بعض العلماء : استح مِنَ اللهِ على قدر قربه منك ، وخف من الله على قدر قدرته عليك . وإذا تكلمت فاذكر سمع الله لك . وإذا سكتَ فاذكر نظره إليك : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾ (٢)

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ (٣) .....

* * *

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٥٨) ، وأحمد : ٣٨٧/١ ، قال الشيخ أحمد شاكر : إسناده ضعيف .

(٢) سورة ق : ١٦

(٣) الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣٨ - الشورى من قواعد الشريعة [١]

(الخطبة الأولى)

الحمد لله رب العالمين . أمرنا بالتآخي والوفاق ، ونهى عن أسباب الفرقة والشقاق .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له . جعل العقول كالمصابيح ، إذا اجتمعت ازداد نورها واستنار طريقُها .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله . أرسله معلماً ومربياً .

اللّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد . وعلى آله وأصحابه ومَن سار على منهاجه .

أما بعد ..

فقد أمر الخالق تعالى نبيه محمداً ﷺ بأسباب المودّة والألفة ومسايرة الأمة ومشاورة أهل العلم والرأي ، فقال تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [٢]

---

(١) ألقيت في ١٤١٣/٣/٢٩ هـ .

(٢) آل عمران : ١٥٩

وأثنى الخالق تعالى على المؤمنين بخصال الفضل والكمال ومنها الشورى ، فقال تعالى : ﴿ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾(١)

فالشورى في الأمور العامة المهمة من قواعد الشريعة . ومن عزائم الأحكام ، فما ندم مَن استشار ولا خاب مَن استخار . وما شقي عبد بمشورة ، وما سَعُد باستغناءٍ برأي .

نقل القرطبي عن بعض العلماء قال : واجب على الولاة مشاورة العلماء فيما لا يعلمون . وفيما أشكل عليهم من أمور الدين . ومشاورةُ وجوه الجيش فيما يتعلق بالحروب . ومشاورة وجوه الناس فيما يتعلق بالمصالح . ومشاورةُ وجوه الكُتّاب والوزراء والعمال فيما يتعلق بمصالح البلاد وعمارتها .

والشورى خيرٌ وبركة وسبب للصواب ، فيها إصلاح النفوس وتصفيةُ القلوب . وبعثُ النشاط وألفة الجماعة . وسبر العقول . وما تشاور قوم إلا هُدُوا لأرشد أمورهم .

وقد ذكر الخالق تعالى الشورى في الآية بعد الصلاة التي هي عماد الدين : وقبل الزكاة التي هي أخت الصلاة ، وهذا دليل على أهمية الشورى ومكانتها في الإسلام .

وقد أمر الحكيم العليم نبيه محمداً ﷺ بالشورى مع استغنائه عنها بالوحي من الله . لتعليم أمته وتربيتهم على النهوض بواجباتهم ولبيان ما في المشاورة من الفضل ليقتدوا به .

---

(١) الشورى : ٣٦ - ٣٨

وقد استشار النبي ﷺ أهل الرأي من أصحابه في أمور عامة وخاصة ، فاستشار في شأن المنبر ، وفي النداء للصلاة ، واستشار في غزوة بدر أربع مرات . شاورهم في الخروج إلى عير قريش ، وشاورهم لما علم بخروج قريش ، وأن العير فاتتهم . فقالوا له : امض لما أمرك الله فنحن معك نقاتل عن يمينك وعن شمالك ومن بين يديك ومن خلفك . فأشرق وجه رسول الله ﷺ . وشاورهم في المنزل يوم بدر . فأشاروا أن ينزلوا على آخر ماء يلى العدو . ويدفنون ما وراءها . وشاورهم الرابعة في أساري بدر .

وشاور عليه الصلاة والسلام أصحابه يوم أحد أيخرجون للقتال ، وكان صلى الله عليه وسلم يرى التحصن في المدينة . إلا أن قوماً من الشباب تأسفوا على فوات يوم بدر فحثوا الناس على الخروج . فرأي أكثرهم الخروج ، فأخذ صلى الله عليه وسلم برأي الأكثرية . وفي تلك الليلة - ليلة الجمعة - رأى رسول الله ﷺ في منامه رؤيا قصّها عليهم قال : « رأيتُ بقراً تُذبح والله خير وأبقى . ورأيت سيفي « ذا الفقار » انفصم من عند ضبته - أو قال : به فلول - فكرهته وهما مصيبتان ، ورأيت أني في درع حصينه وأني مُرْدِفٌ كبشاً » . ثم قال : « أوّلتُ البقر . بَقْراً يكون فينا . وأوّلت الكبش كبش الكتيبة ، وأوّلت الدرع بالمدينة فامكثوا » .

وقيل : وأوّل ما في السيف برجل يُصاب من أهل بيته .

فقال الذين يرون الخروج : يا رسول الله كنا نتمنى هذا اليوم .

فلما صلى الجمعة دخل ولبس سلاحه ، فقال بعضهم لبعض : أكرهتم رسول الله ﷺ على الخروج . فلما خرج إليهم قالوا : لا نريد إكراهك فامكث كما رأيت .

فقال صلى الله عليه وسلم : « ما ينبغي لنبي إذا لبس سلاحه أن يرجع حتى يقاتل » . فحصل يوم أحد ما قدّر الله وله حكمة في أمره وقدره .

وشاور صلى الله عليه وسلم الصحابة يوم الخندق مرتين . الأولى : أشار عليه سلمان الفارسي رضي الله عنه بحفر الخندق . فحفره .

والثانية : استشارهم في مصالحة المشركين على ثلث ثمار المدينة تلك السنة ، فرأي سعد بن عبادة وسعد ابن معاذ رضي الله عنهما ألا يعطيهم منها شيئاً .

وشاورهم في سبى هوازن بعد أن أسلموا وطلبوا رده إليهم .

وسار الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم مقتدين بالنبي ﷺ في شريعته ومنهجه . يشاور بعضهم بعضاً ، فتشاوروا فيمن يتولى الخلافة بعد رسول الله ﷺ . ثم اتفقوا على أبي بكر رضي الله عنه . واستشارأبو بكر في إنفاذ جيش أسامة . وفي قتال أهل الرِدَّة فأنفذه .

وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يستشير في كل أمر له أهمية . فاستشار في غزو القادسية . وفي اختيار الولاة ، وفي تنظيم شئون الدولة ، واستشار في دخول البلد الموبوءة فأشاروا عليه بالانصراف عنها .

والمستشار مؤتمن .. يجب عليه النصح والتأمل والنظر في العواقب وخشية الله فيما يقول .

وينبغي للمستشير أن يختار لمشورته أهل العلم والتقوى والأمانة . ومَن يخشى الله تعالى .

وإن اختلفت الآراء في المشورة ، نظر المستشير أقربها إلى الكتاب والسُنَّة . ويستخير الله في الرأى الذي يأخذ ، فإذا أرشده الله إلى الأخذ بأحسن المشورات . عزم عليه وأنفذه متوكلاً على الله كما قال سبحانه : ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾(١) .

فإذا عزم المستشير على إنفاذ الشورى توكل على الله . لا على المشوره .

---

(١) آل عمران : ١٥٩

وهكذا فعل رسول الله ﷺ في كل أموره ، يتوكل على الله لا على غيره . كما تقدم في خروجه يوم أحد .

والعزم هو الأمر الرَّويُّ المنقَّح . وليس ركوب الرأي دون روية عزماً . وليس التوكل أن يهمل الإنسان نفسه .

والأمر بالتوكل على الله لا يعني نقصاً في الشورى . ولا يعني رفض رأي الجماعة . وإنما التوكل على الله في كل الأمور واجب لأن الأمور ونتائجها عند الله ، وإذا أخطأ الشائر في مشورته فلا تقطع عنه الاستشارة لأن الله تعالى أمر رسوله ﷺ بالعفو عنهم يوم أحد وبالاستغفار لهم ومشاورتهم .

والحمد لله الذي وفق إمامنا لاتباع سُنَّة النبي ﷺ في الشورى . ونسأل الله لنا ولهم التوفيق والرشد والسداد وإخلاص العمل لله . والنصح للبلاد والعباد .

فاتقوا الله أيها المسلون : ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾[1] .

اللهم بارك لنا في القرآن . وانفعنا بما فيه من دلائل قدرتك ووحدانيتك والمواعظ الحسان . واغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* * *

(١) المائدة : ٢

٣٨ - محاسبة النفس

(الخطبة الثانية)

الحمد للّه رب العالَمين . جعل الدنيا دار ممر لا مقر . وجعلها مزرَعةً للآخرة . ودار عمل .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاّ اللّه وحده لا شريك له . مطلّع يسمع ويرى .

وأشهد أنّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، عرف الآخرة فسعى لها سعيها . وعرف الأولى فأعطاها حقها .

اللّهم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ...

فواجب على المسلم أن ينظر في أعماله وأقواله وتصرفاته ويحاسب نفسه على ما سَلَف ، فيفرح بما يسر ، ويندم على ما يسوء . قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ ﴾(١)

على المسلم أن يفتح أمامه صحيفة أعماله وصحيفة حياته ، ويتأمل في سطورها وينظر في رصيد حسابه . بمفرداتها وتفصيلاتها . وهذا النظر كفيلٌ بأن يوقظه من رقدته . وأن يدله على مواضع الضعف والنقص والتقصير .

روى الترمذي في صحيحه عن شداد بن أوس رضي اللّه عنه ، عن النبي ﷺ قال : « الكيِّس مَن دان نفسه وعمل لما بعد الموت . والعاجز مَن اتبع نفسه هواها وتمنى على اللّه » (٢) .

---

(١) الحشر : ١٨

(٢) الترمذي : ٢٨٢/٩

وروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا . وتَزَيَّنوا للعرض الأكبر . وإنما يخف الحساب يوم القيامة على مَن حاسب نفسه في الدنيا .

فاتقوا الله أيها المسلمون . ما حاسب نفسه مَن لَهَى وسَهَى وسهر على المسليات واللعب والقيل والقال . ونام عن الصلوات .

ما حاسب نفسه من توجه إلى الدنيا كأنه يعيش فيها أبداً ونسى الآخرة وأحوالها .

أخي المسلم .. اعمل في دنياك متاعاً وللآخرة ذخراً ومدخراً .

ثم اعلموا - رحمني الله وإياكم - أن الله تعالى أمرنا بأمر بدأ فيه بنفسه فقال : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾(١) .....

* * *

(١) الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣٩ - الرجوع إلى الكتاب والسُنَّة (١)

(الخطبة الأولى)

الحمد لله رب العالمين .

﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ۝٩ ﴾(٢)

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له . كل عمل من خَلْقه ، وكل قدرة خاضعة لقدرته . هو الواحد القهار .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، بلّغ الرسالة كاملة غير منقوصة ، وأدى الأمانة بصدق ووفاء ، ونصح للأمة وأشفق عليها .

اللّهم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان واستقام .

أما بعد ..

فما أحوج الأمة المسلمة إلى الرجوع إلى اللّه فهو خالقها وربُها وناصرُها ، وأعتقد أن كل مسلم مخلصٍ يحس بهذا ، والرجوع إلى اللّه واضح بيِّن في نصوص الكتاب والسُنَّة . له طريق واحد وهو العودة إلى كتاب اللّه وسُنَّة رسوله ﷺ في مرافق الحياة كلها . وليس الأمر اختيارياً ولا نافلةً ، وإنما هو واجب الإيمان ، فكما أن المسلم يصلي ويصوم ويحج طاعة للّه . فكذلك يجب عليه التحاكم إلى

---

(١) ألقيت في ١٤١١/١٢/٢٣ هـ .

(٢) الرحمن : ٧ - ٩

كتاب الله وسُنّة رسوله ﷺ ، طاعة لله وتقرباً إليه . قال تعالى : ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾(١)

فمقتضى الإسلام : الاستسلام لأحكام الله . ومقتضى الإيمان : امتثال أوامر الله . فليس للمسلم أمر يخالف أمر الله . وليس له اتجاه يخالف منهج الله .

لقد كوّن النبي ﷺ - بوحي الله وإعانته وهدايته - أمةً مؤمنة منقادة لأحكام الله : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾(٢)

لقد أنشأ نبينا محمد ﷺ بهذا الدين أمةً طاهرة نظيفة في تصوراتها واتجاهاتها معتدلة في أقوالها وأفعالها . ذات مستوى رفيع وعظمة وسماحة وتصور للحياة والقيم . ذات تراحم وتعاطف وتآخي وتعاون . كالجسد الواحد وكالبنيان ، فكانت كما أراد بها أمة وسطاً شهيدة على الناس ، والنبي ﷺ عليها شهيد . تسلمت قيادة العالَم بوحي السماء وبالمنهج الرباني فقادت العالَم إلى العدل والتوازن . وحفظ الكرامات واحترام الحقوق وأداء الأمانات . إلا أن أعداء الإنسانية وأعداء العدل وأعداء الإسلام لما جاء الإسلام فاتهم من المصالح

---

(١) النور : ٤٦ - ٥١

(٢) الأحزاب : ٣٦

الدنيوية ما كانوا يتعاملون في المعاملات المالية ، كانوا يأكلون أموال الناس بالباطل ويستعبدون عباد الله وكانت لهم القيادة والسيادة . فصاروا يُبَيِّتُون للإسلام والمسلمين شراً ، ويتربصون بهم الدوائر . ووجدوا فرصاً ففصلوا المسلمين عن عقيدتهم الصحيحة وعن المنهج القويم وأبعدوهم عن مصدر قوتهم . وطبيعة هذا الدين الرفعة والعزة والقيادة ، لا يرضى أن يكون تابعاً في مؤخرة ركب الحياة مهجوراً . والقرآن والسُنَّة يعدان مَن عمل بهما بالعز والنصر والتمكين والسيادة ، والتاريخ يثبت أن المسلمين متى رجعوا إلى ربهم وإلى دينهم رجوعاً حقيقياً ، قولاً وعملاً ، في كل مرافق الحياة ومتطلبات الأمة ، في الفرد والجماعة والبيت والدولة ، رجعت إليهم عزتهم وكرامتهم وسيادتهم : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾(١) ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ﴾(٢) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ ﴾(٣) ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾(٤) ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾(٥)

روى الإمام أحمد والترمذي عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « إنها ستكون فتنة » فقلت : ما المخرج منها يا رسول الله ؟ قال : « كتاب الله .. فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم

---

(١) آل عمران : ١٢٣

(٢) التوبة : ٢٥

(٣) محمد : ٧

(٤) الحج : ٤٠ - ٤١

(٥) آل عمران : ١٦٠

وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، مَن تركه من جبار قصمه الله ، ومَن ابتغى الهدى في غيره أضله الله . وهو حبل الله المتين . وهو الذكر الحكيم . وهو الصراط المستقيم . هو الذي لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يَخْلَق مع كثرة الرد ، ولا تنقضي عجائبه ، هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا : ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ﴾(١) . مَن قال به صدق ، ومَن عمل به أُجِر ، ومَن حكم به عدل ، ومَن دعا إليه هُدِي إلى صراط مستقيم » .

وقيل : إن هذا القول موقوف على عليٍّ رضي الله عنه وهو كلام حسن صحيح .

ومَن أراد دليلاً معاصراً فلينظر إلى المملكة العربية السعودية لما حكم إمامنا بكتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر وأقام حدود الله وعدل ، بسط الله على هذه البلاد الأمن والرخاء والاستقرار . وفتح عليها كنوز الأرض وبركات السماء ، وأحاطها الخالق تعالى برعايته وعنايته ، فلا يريدها أحد بسوء إلا خَذَله الله وردّ كيده في نحره . ولم يُضْمر لها أحدٌ شراً إلا فضحه الله وأخزاه . ولم يحسدها أحد على نِعَم الله إلا مات بغيظه .

اللّهم لك الحمد ، أنت أهل الحمد على فضلك ونعمك وإحسانك ، وحمدنا من جودك وهدايتك .

فأخبرني - أيها المسلم - هل يوجد في العالم دولة تُحكم بما أنزل الله غير هذه المملكة ؟

هل يوجد دولة نظامها القرآن غير هذه البلاد ؟

هل يوجد دولة تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر ، وتقيم حدود الله غير هذه المملكة حرسها الله ؟

هل توحد المحاكم الشرعية في كل القضايا في غير السعودية أعزها الله ؟

---

(١) الجن : ١ - ٢

الجواب : لا يوجد .

وهذه سُنَّة اللّه في خلقه .. مَن آمن به ووحَّده وأخلص العبادة له وعمل بشريعته وضع له القبول وبسط له الرزق وحفظه وحرسه : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾(١) ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾(٢) .

وهناك دعاة سوء وضلال يخادعون ويَغُشُّون . يَضَعُون المنهج الإلهي في كفة ويضعون الاختراعات والصناعات المادية في الكفة الأخرى . ويقولون للناس : اختاروا ما شئتم ، إما الإيمان وشرائع الدين ولا صناعة ولا اختراع ، وإما الأخذ بثمار المعرفة والتخلي عن الإسلام . وهذا دس خبيث وتخطيط ماكر وتصديقه خطأ فاحش . إن الإسلام لم يكن عدواً للاختراع والصناعة . وإنما هو أساسها ويحث عليها في كل المجالات الحيوية : في الزراعة ، والصناعة ، وإخراج كنوز الأرض والاقتصاد والانتفاع بما خلق اللّه . وربط بين الإيمان والعمل والإنتاج : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾(٣) ﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾(٤) ﴿ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ﴾(٥) ﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ﴾(٦) ﴿ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ ﴾(٧) ﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾(٨) ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ ﴾(٩) ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ﴾(١٠)

(١) الأعراف : ٩٦
(٢) طه : ١٢٤
(٣) الصافات : ٩٦
(٤) النحل : ٨
(٥) النساء : ٥
(٦) البقرة : ٢٧٥
(٧) فاطر : ٢٧
(٨) الأنفال : ٦٠
(٩) الأنبياء : ٨٠
(١٠) المائدة : ٢

﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾[١] ، والخالق تعالى وهب الإنسان عقلاً وفكراً وطاقات إنسانية يدرك بها حاجاته ومتطلبات حياته . ويملك بها العمل والاختراع والإبداع والتجربة والمحاولة ، فالعقل الذي اخترع به المخترعون هو العقل الذي عند المسلم . والإسلام لا يمنع المسلم أن يعمل وينتج ويصنع ، بل إذا بدأ عمله باسم الله بارك الله له ، وإذا ذكر الله أثناء عمله وفقه الله لضبط عمله وإتقانه . وإذا ترك العمل دقائق معدودات لأداء الصلاة بارك الله له في وقت عمله .. والغذاء الروحي والراحة النفسية أهم من الغذاء والراحة البدنية ، وهذه الدعايات الماكرة جعلت بعض الناس ينبهرون من الصناعات وتقدُمها وتطورها وأثرها في حياة البَشر . وهي من عمل غير المسلمين ، فظن أنه لا علاقة بين الإسلام والتصنيع ، فوقع في نفسه تعظيم أولئك وتعظيم ما عملوا ، واحتقار المسلمين ودينهم : ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾ ﴾[٢]

فاتقوا الله . اللّهم بارك لنا في القرآن العظيم .....

* *

(١) الروم : ٧

(٢) الشعراء : ٢٢٧

٣٩ - إنما خُلِقَ الإنسان للعبادة

(الخطبة الثانية)

الحمد لله رب العالمين .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدى بهَدْيه واستنَّ بسُنَّته .

أما بعد ..

فأوصيكم وإياي بتقوى اللّه .

ثم تأمل أيها الإنسان مَن الذي خلقك ، ولأي شيء خُلِقت ، ومن أي شيء خُلِقت .

فاللّه كرَّم الإنسان وخلقه بيده وصوَّره فأحسن صورته . خلقه من تراب من جميع أجزاء الأرض . ثم عجنه بيده فصار طيناً ، ثم صوره ، ثم جففه فصار صلصالاً ، ثم نفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته المقرَّبين تكريماً وتعظيماً .

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ ﴾(١) ﴿ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾(٢) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ﴾(٣) ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾(٤)

---

(١) الحجر : ٢٨

(٢) سور ص : ٧٥

(٣) الحج : ٥

(٤) الحجر : ٢٩

وإنما خُلق الإنسان وكُرِّم وفُضِّل وأعطى مميزات لم تُعط غيره من مخلوقات الأرض . إلا ليعبد الله بما شرع الله : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ ﴾(١)

فاتقوا الله أيها المسلمون ، اعبدوا ربكم ووحدوه ، في ذاته وصفاته وأسمائه ، وأمره ونهيه وقدرته .

وأخلصوا له العبادة ، واحذروا وساوس إبليس ودسائس أعدائكم ، وعليكم بسُنَّة نبينا محمد ﷺ وسُنَّة الخلفاء الراشدين من بعده ، عضواً عليها بالنواجذ ، واعلموا أن الله تعالى أمرنا بأمر بدأ فيه بنفسه فقال تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾(٢)

* * *

(١) الذاريات : ٥٦ - ٥٧

(٢) الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٠ - من الإيمان الصلاة والذبح للّه [١]

(الخطبة الأولى)

الحمد للّه رب العالمين . أكمل ديننا وأتم علينا نعمته وهدانا للإسلام ، فللّه الحمد وهو أهل الحمد ، ولا يحمد أحد سواه .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له . بعث فينا رسولاً بالهدى ودين الحق . بشّر المؤمنين وأنذر الكافرين .

وأشهد أنّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله . اصطفاه وكرّمه وشرح صدره ورفع ذكره ، واتخذه خليلاً وكلّمه تكليماً . وأعطاه الكوثر والمقام المحمود .

اللّهم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدى بهَدْيه واتبع سبيله .

أما بعد ..

فإن الخالق تبارك وتعالى بيّن في سورة الكوثر جانباً من عناية اللّه بنبيه ﷺ والدفاع عنه . وتثبيت فؤاده : بسم اللّه الرحمن الرحيم ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣ ﴾[٢]

فالكوثر مشتق من الكثرة ، وهو مُطْلَق غير محدود . ولهذا اختلف المفسرون في معنى « الكوثر » على قولين ..

الأول : - وهو المشهور والمستفيض عند السَلَف والخَلَف - أنه نهر في الجنة .

---

(١) ألقيت في ١٤١٣/٥/٢٠ هـ .

(٢) سورة الكوثر كاملة .

الثاني : أنه عامٌ شامل لكل ما أعطاه اللّهُ نبيَه ﷺ ، فهو الكوثر الذي لا نهاية لفيضه ولا إحصاء لمدلوله ، يشمل كل ما يكثر من الخير ويزيد [١] .

فأدلة الجمهور . ما رواه مسلم [٢] رحمه اللّه عن أنس بن مالك رضي اللّه عنه قال : بينَّا رسول اللّه ﷺ بَيْن أظهرنا في المسجد إذ أغْفَى إغفاءة ثم رفع رأسه مُتَبسِّماً ، قلنا : ما أضحكك يا رسول اللّه ؟ قال : « لقد أُنزلت عليَّ آنفاً سورة فقرأها . ثم قال : « أتدرون ما الكوثر » ؟ قلنا : اللّه ورسوله أعلم . قال : « فإنه نهر وعدنيه ربي عَزَّ وجَلَّ ، عليه خير كثير ، هو حوضي ، ترد عليه أمتي يوم القيامة ، آنيته عدد النجوم في السماء ، فيُخْتَلَج العبد منهم فأقول : يا ربِّ إنه من أمتي ، فيقول : إنك لا تدري ما أحدث بعدك » [٢] .

وروى الإمام أحمد عن أنس رضي اللّه عنه قال : قال رسول اللّه ﷺ : « أعطيتُ الكوثر فإذا هو نهر يجري ولم يُشَق شقاً ، وإذا حافتاه قباب اللؤلؤ ، فضربتُ بيدي في تربته فإذا هو مسك أذفر ، وإذا حصباؤه اللؤلؤ » [٣] .

وروى البخاري [٤] عن عبد اللّه بن عمرو قال : قال النبي ﷺ : « حوضي مسيرةُ شهر ، ماؤه أبيض من اللبن ، وريحه أطيب من المسك ، وكيزانُه كنجوم السماء ، مَن شرب منه فلا يظمأ أبداً » .

وفي الصحيح عن ابن أبى مليكة عن أسماء بنت أبي بكر رضي اللّه عنهما قالت : قال النبي ﷺ : « إني على الحوض حتى أنظر مَن يرد عليَّ منكم ، وسيُؤخذ ناس دوني ، فأقول : يا ربِّ مني ومن أمتي . فيقال : هل شعرتَ ما عملوا بعدك ؟ واللّهِ ما بَرِحُوا يرجعون على أعقابهم » ، فكان ابن أبي مليكة

---

(١) تفسير ابن كثير : ٥٥٦/٤

(٢) ابن كثير : ٥٥٦/٤

(٣) فتح الباري : ٤٦٣/١١

(٤) مسلم : ٣٠٠/١ ، في كتاب الصلاة في « البسملة » .

يقول : اللّهم إنّا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا أو نُفْتَن عن ديننا [١] . والأحاديث في الصحيحين والسنن والمسانيد كثيرة . ولعله سمي النهر « كوثراً » لكثرة ما فيه من المنافع . كما قال صلى اللّه عليه وسلم في حديث أنس عند مسلم المتقدم : « عليه خير كثير » .

وأدلة أصحاب القول الثاني : ما رواه البخاري عن عبد اللّه بن عباس رضي اللّه عنهما قال : « الكوثر » الخير الكثير الذي أعطاه إياه . وقال سعيد بن جبير : النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه اللّه إياه [٢] . وقال بذلك ابن عباس وسعيد ابن جبير وعكرمة ومجاهد بن دثار والحسن البصري . حتى قال مجاهد : هو الخير الكثير في الدنيا والآخرة [٣] ، فيدخل تحت هذا التفسير كل ما أعطاه اللّه عَزَّ وجَلَّ لنبيه ﷺ من الكرامات والمعجزات ، فيشمل النهرَ والحوضَ والشفاعَة . والنبوة والقرآن والسُنَّة . والنصر والتمكين . وإخباره ببعض الغيبيات ، وذكرُ اسمه صلى اللّه عليه وسلم مع اسم اللّه ، والصلاة والسلام عليه ، وجعلُ طاعته طاعة للّه . وشمولُ رسالته وهيمنتها على ما قبلها ، وكونه آخر الأنبياء بعثة . وهو أولهم ذكراً ونعيماً .

وقد جمع اللّه تعالى لنبينا محمد ﷺ من الفضائل والمزايا والخصوصيات ما كان لجميع الأنبياء [٤] وكل هذه من الكوثر . وعلى هذا لقد وجده صلى اللّه عليه وسلم الكوثر في النبوة والقرآن والسُنَّة ، وفي كثرة الأتباع ، وفي الفضائل والخُلُق الحسن العظيم . وفي العلم ، وفي علماء أمته الذين يبلّغون رسالته ويدعون الناس إلى شريعته . وسيجده في المقام المحمود إن شاء اللّه .

---

(١) فتح الباري : ٤٦٦/١١

(٢) فتح الباري : ٤٦٣/١١

(٣) ابن كثير : ٥٥٨/٣٠ ، تفسير مجاهد (٧٩٠) .

(٤) تفسير الرازي : ١٢٥/٣١

والسورة دليل على أن شكر النعَم يكون بالتوحيد والإخلاص والتمسك بما جاء به النبي ﷺ بلا زيادة ولا نقصان .

ولهذا عقَّب بفاء السببية بعد نعمة الكوثر : ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ فإخلاص العبادة للّه واجب سواء في العبادات البدنية - وأعظمها الصلاة ، أو في العبادات المالية الاعتقادية - وأهمها النُسُك والنحر . فالذبح إذاً عبادة وقُربة يُتقرب بها إلى اللّه مثل الصوم والحج والصلاة . فحرام على المسلم أن يذبح لغير اللّه ، وحرام عليه أن يُقرِّب الكبش للسدنة قرباناً لموتى الصالحين ، وحرام على المسلم أن يذبح على أساس البناء لطرد العَيْن أو لدفع الشيطان . فإن الشيطان يتعاظم ويشيط إذا ذُبِحَ من أجله ، وإنما يُطرد بذكر اللّه وبالتوحيد وإخلاص العمل للّه .

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾(٢)

والذبح عند القبور والأنصاب من عادات المشركين .

وتخصيص الصلاة والنحر في السورة بالإخلاص والوحدانية للّه . لأنهما دالتان على القُرب والتواضع والافتقار وحُسن الظن وقوة اليقين وطمأنينة القلب إلى اللّه وإلى وعده .

والذي يذبح لغير اللّه مطرود من رحمة اللّه .

روى مسلم عن عليّ بن أبي طالب رضي اللّه عنه قال : حدَّثني رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم بأربع كلمات : « لعن اللّه مَن ذبح لغير اللّه . ولعن اللّه مَن لعن والديه . ولعن اللّه مَن آوى محدثاً . ولعن اللّه من غيَّر منار الأرض » .

فاللعن من اللّه البُعد والطرد من مظان الرحمة ، واللعن من الخلق السبب

---

(١) الكوثر : ٢

(٢) الأنعام : ١٦٢ - ١٦٣

والدعاء [١] . وذكر العلماء - رحمهم الله - أن ما ذبح بمناسبة مرور السلطان أنه مما أُهلَّ به لغير الله فيحرم أكله . فإذا كان ما يذبح لاستقبال السلطان تقرباً إليه محرَّماً لا يحل أكله وأنه مما أُهلَّ به لغير الله - مع أنه يُذكر عليه اسم الله - فكذلك ما ذبح من أجل الولي أو الصالح أو من أجل الجن أو الكواكب فهو حرام أُهلَّ به لغير الله وإن ذُكر عليه اسم الله . فهو حرام لا يؤكل .

وقوله في السورة : ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾[٢] : أي مبغضك يا محمد ومبغض ما جئتَ به ﴿ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾ : الأذل الأقل المنقطع ذكره . فكل أعداء الصادق الأمين - صلى الله عليه وسلم - انقطع ذكرهم وذلت نفوسهم وأصابهم من الحقارة والمهانة ما يليق بهم .

أما نبينا محمد ﷺ فقد بقى ذكره خالداً دائماً عالياً ، والحق الذى جاء به ممتد الفروع عميق الجذور .

إن الدعوة إلى الله وإلى الحق والخير والإصلاح - لا يمكن أن تكون بتراء ولا أن يكون صاحبها أبتر . لأنه موصول بالحي القيوم ، وإنما الأبتر هو الكفر والباطل وأهله . فمَن اتبع الموصول فهو موصول . ومَن رضى بالمبتور فهو مبتور .

فأوصيكم وإياي بتقوى الله . والتمسك بكتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ . ولا ينبغي للمسلم أن يستوحش إذا رأى قلة السائرين . وكثرة التائهين . فإنه متوجه إلى رب العالَمين .

اللَّهم بارك لنا في قرآننا . وانفعنا بما فيه من الآيات والبيان ، واغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

---

(١) فتح المجيد ص ١٤٥

(٢) الكوثر : ٣

٤ - بركة دعاء النبي ﷺ

(الخطبة الثانية)

الحمد لله رب العالمين ..

اللهم ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ۝٧ ﴾(١)

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا محمداً عبده ورسوله .

اللّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان واستقام .

أما بعد ..

فأوصيكم بتقوى اللّه . وبشكر نِعَم اللّه ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧ ﴾(٢)

روى البخاري رحمه اللّه في صحيحه عن جابر بن عبد اللّه رضي اللّه عنه قال : رأيت رسول اللّه ﷺ يوم الخندق وبطنُه معصوب بحجر (أي من الجوع) ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقاً . إلى أن قال : فقلت : يا رسول اللّه ، ائذن لي إلى البيت - وكانوا لا يبرحون أماكنهم حتى يأذن لهم حتى في قضاء الحاجة . أما المنافقون فكانوا يتسللون لواذاً - قال جابر : فقلت لامرأتي : رأيتُ بالنبي ﷺ شيئاً ما كان في ذلك صبر فعندك شيء ؟ فقالت : عندي شعير وعناق - وفي رواية أن الشعير صاع - فذبحتُ العناق وطحنتُ الشعير حتى جعلنا اللحم

---

(١) الفاتحة : ٦ - ٧

(٢) إبراهيم : ٧

بالبرمة ، ثم جئتُ النبي ﷺ والعجين قد انكسر والبرمة بين الأثافي - أي المناصب - قد كادت أن تنضج فقلت : طُعَيم لي فقم أنت يا رسول الله ورجل أو رجلان ، قال : « كم هو » ؟ فذكرتُ له فقال : كثير طيب ، قال : « قل لها لا تنزع البرمة ولا الخبز من التنور حتى آتي » .. فقال الرسول ﷺ لأهل الخندق : « قوموا » فقام المهاجرون والأنصار - وفي رواية كانوا ألفاً . قال صلى الله عليه وسلم : « ادخلوا ولا تضاغطوا » - وفي رواية : « ادخلوا عشرة عشرة » . فجعل صلى الله عليه وسلم يكسر الخبز ويجعل عليه اللحم ويخمر البرمة والتنور إذا أخذ منه ويقرِّب إلى أصحابه ثم ينزع ، وفي رواية : « أنه صلى الله عليه وسلم : بصق في البرمة وبارك . وفي العجين وبارك » ، فلم يزل يكسر الخبز ويفرق حتى شبعوا وبقي بقية . قال : « كل وأهد ، فإن الناس أصابتهم مجاعة » (١) .

أسوق هذا الحديث - وأمثاله - إلى إخواننا الذين نشأوا في النعمة ولا يعرفون ضدها .

إلى إخواننا الذين يسرفون في المأكولات فلا يتركون للنفس مسلكاً .

إلى إخواننا الذين يسرفون في المصروفات ويلقون بقايا اللحم والشحم والطعام في الزبالات .

اتقوا الله فتلك حال نبينا وصلحاء الأمة فاتقوا الله : ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ ﴾(٢)

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦ ﴾ (٣) .....

* * *

(١) البخاري برقم (٣٥٧٨) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه : ٥٨٦/٦ ، (الفتح) .
(٢) الأعراف : ٣١
(٣) الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤١ - تعيين الإمام ومبايعته من أصول الإيمان [١]

(الخطبة الأولى)

﴿ الْحَمْدُ للَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [١] .

بحكمته دبَّر أمور العباد . وبحُجَّته دمغ أهل الزيغ والفساد . وحمَّل أهل العلم الدعوةَ إلى الهدى والرشاد .

وأشهد أنْ لاَ إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له ، واحد في ذاته وفي أسمائه وصفاته وفي أمره ونهيه وتشريعاته . فهو الإله الحق ، وله الحمد في الآخرة والأولى .

وأشهد أنَّ سيدنا محمداً عبده ورسوله ، أُنزِلَ عليه الكتاب تبياناً لكل شيء ، وهدىً ورحمة للعباد .

اللّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدى بهَدْيه واتبع سبيله .

أما بعد ..

فإنَّ الدين لا يستقيمُ . والحدود لا تُقام . والأمور لا تُضبط إلا بسلطان يتولاها ويحرسها .

فالدين بالسلطان يقوى . والسلطان بالدين يبقى .

وبالسلطان تتألف الأهواء المختلفة . وبهيبته تنكف الأيدي المتسلطة . ومن

---

(١) ألقيت في : ١٤١٣/٦/١٧ هـ .

(٢) الفاتحة : ٢

خوفه تنقمع النفوس المعاندة . وبإقامة الحدود والتعزيرات تهدأ الشهوات الثائرة . والغرائز الشريرة ، قال أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه [١] : « الناس لا يصلحهم إلا الإمام ، براً كان أو فاجراً » . أي : إن كان براً صلحت الرعية بصلاحه . وإن كان فاجراً عبد المؤمن ربه . وحمل غير المؤمن إلى أجله .

والله تبارك وتعالى يدفع الناس بعضهم ببعض للإصلاح ودفع الفساد ، قال العليم الخبير : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ ﴾[٢]

وقال سبحانه : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾[٣]

فالإنسان لا يعيش وحده . ولا يستطيع أن يقوم بمصالحه كلّها فلا تتم إلا بالتعاون والاجتماع . وفي طبائع البشر واتجاهاتهم اختلاف . وفي رغباتهم تفاوت . فإذا اجتمعوا حصلت خلافات ومنازعات فيهيج الغضب وتثور الشهوات .

والسلطان يقيم شرع الله . وينفذ أحكام الإسلام . ويقيم الحدود وشعائر الدين .

ومواطن العبادات لا بد لها من حماية تمنع عنها الذين يصدون عن سبيل الله . وتحميها من المعتدين . فالإسلام آمرٌ والسلطان حارس ، ومَنْ لا أمير له فهو مهزوم ، وما لا حارس له فهو ضائع . والله سبحانه يدفع عن خلقه وأرضه الشرور والفساد ويحمي العبادات وأماكنها بالسلطان الصالح .

---

(١) جامع العلوم ص ١٨٩

(٢) البقرة : ٢٥١

(٣) الحج : ٤٠

قال بعض الحكماء [١] : السلطان زِمام الأمور ونظام الحقوق وقوام الحدود والقطبُ الذي عليه مدار الدين والدنيا . وهو حمي الله في بلاده وظله الممدود على عباده . به يمتنع المجرم وينتصر المظلوم ويأمن الخائف .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في « السياسة الشرعية » في آخرها : « يجب أن يُعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين ، بل لا قيام للدين إلا بها ، فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض ولا بد لهم عند الاجتماع من رأس » ...

إلى أن قال رحمه الله : « فالواجب اتخاذ الإمارة ديناً وقُربة يُتقرب بها إلى الله » ...

إلى أن قال : فإذا كان المقصود بالسلطان والمال هو التقرب إلى الله وإنفاق ذلك في سبيله كان ذلك صلاح الدين والدنيا ، وإن انفرد السلطان عن الدين ، أو الدين عن السلطان ، فسدت أحوال الناس » [٢] .

وليست منافع الإمام محصورة في عجالة من عرض الدنيا ولكنه : حَقْنُ الدماء . وصيانة الأعراض . وحراسة الأموال . وهذا نَفْع عظيم وخير كثير لمن عقل ورشُد .

وطاعة ولي الأمر واجبة بنص الكتاب والسُنّة ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [٣]

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله [٤] : والظاهر أن الآية عامة في كل أولى الأمر من الأمراء والعلماء ، وفي الحديث المتفق على صحته عن أبي هريرة

---

(١) الشهب اللامعة ص ٥٨

(٢) السياسة الشرعية ص ٢١٧

(٣) النساء : ٥٩

(٤) ابن كثير : ٥١٨/١

رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : « مَن أطاعني فقد أطاع الله ، ومَن عصاني فقد عصى الله ، ومَن أطاع الأمير فقد أطاعني ، ومَن عصا الأمير فقد عصاني » .

وقال القرطبي في التفسير [١] : أمر الله الرعية بطاعته أولاً . ثم بطاعة رسوله . ثم بطاعة الأمراء على قول الجمهور .

قال سهل بن عبد الله : وإذا منع السلطان العالِم أن يفتي فليس له أن يفتي فإن أفتي فهو عاص ، وإن كان أميراً جائراً .

وذُكر في مناقب أبي حنيفة رحمه الله أن والي الكوفة منعه من الفتيا فسألته ابنته عن مسألة فقال رحمه الله ، اسألي أخاك حماداً فإن الأمير منعني من الفتيا .

فطاعة ولي الأمر واجبة على الرعية فيما رضوا وكرهوا ، ما لم يأمر بمعصية فلا يُطاع فيها ، مع الاستمرار على طاعته في غيرها .

روي الإمام مسلم رحمه الله [٢] عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه عن النبي ﷺ وفيه قال : « تسمع وتطيع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع » [٣] .

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « مَن رأي من أميره شيئاً يكرهه فليصبر ، فإنه مَن فارق الجماعة شبراً فمات فميتته جاهليه » [٤] .

وفي حديث الحارث الأشعرى : « فإنه مَن فارق الجماعة فقد خلع رِبْقة الإسلام من عنقه » [٥] .

إن الخروج على طاعة ولي الأمر يسبب الفوضى والمفاسد والشرور ، وفي الصبر تكفير السيئات ومضاعفة الحسنات [٦] .

---

(١) القرطبي : ٣/٢٥٩

(٢) مسلم ٣/١٤٧٦ رقم (٥٢) .

(٣) مسلم : ٣/١٤٧٦

(٤) مسلم : ٣/١٤٧٧

(٥) أحمد : ٤/١٣٠

(٦) شرح الطحاوية ص ٤٢٨

ويُستحب الدعاء لولاة الأمر بالهداية والحماية والرعاية والصلاح والتوفيق والسداد . والإعانة والرشاد . قال القاضي عياض رحمه الله [١] : لو كان لي دعوةٌ مستجابةٌ لم أجعلها إلا في الإمام . وروي مثله عن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله .

فإذا صلح الإمام صلحت البلاد وأمنت العباد وتألّفت عليه الرعية ، فأكْثِروا أيها المؤمنون من الدعاء لإمامنا وأمرائنا وأعوانه .

ولا يجوز لمن وجد في نفسه شيئاً أن يدعو على ولاة الأمر ، فإن مَن استُحِب له الدعاء كُره الدعاء عليه . قال في العقيدة الطحاوية [٢] : ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا ، ولا ندعو عليهم ولا ننزعُ يداً من طاعتهم ، ونرى طاعتهم من طاعة الله .

ونحن بفضل الله في هذه المملكة العربية السعودية لم يؤمر أحد بمعصية - ولله الحمد - ولم يُنه عن طاعه .. بل تُحكَّم الشريعة وتُقام الحدود ، ويُؤمر بالمعروف ويُنهي عن المنكر ، ويُرغَّب في أفعال الخير .

ولهذا أعطانا الله هذا الأمن والرخاء والهدوء والاستقرار والتعاون على البر والتقوى ، والتلاحم والتآلف بين الراعى والرعية . نِعَمٌ متتابعة ، وخيراتٌ متوالية ، ولن يجد عدو مدخلاً ولن يجد حاسد في صفوفنا سبيلاً إن شاء الله تعالى .

فاتقوا الله أيها المؤمنون .. اشكروا نعَم الله واسألوه المزيد والتوفيق والثبات ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾[٣]

اللّهم بارك لنا في القرآن العظيم . اللّهم افتح بصائرنا لمعرفة الحق وقبوله . وأعذنا من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ومن الشيطان الرجيم .

واغفر لنا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

---

(١) السياسة النافعة ص ٦٣

(٢) شرح الطحاوية ص ٤٢٨

(٣) إبراهيم : ٧

٤١ - حال المسلمين المضطهدين

(البوسنة .. وفلسطين)

(الخطبة الثانية)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١) . له العزة ولرسوله وللمؤمنين .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فإن واقع المسلمين في كثير من البلاد محزن مؤلم . نرى القُوَى الكافرة قد تضافرت ضد المسلمين وفرَّقتهم طوائف وملاً وأحزاباً وشيعاً .

فلما تحركت الصحوة الإسلامية خاف أعداء المسلمين من هذه الصحوة فأخذوا يؤذون المسلمين ويعذبونهم بأنواع العذاب ، يقتلونهم ويشردونهم من بلادهم وينتهكون حرماتهم لئلا تقوم للإسلام قائمة .

تأملوا حال إخواننا في البوسنة والهرسك مع الصليبيين الصرب الظلمة المعتدين : يقتلونهم جَماعياً بما فيهم النساء والأطفال . وحاصرتهم القُوَى الماكرة عن المدد والإعانات .

---

(١) الفاتحة : ٢

تأملوا حال إخواننا في فلسطين مع الصهاينة : ذل وإهانة . فاليهود يبنون للقادمين عليهم مستعمرات ، وأهل البلد المسلمين يُشرَّدون ويُطارَدون ، وجعل مَن بقى في المخيمات مع شدة البرد وضعف الحال وقلة ما في اليد .

تأملوا حال إخواننا في كشمير والهند مع عُبَّاد النار ، قتلوهم ومثَّلوا بهم وهدموا مسجداً لجعله معبداً للنار . ويأبى الله ذلك إن شاء الله .

تأملوا حال إخواننا الأفغان ، بعد كفاح مرير وجهاد طول وعند قرب الانتصار دخلتهم العناصر الفاجرة والدخائل الماكرة فأوضعوا خلالهم ، فكرَّ بعضهم على بعض .

تأملوا حال الأقليات المسلمة في العالَم .

وما من بلد إسلامي إلا وفيه دَخن وحركاتٌ معادية للإسلام والمسلمين .

ومن المؤسف أن هناك مَن يلبس ثوب الإسلام ويحمل شعار الإسلام ولكنه يطعن من الخلف في قلب الإسلام . فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون ، وهو حسبنا ونِعْمَ الوكيل .

والحل الوحيد هو الحل الذي اتبعه نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم وأصحابه وخلفاؤه . الرجوع إلى الله حقيقة . والدعوة إلى الله وتوحيده والعمل بشريعة الإسلام .

أما بقاء بعض المسلمين لا فرق بينهم وبين أعدائهم : في الاعتقاد ، والعادات ، واللباس ، والسلوك ، والعبادات . فهو أساس المصائب . فاتقوا الله أيها المسلمون .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾[1] .....

* * *

(١) الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٢ - المقارنة بين النعم وضدها [١]

(الخطبة الأولى)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [٢] .

له مُلك السموات والأرض . ومَن يعتصم باللّه فقد هُدِيَ إلى صراط مستقيم .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاّ اللّه وحده لا شريك له ، أسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة . ونسأله المزيد من فضله وشكر آلائه .

وأشهد أنّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله . إمام المتقين وقدوة الشاكرين وقائد الغرّ المحجلين .

اللّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدي بهَدْيه وعمل بسُنّته .

أما بعد ..

فكثيراً ما يَمْتَنُّ اللّه تعالى على خلقه بالنعم ويذكرهم بالحالات الرديئة التى اختيرهم بها وبذكْر الضد تَبينُ الحقائق ، قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [٣]

﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ

(١) ألقيت في ١٤١٣/٦/٢٤ هـ .

(٢) الفاتحة : ٢

(٣) المائدة : ١١

﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾ ﴾(١)

﴿ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾(٢)

﴿ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾(٣)

إن المقارنة بين النعَم وضدها يفتح آفاق التفكير . ويُعَرِّفُ بقيمة النعمة ويحث العاقل على شكرها والمحافظة عليها .

كانت هذه البلاد قبل الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ، نسأل الله أن يغفر له وأن يَرْحمه وأن يسكنه فسيحَ جناته وأن يجزيه عن هذه البلاد وأهلها بما يجزي به المصلحين والمحسنين .

كانت البلاد قد غَلَبت عليها الفوضى وتغيَّرت فيها الأوضاع وانفلت فيها زمام السُلطة . فكانت الغارات والقتل والسلب والنهب وكل فرد أو مجموعة تفخر بما تفعله . فلا سلطان يردع ولا وازع من الدين والتقوى يمنع .

يؤخذ المسافر فيُسلب كل ماله حتى ثوبه الذي يستر عورته يؤخذ ويُترك أملطاً وإن عاند قُتِل . وكانت الحالة الاقتصادية في الجملة ضعيفة ، فبعض الناس لا يجد قوته ولا يضيء في منزله مصباح . وكانت المواصلات صعبة والطرق وعرة ، وكانت الديانة في بعض الجهات مدخولة . يتعلقون بالأشجار والأحجار والقبور .

فلما أراد الله بهذه المملكة خيراً ورفع مستواها في كل المجالات ، أيقظ الله الملك عبد العزيز رحمه الله ووجّهه وجهة الخير والإصلاح ، فشمر عن ساعد الجد

---

(١) البقرة : ٢٣١

(٢) الأنفال : ٢٦

(٣) الأعراف : ٨٦

والعمل . وجانب الراحة والكسل ، ورفع راية الإيمان والتوحيد « لا إله إلاّ اللّه محمد رسول اللّه » ، ثم دعا الناس إلى تحقيق الدين . وإخلاص العمل للّه والاعتصام بحبل اللّه ، وجمع الشمل وتوحيد الصف والهدف ، والتآخي في اللّه ، فاستجاب له أهل الإيمان والتقوى فشع نور الإيمان وتحركت المشاعر إلى اللّه والْتَفُّوا حول راية الحق والتوحيد ، فأيّده اللّه ونصره ومكّنه في أرضه فوحّد أطراف المملكة وجمع شتاتها سائراً على شريعة نبي الرحمة ورسول الهداية صلى اللّه عليه وسلم ، فجعل القرآن دليله والسُنّة سبيله . فنظم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونصب القضاة والأئمة وأوصاهم بتقوى اللّه والنصح لكل مسلم ، وبسط العدل ورفع الظلم ، فألّف اللّه القلوب عليه وجمع اللّه به الشمل .

وفتح اللّه عليه بعض كنوز الأرض ووسع له في الرزق : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[1] ولم ينْسَ رعيّته ففعل ونظم ورتب ما في وسعه . وبفضل اللّه ثم بفضل تحكيم الشريعة وإخلاص القصد والعمل للّه صارت هذه المملكة في أمن واستقرار وراحة وهدوء ورخاء ، يقصدها الناس من كل مكان . اللّهم لك الحمد لا نحصى ثناءً عليك .

وسار ابناء عبد العزيز على طريقته متمسكين بكتاب اللّه وسُنّة رسوله ﷺ .

ولما تحسنت الأحوال الاقتصادية توسع التعليم في جميع المراحل والتخصصات . وفتحت المستشفيات على أعلى المستويات . ودخل الماء في كل بلد . والكهرباء والعلاج في كل قرية ، وعُبّدت الطرق . وتَيَسّرت المواصلات والاتصالات .

فصار الناس يتعالمون بدخول شهر رمضان ويوم الحج في زمن وجيز ، وصارت المواعظ والتذكرة ودعوة الخير والإصلاح تصل إلى مَن أرادها في بيته .

كما فتحت الدولة صناديق القروض البنكية والاستثمار والزراعة . والصناعة . والحيوانات . وغير ذلك من القروض والمساعدات فإن كان هناك إهمال أو تقصير

---

(١) الأعراف : ٩٦

فهو من المسئولين المباشرين . والإنسان معرَّض للخطأ والزلل ولا مَعْصُوم إلا مَن عصمه اللّه . فلا يوجد في العالم دولة تَحكم بما أنزل اللّه إلا المملكة العربية السعودية ، ولا أعرف دولة تعطف على شعبها وتحرص على مصالحه ورفع مستواه العلمي والاقتصادي مثل هذه المملكة أدام اللّه عزها وتوفيقها . وكفي المرء نبلاً وشرفاً أن تكون أخطاؤه وعيوبه معدودة . ولا يوجد بلد فيها الأمن كما هو عندنا ، وهى الداعية وحدها لكتاب اللّه وسُنَّة رسوله ﷺ وهى المرجع للعالَم الإسلامي والسند القوي . إن هذه المملكة محسودة على نِعَم اللّه . مغبوطة بما أتاها اللّه .

لذلك فإن أعداء الإسلام يدسون الدسائس : ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾(١) يحاولون إطفاء نور اللّه ويأبى اللّه إلا أن يتم نوره . يحاولون التفريق وتشويه الحقائق . والحق يعلو ولا يعلى عليه .

فاتقوا اللّه أيها الناس ، اشكروا نِعَم اللّه . واحذروا دسائس الأعداء وابتعدوا عن الخلاف . فإن التفرقة سبب للفشل والخذلان .

كونوا عباد اللّه إخواناً وتناصحوا بينكم سراً ، فإن مَن نصح أخاه سراً فقد نصحه ، ومَن نصحه جهاراً فقد وبخه ، واجعلوا عملكم خالصاً لوجه اللّه . فالحب في اللّه والبغض للّه . فمَن كانت وجهته إلى الدنيا صار معادياً لأكثر الخلق . ومَن كانت وجهته إلى طاعة اللّه لا يعادي أحداً لأن الدنيا تضيق بقاصديها فتحصل المشاحة .

أما طاعة اللّه فكلٌ يعمل ولا مضايقة . وصراط اللّه يتسع للسالكين . روي مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال : قال رسول اللّه ﷺ : « إنَّ اللّه يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً ، يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به

شيئاً . وأن تعتصموا بحب الله جميعاً ولا تفرقوا . ويكره لكم ثلاثاً : قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال » .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ﴾(١)

اللهم بارك لنا في القرآن العظيم وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم .

* *

(١) الكهف : ٤٥

٤٢ - بعدل السلطان تتوفر الخيرات

(الخطبة الثانية)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَلَمِينَ ﴾ (١) .. ربُّ كل شيء ومليكه .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له . حثَّ على الاتفاق ونهى عن الفُرقة والشقاق .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله . أمر بالاعتصام وحثَّ على الأخوة والوئام .

اللّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن اتبع سبيله .

أما بعد ..

فأوصيكم وإياي بتقوى اللّه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ (٢) ، فالتقوى يبلغ بها المؤمن أداء حق اللّه بامتثال أمره واجتناب نهيه . وأداء حق ولاة الأمر بالسمع والطاعة في المعروف . فبالسلطان توفر الخيرات وبه تُزال المكروهات . وتُكف الأيدي الشريرة . وتُقْمع النفوس الخبيثة . وبه يُحفظ الأمن . وتحقن الدماء وتصان الأموال والأعراض .

روى مسلم رحمه اللّه عن عبد اللّه بن عباس رضي اللّه عنه قال : قال

---

(١) الفاتحة : ٢

(٢) آل عمران : ١٠٢ - ١٠٣

رسول الله ﷺ : « مَن رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر فإنه مَن فارق الجماعة شبراً فمات فميتته جاهلية » (١) .

فمَن خرج عن طاعة الإمام فقد فارق الجماعة وانفلت من حبل الله وخالف أمر الله والرسول ﷺ مثل الخوارج الذين يسألون عن دم الذباب في المسجد تَورُّعاً ويقتلون ابن بنت النبي ﷺ فاستحلوا دم الحسين رضي الله عنه .

الخوارج الذين ينتقدون المكروهات . ويستحلون الدماء المعصومة التي حرَّمها الله فقتلوا خليفة رسول الله ﷺ عثمان بن عفان رضي الله عنه .

نسأل الله العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدنيا والآخرة ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، ومن الشيطان الرجيم ومن وساوسه ودسائس أوليائه .

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾(٢)

* * *

(١) مسلم : ٣/١٤٧٧

(٢) الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٣ - طاعة ولي الأمر [١]

(الخطبة الأولى)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [٢] .

ومَن يعتصم باللّه فقد هُدِيَ إلى صراط مستقيم .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاّ اللّه وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير .

وأشهد أنّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله : ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ ﴾ [٣]

اللّهم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن سلك سبيله بإيمان واحتساب .

أما بعد ..

فإن الأحداث توقظ الهمم وتنبه العقول وتحرك النفوس للرجوع إلى اللّه تعالى والالتجاء إليه والانكسار بين يديه . وأداء شرائعه وإخلاص العبادة له وملازمة طاعته وطاعة رسوله ﷺ ، فاكثروا - إخواني - من ذكر اللّه ومن دعائه والتضرع إليه : ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾

---

(١) ألقيت في ١٤١١/٥/١٣ هـ .

(٢) الفاتحة : ٢

(٣) النساء : ٨٠

﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾(١) ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾(٢) ، فالدعاءُ مخ العبادة ، وليس شيء أكرم على اللّه من الدعاء . ولا يَرُد القضاء إلا الدعاءُ فهو ينفع مما نزل ومما لم ينزل . ومَن فُتِح له باب الدعاء فُتح له باب الرحمة . وأفضل العبادة ملازمة الدعاء وانتظار الفرج من اللّه ، فاسألوا ربكم حوائجكم كبيرها وصغيرها عاجلها وآجلها ، ولو يعلم الناس ما لذكر اللّه من منزلة وثواب لما فترت ألسنتهم عن ذكر اللّه ، فذكرُ اللّه أكبر من كل شيء . يحيي القلوب ويُنَورها ، ويزكي النفوس ويُسْعدها . فأكثروا من ذكر اللّه والثناء عليه .. عظّموا الكبير المتعال وسبِّحوا الملكَ القدوس . واحمدوا الجواد الكريم . أكثروا من قول لا إلَهَ إلاّ اللّه وحققوا معناها . فإنها ترجح بالسموات والأرضين ومَن فيهن وهي مفتاح الجنة . وهي البطاقة التي ترجح في الميزان وتَطيشُ بالسيئات . وهي أساس دعوة الرسل أجمعين . وهي سَفِينة النجاة في الدنيا والآخرة . « لا إلَهَ إلاّ اللّه محمد رسول اللّه » .

« سبحان اللّه ، والحمد للّه ، ولا إلَهَ إلاّ اللّه ، واللّه أكبر » .

إن ذكر اللّه : خيرُ الأعمال وأزكاها . وأعظمُ منزلة عند اللّه وأعلاها . الذكر خير للمسلم من إنفاق المال وخير له من القتل والقتال في سبيل اللّه . فاجعلوا ألسنتكم رطبة من ذكر اللّه . كل كلام بني آدم عليه لا له إلا أمرٌ بمعروف أو نهيٌ عن منكر أو ذكرُ اللّه .

ولكل شيء صُقاله ، وصُقالة القلوب ذكر اللّه ، يجلو عنها الران والغفلة ، واللّه تعالى يباهي ملائكته بالذاكرين اللّه كثيراً والذاكرات .

---

(١) الأعراف : ٥٥ - ٥٦

(٢) غافر : ٦٠

إن الأحداث توجب على المسلمين التآخي والتآلفَ والتراحمَ والتعاطفَ . والعملَ والتكاتفَ والنظرَ في النتائج والعواقب . وإدراك الواقع والحقائق ، وإحساس كل واحد بشعور الآخر : « مَثَلُ المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثلُ الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » (١) .

ولا ينبغي أن تكون الخلافات في أحكام الحوادث سبباً للفُرقة وقطع الأخوة . وانفصام المودّة . فكان الصحابة رضي اللّه عنهم يختلفون في أحكام الحوادث وهم مع ذلك متآلفون متحابون متعاونون يُحب كل واحد منهم للآخر ما يحب لنفسه . والقول الفصل في كل مسألة وحادثة لكتاب اللّه وسُنّة رسوله ﷺ فهُما المرجع في كل خلاف : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ (٢) ، قال القرطبي : لما أمر اللّه تعالى في الآية التي قبل هذه : ولاة الأمر بأداء الأمانات وأن يحكموا بين الناس بالعدل ، أمر في هذه الآية الرعيةَ بطاعته تعالى أولاً وهي امتثال أوامره واجتناب نواهيه . ثم بطاعة رسوله ﷺ ثانياً فيما أمر به ونهى عنه . ثم بطاعة الأمراء ثالثاً .

فطاعة ولي الأمر في المعروف واجبة على كل مسلم ، والتعاون مع الإمام فيما فيه مصلحة راجحة واجب . والاختلاف على الإمام ومنازعته حرام . ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال : قال رسول اللّه ﷺ : « مَن أطاعني فقد أطاع اللّه ومَن عصاني فقد عصى اللّه ، ومَن يطع الأمير فقد أطاعني ومَن يعص الأمير فقد عصاني » (٣) .

---

(١) رياض الصالحين ص ١٠٩

(٢) النساء : ٥٩

(٣) المشكاه برقم : ٣١٦/٢ - كتاب : الإمارة ، وقال : متفق عليه .

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « مَن كره من أميره شيئاً فليصبر فإنه مَن خرج من السلطان شبراً مات ميتة جاهلية » (١) (متفق عليه) .

وروى الترمذي بسند حسن عن أبي بكرة رضي الله عنه قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مَن أهان السلطان أهانه الله » (٢) ، الإمام حماية ودرع وجُنَّة لإخوانه في الله ، يتحمل عنهم الأعباء ، والمشقة ، والعناء ، يتْعَب ليرتاحوا ، ويسهر لينام وا ، ويعملُ ليسعدوا ، ويكدح لتحصيل متطلباتهم ، ويجتهد في دفع الأذى والخطرِ عنهم ، والإمام أعرف بمسئولياته ، وأعلم بمصالح شعبه وبلاده ، وخبيرٌ بتحقيق المصالح ودرء المفاسد وأعرف بحال الشعوب الأخرى والحكومات . فيجب علينا أن نحبه لله ومن أجل الله ، وأن نقف وراءه وأن نشد عضده وأن ننصح له من صميم قلوبنا وبكل إمكانياتنا ، يجب علينا أن نكون مع الجماعة فإن يد الله مع الجماعة ومَن شذَّ شذ في النار : ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾(٣) ، قال في الجامع لأحكام القرآن : ولا تفرَّقوا متابعين الهوى والأغراض المختلفة ، وكونوا في دين الله إخواناً ، فيكون ذلك مانعاً لهم من التقاطع والتدابر .

وقال الحافظ ابن كثير : أمرهم بالجماعة ونهاهم عن الفُرقة . وقد وردت أحاديثٌ متعددةٌ بالنهي عن التفرق والأمر بالاجتماع والائتلاف كما في صحيح مسلم من حديث سهل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنهم أنَّ رسول الله ﷺ قال : « إنَّ الله يرضى لكم ثلاثاً ويسخط لكم ثلاثاً . يرضى لكم : أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً . وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا .

---

(١) رياض الصالحين ص ٢٦١ ، باب : وجوب الطاعة .

(٢) رياض الصالحين ص ٢٦١ ، وقال : رواه الترمذي ، وقال : حديث حسن .

(٣) آل عمران : ١٠٣

وأن تُناصحوا مَن ولاه أمركم . ويسخط لكم ثلاثاً : قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال . وقد ضُمِنَتْ لهم العِصمة - عند اتفاقهم من الخطأ » [١] .

واعلم أخي المسلم أن لك ولدينك خصوماً وأعداءً . ولك ولإخوانك حسَّاداً يحسدونكم على نعمة الإسلام وتحكيم شرع الله . وحساداً على هذا الأمن والرخاء . والهدوء والاستقرار . يحاولون سلب النعمة فتكونون أنتم وهم سواء ، يحاولون بكل وسيلة تفريقَ الجماعة وتشتيتَ الشمل وتمزيقَ الأخوة وقطعُ حبلِ التُّرابُط بين المسلمين وقياداتهم . فكن أخي المسلم كيِّساً فَطِناً . حذراً . لا تترك مجالاً للإرجافات والدعايات . واحذر كلمة « يقولون » ، فبئس مطية الكذب « زعموا » ، ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [٢]

فعليك بالتثبت . فقُل عن يقين . وأنْهَ عن يقين ، وإذا حصل خلاف في مسألة من المسائل أو في حكم حادثة من الحوادث فمرده إلى كتاب الله ورسوله : ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ ﴾ [٣]

واعلم أخي أن لكل مقام مقالاً ولكل نقاشٍ أسلوباً ولكل دعوة سبيلاً : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾

فإذا كان المدعو عنده بعض الجفاء والاعتراض يُدْعى بالحكمة والموعظة الحسنة . بالآيات والأحاديث والدلائل الموضحة للحكم الشرعي . والمرغبةِ في طاعة الله

---

(١) مسلم : ٣/ ١٣٤٠ رقم (١٠) كتاب : الأقضية ، النووي : ١٢/ ١٠

(٢) الإسراء : ٣٦

(٣) الشورى : ١٠

(٤) النحل : ١٢٥

وطاعة رسوله ﷺ وبالوعد والوعيد . وإذا كانت عنده شبهة فيُجادَل بالتي هي أحسن ولا يُغلَط عليه في القول . ولا يُعنف ولا يقبح . ولا يشهَّر به ولا تُحاوَلُ إهانته ولا التنقيصُ من شأنه ، بل تُكشف الشبهة وتُوضح الأدلة بأسلوب لين حسن ، فالقول اللين لا يثير العزة بالإثم ولا يهيج المعاندة ، بل من شأن القول اللين اللطيف والأسلوب الحسن إيقاظُ القلب من السكرة وحذبُه من الصدود والغفلة فيتذكر بالذكرى وينتفع بالمواعظ . فيخَشْى العواقب الرديئة والنتائج السيئة .

تأمل أخي المسلم أسلوب القرآن في الدعوة ، قال تعالى لموسى وأخيه : ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾(١)

ومَن هو فرعون ؟ أخبث خلق الله واطغى البَشر وأكفر مَن وُجِد على وجه الأرض ، فدُعي بهذا الأسلوب لعله يتذكر أو يخشى . ورغَّبه في قبول الحق فقال : ﴿ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ ﴾(٢)

هذا أسلوب الدعوة . وهذا طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . الهدف الإصلاح . والهدف إنقاذ الإنسان من التهلكة ، لا للتشفي ولا للانتصار ، ولا للإعجاب والغرور .

فاتقوا الله عباد الله ، وكونوا عباد الله إخواناً .

اللّهم بارك لنا في القرآن العظيم .

* *

---

(١) طه : ٤٣ - ٤٤

(٢) طه : ٤٧

٤٣ - النصح حقٌ للمسلم على المسلم

(الخطبة الثانية)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾[١] .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدى بهَدْيه .

أما بعد ..

فأوصيكم وإياي بتقوى اللّه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ۝٧١ ﴾[٢] .

واعلموا أن النصح قاعدة من قواعد الإسلام وحق للمسلم على أخيه المسلم وحق للوالي على شعبه وحق لهم عليه ، فهو أمانة في الأعناق ، يجب أداؤها نصحٌ في الولاء ونصحٌ في الأخوه ، ونصحٌ في الرعاية . والنصح ضد الغَدْر وضد الخيانة ، وضد الغش ، وضد الغيبة والنميمة ، فما من نبي إلا وهو ناصح لأمته . وما من شيطان إلا وهو غاش لقرينه . وصاحب موسى أخبره بأن الملأ أجمعوا على قتله وأمره بالخروج فَنَجَى منهم بسبب تلك النصيحة .

وإبليس - أعاذنا اللّه جميعاً منه - قال لآدم وحواء - وهما في الجنة :

---

(١) الفاتحة : ٢

(٢) الأحزاب : ٧٠ - ٧١

مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾[1] . وحَلَفَ لهما أنه ناصح ، وهو يعلم في قرارة نفسه أنه كاذب عليهما وأنه خادع وغاش لهما . وإنما أراد أن يوقعهما في معصية اللّه ليخرجهما من الجنة فيكونون سواء .

وإخوة يوسف طلبوا من أبيهم خروج يوسف معهم إلى البرية ليلعب ويمرح ، وزعموا بأنهم له ناصحون ، وهم يعلمون في قرارة أنفسهم أنهم كاذبون في دعواهم ، وأنهم أرادوا إبعاده عن وجه أبيه إما بالقتل أو إلقائه في غَيابة الجب . ومن مكرهم زعموا بأن الذئب أكله حتى لا يرسل أبوه مَن يبحث عنه .

وهكذا الجلساءُ والندماءُ والأصدقاءُ ، منهم ناصح حقيقة ومنهم مَن يظهر النصح ويخفى ضده ، واللّه تعالى مُطَلِّع على الضمائر والسرائر ، والنوايا والمقاصد .

فاتقوا اللّه أيها المؤمنون .

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾[2]

* * *

(١) الأعراف : ٢٠

(٢) الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٤ - الجماعة قوة ومنعة [١]

(الخطبة الأولى)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَلَمِينَ ﴾ [٢] .

جعل في كل أمة إماماً يتحمل المسئوليات والأعباء والتبعات ، يُتَّقى به ويُدفع به الأعداءُ والأخطار ، يقيم العدل ويدفع الظلم وينظر في المصالح .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له . أمر بالجماعة وحثَّ على السمع والطاعة . ونهى عن الفُرقة والاختلاف .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ما بعث سرية إلا أمَّر عليهم واحداً منهم . وأمرهم بطاعته ونهاهم عن الشقاق .

اللّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد نبي الرحمة ، شفيع الأمة . وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان وسار على نهجهم واستقام .

أما بعد ..

فبفضل اللّه وبرحمته جَمَع قلوب المؤمنين وألّف بينها من عهد النبوة إلى أن تقوم الساعة ، لا يَضُرهم مَن خذلهم ولا مَن خالفهم لأنهم معتصمون بحبل اللّه متمسكون بكتاب اللّه وسُنَّة رسوله ﷺ ، يشُدهم الترابط والتعاون والسمع والطاعة لولاة أمورهم . فحرسهم اللّه برعايته وتوفيقه ويسَّر أمورهم وحماهم من كيد الحاسدين .

---

(١) ألقيت في ١٤١٢/٦/٧ هـ .

(٢) الفاتحة : ٢

ولما كانت الطاعةُ مرتبطةً بالجماعة والاعتصام ، أمر اللّه تعالى وأمر رسوله ﷺ بلزوم الجماعة والاعتصام بحبل اللّه . ونهى عن الفُرقة . لأن الجماعة قوة ومَنَعه . والفُرقةَ فشلٌ وهلكة . قال تعالى ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾(١) وقال جَلَّ جلاله : ﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾(٢).

فمتى تمسكت الأمة بكتاب ربها . وعضّت على سُنّة نبيها ، والتفّت حول ولي أمرها . فهي مؤمنةٌ معتصمةٌ بحبل اللّه ملازمة لجماعة المسلمين . فطاعة ولي الأمر من طاعة اللّه . ومن طاعة رسول اللّه ﷺ . لأن اللّه أمر بطاعة ولي الأمر في محكم التنزيل . وأمر صلى اللّه عليه وسلم بطاعته في صحيح المنقول . قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾(٣)

روي عن عليّ بن أبي طالب رضي اللّه عنه أنه قال : حقّ على الإمام أن يحكمَ بالعدل ويؤديَ الأمانة ، فإذا فعل ذلك وجب على المسلمين أن يطيعوه .

وقال سهل بن عبد اللّه : لا يزال الناس بخير ما عظّموا السلطانَ والعلماءَ ، فإذا عظّموا هذين أصلح اللّه دنياهم وأخراهم ، وإذا استخفوا بهذين أفسد اللّه دنياهم وأخراهم .

أولو الأمر هم الأئمة والأمراء .

قال ابن جرير الطبري : « فإذا كان معلوماً أنه لا طاعة واجبةً لأحد غير اللّه أو رسوله أو إمام عادلٍ وكان اللّه قد أمرنا بقوله تعالى : ﴿ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ

---

(١) آل عمران : ١٠٣

(٢) آل عمران : ١٠١

(٣) النساء : ٥٩

وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِى الأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ بطاعة ذوي أمرنا ، كان معلوماً أن الذين أمر الله بطاعتهم - تعالى ذكره - من ذوي أمرنا هم الأئمة ومَن ولاَّه المسلمون دون غيرهم من الناس .

وقال القرطبي : لما أمر الله تعالى الولاةَ في الآية المتقدمة بأداء الأمانات وأن يحكموا بين الناس بالعدل ، أمر تعالى في هذه الآية بطاعته أولاً . وطاعة رسوله ثانياً . ثم بطاعة الأمراء ثالثاً .

وقال ابن كثير : الآية عامة في كل أولي الأمر من الأمراء والعلماء . وصحت الأخبار عن رسول الله ﷺ بالأمر بطاعة الأئمة والولاة فيما كان لله طاعةً . ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ : « مَن أطاعني فقد أطاع الله ، ومَن عصاني فقد عصى الله . ومَن يطع الأمير فقد أطاعني ، ومَن يعص الأمير فقد عصاني ، وإنما الإمام جُنَّةٌ يُقاتَل من ورائه ويُتقى به ، فإن أمر بتقوى الله وعدل فإن له بذلك أجراً ، وإن قال بغيره فإن عليه منه » [(١)] .

وروي البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال : « اسمعوا وأطيعوا وإن استُعْمل عليكم عبدٌ حبشي كأن رأسه زبيبة » [(٢)] .

وفي الحديث المتفق عليه عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « مَن رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر فإنه ليس أحدٌ يفارق الجماعة شبراً فيموت إلا مات ميتة جاهلية » [(٣)] .

---

(١) المشكاة : ٣١٦/٢ ، كتاب الإمارة ، وقال : متفق عليه - مسلم : ١٤٦٦/٣ رقم (٣٢) ، وفي رواية : « مَن أطاع أميري فقد أطاعني ومن عصى أميري فقد عصاني » رقم (٣٣) .

(٢) البخاري في الصحيح : ٧٨/٩ باب « السمع والطاعة » ، ورواه مسلم : ١٤٦٨/٣ رقم (٣٧) بلفظ : « عبد حبش مجدع الأطراف » .

(٣) البخاري في الصحيح : ٧٨/٩ باب « السمع والطاعة » .

الجاهلية ما قبل الإسلام . فمَن مات في الجاهلية فليس له إمام وقيل : بلا إسلام ، وكذلك الذي يفارق الجماعة ويشق الطاعة ولم يتُب حتى مات فهو كالذي مات في الجاهلية . فالسمع والطاعة لولي الأمر من أصول الإسلام يجب التمسك بها في المنشط والمكره . ولا تتوقف على الرغبة والهوى ولا على المحبة والرضا .

وأخبر صلى الله عليه وسلم أنه ستكون بعده أثرة وأمورٌ تُنكر ، وأمر عليه الصلاة والسلام بأداء الحق وسؤال الله ما فات .

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال لنا رسول الله ﷺ : « إنكم سترون بعدي أثرة وأموراً تنكرونها » ، قالوا : فما تأمرنا يا رسول الله ؟ قال : « أدوا إليهم حقهم وسلوا الله حقكم » [١] .

روي مسلم عن وائل بن حُجر رضي الله عنه قال : سأل سلمة بن زيد رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا نبي الله ، أرأيتَ إن قام علينا أمراءُ يسألون حقهم ويمنعونا حقنا فما تأمرنا ؟ قال : « اسمعوا وأطيعوا فإنما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم » [٢] .

والتمسك بالبيعة والثباتُ عليها واجب امتثالاً لأمر الله وأمر رسوله ﷺ .

روي مسلمٌ عن عبد الله بن عمر قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « مَن خلع يداً من طاعة لقى الله يوم القيامة ولا حُجَّة له . ومَن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية » [٣] .

اتقوا الله أيها المسلمون .. اعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، والزموا

---

(١) مسلم : ١٤٧٢/٣ رقم (٤٥) .

(٢) مسلم : ١٤٧٤/٣ رقم (٤٩) كتاب الإمارة ، باب « طاعة الأمراء » .

(٣) مسلم : ١٤٧٨/٣ رقم (٥٨) كتاب الإمارة ، باب « تحريم الخروج على الطاعة » .

كتاب الله يهديكم للتي هي أقوم . وتمسكوا بسُنّة رسوله ﷺ فيما لكم وعليكم تفلحوا وترشدوا . وأطيعوا ذا أمركم تُوفّقوا وتُسدَّدوا وتُنصَروا .

اللّهم ثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة .

اللّهم لك .. الحمد ربنا أنت أهل الحمد والثناء .. حفظت عقيدتنا من الشوائب وحميت بلادنا من دسائس إبليس ، وهديتنا للإيمان والتوحيد .

لك الحمد جمعتَ شملنا على إمامنا ووحّدت صفوفنا خلف قائدنا ونصرتنا وأعززتنا وكبتّ عدونا وحفظتنا من الفتن .

اللّهم ارزقنا شكر نعمك وزدنا من فضلك وإحسانك ، واغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين .. إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

٤٤ - ردُ الخلاف إلى الكتاب والسُنَّة

(الخطبة الثانية)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١) ..

جعل الكتاب والسُنَّة حَكَماً بين المختلفين .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له ، عدلٌ يحب المقسطين .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله إمام المتقين أسوة المؤمنين .

اللّهم صلِّ وسلِّم على خاتم النبيين قائد الغر المحجلين وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فإن قواعد الإسلام وفروض الإيمان واضحةٌ بيِّنةٌ متفق عليها . ولا يخالف فيها إلا مَن قدَّم عقله وهواه على النصوص . وإن حصل خلاف بين المسلمين في بعض المسائل الفرعية فكما حصل بين الصحابة رضي اللّه عنهم في مسائل اجتهاديه في فهم نص أو استنباط حكم . أو أمر استجدَّ . ولكنهم كانوا إذا اختلفوا في أمر رجعوا فيه إلى اللّه وإلى رسوله . فكان التوفيقُ منارهم والسداد هدفهم والسمعُ والطاعة رائدهم ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٢)

ولا يُخرجهم تنازعهم عن دائرة الإيمان ولا يزحزحهم عن الحق والصدق ولا عن صراط اللّه السوى .

---

(١) الفاتحة : ٢

(٢) النور : ٥١

فاتقوا الله أيها المؤمنون ..

يجب علينا جميعاً - أخوتي في الله - أن نَرُدَّ ما اختلفنا فيه من أمور الدين إلى كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ وذلك مقتضى الإيمان عملاً بقوله تعالى : ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ﴾(١)

وواجب رد ما تنازع الناس فيه من أمور الدين إلى كتاب الله وسُنَّة الرسول صلى الله عليه وسلم كما قال سبحانه : ﴿ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ﴾(٢) .. فما حكم به الكتاب والسُنَّة فهو الحق وماذا بعد الحق إلا الضلال . والرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل وخير من التنازع وأحسن من آرائكم وتأويلكم أحسن مرجعاً ومآلاً .

ثم اعلموا - رحمني الله وإياكم - أن الله أمرنا بأمر بدأ فيه بنفسه فقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾(٣).....

* * *

(١) النساء : ٥٩

(٢) الشورى : ١٠

(٣) الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٥ - ضرر تفريق الكلمة [١]

(الخطبة الأولى)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [٢] .

والحمد لله الذي هدانا لدين الإسلام وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ الله وحده لا شريك له ، له الحمد في الآخرة والأولى ، وله الحكم وإليه تُرجعَون .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله أرسله رحمة للعالَمين ﴿ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ [٣] ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾ [٤]

صلَّى الله وسلَّم عليه وعلى آله وأصحابه ، ومَن اهتدى بهَدْيه ودعا بدعوته .

أما بعد ..

فإنَّ الله تعالى خلق الإنسان وجعل فيه مقومات الفهم والتمييز ، والعقل والإدراك ، فهو يعرف النافع من الضار ، والطيب من الخبيث ، وأعطاه قوة عقلية ، يختار بها ، فَبرغبته يختار ، وبإدراكه يميز ، وطريقُ الله مستقيم ، معتدل واضح منير ، على اتجاه واحد ، إلى رب العالَمين ، وما عداه فطرق منحرفة ملتوية معوجة . لها فروع ومنافذ ، تؤدي إلى متاهات ، وظلمات ، وكل إنسان بقدرته

---

(١) ألقيت في ١٣٩٨/٨/٢ هـ

(٢) الفاتحة : ٢

(٣) الفتح : ٨

(٤) الأحزاب : ٤٦

الاختيارية يختار الطريق التي يسلكها في هذه الحياة ، ولن يخرج عن النظام القدري العام : « اعملوا فكلٌ مُيَسَّرٌ لما خُلِقَ له » [١] .

ليس أمام الإنسان إلا واحد من طريقين . إما طريق الخير الموحد المستقيم . أو طريق الشر بشعبه وأقسامه وانحرافاته ، وضلالاته ، ومتاهاته ، وإذا أراد الإنسان أن يطبق الجزئيات على القواعد ، فلينظر إلى الأقوال والأفعال ، فإنها تُعَبِّر عن عقيدة المرء وسريرته .

والعلمانية العالَمية . هي أخفى منظمة يهودية شيوعية مشتركة . تعمل بسرية مكتومة ، وخفاء . تعمل لهدم الإيمان وعقيدة التوحيد ؛ وتفريق كلمة المسلمين ، وإثارة الخلافات والمشاحنات والشقاق بين الأمة المسلمة ، والعائلة الواحدة ، تفرِّق بين الشعوب والحكومات ، تفرِّق بين الرئيس والمرؤوس ، وبين الأب وابنه ، والأخ وأخيه ، بإثارة الخلافات . في مسائل في المعاملات ، والعبادات ، والعقائد ، والميول والاتجاه ، وهي بعملها هذا إما أن تحرف المسلمين - حكومة وشعباً - عن صراط االلّه المستقيم ، إلى المتاهات والظلمات ، فتضعف قوتها ، وتتفرق كلمتها ، فلا تقاوم أعداءها ، أو أنها تجعل بأس الأمة بينها فتتضارب الآراء والأفكار ويشتد الجدل وأخيراً إلى شر مستطير .

والأمور إذا عولجت في أول أمرها . قضي عليها بسهولة ، أما إذا استهين بها حتى تمتد أغصانها وتبث عروقها . وتقوى أعوادها فبَعْد هذا يحتاج الأمر إلى مشقة وعناء ، وقد مَنَّ اللّه تعالى على هذه البلاد ، بأن جمع شملها ، ووحَّد صفوفها ، وطهَّر عقيدتها على يد جلالة الملك المغفور له عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود طيَّب اللّه ثراه وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء ، فكان ما نَرْفُل فيه من الأمن والرخاء ، والدعة ، والسكون والهدوء والعز ،

---

(١) إشارة إلى حديث عمران بن الحصين رضي اللّه عنهما ، أخرجه الشيخان في صحيحيهما : البخاري برقم (٧٥٥١) التوحيد باب (٥٤) : ٥٢١/١٣ (الفتح) ، وكذا مسلم في الصحيح برقم (٦) ، (٧) ، (٨) كتاب « القدر » من هذا الوجه واللفظ .

وجمع الشمل وتوحيد الكلمة ، وإخلاص العبادة للّه وحده ، واتباع سُنَّة نبينا محمد ﷺ ، غضة طرية ، كما جاء بها حبيبنا وقرة عيوننا محمد بن عبد اللّه صلى اللّه عليه وسلم ، والأمة الإسلامية محسودة بهذه النعمة بصفة عامة .

لذلك فإن الحاسدين يعملون بكل جد ونشاط وبكل أسلوب وإغراء ، وبكل إرجاف وتخويف وبكل شيطان مريد ، لتفريق الكلمة وشق العصا وتصديع الصف ، وبلبلة الأفكار . وإثارة الخلافات الفقهية والعقائدية الميِّتة المدفونة يَنْبُشُونها من قبورها ، لتكون هي القائد في تحقيق أهدافهم الماسونية الخبيثة ومخططاتهم الصهيونية الشيوعية المشتركة .

لم يبق في العالَم أمة مسلمة ، تحكم بشرع اللّه وبرسالة محمد ﷺ إلا هذه البلاد ، لذلك فإن كل القوى المعادية للإسلام مركزة عليها .

ويجب أن يعلم المسلمون وولاة الأمر ، أنه لا ناصر لهم إلا اللّه وحده ، ولا عز لهم إلا باللّه وحده ، ولا مؤيد لهم إلا اللّه وحده ، ولا ينصرهم إلا مَن كان على دينهم وعقيدتهم .

وإننا نأسف كل أسف ، ونَحزْن الحزن العميق أن يكون من بين قوى الأمة المسلمة « من يرفل في خيراتها وينعم في رخائها . ويَسْعَد بأمنها واستقرارها . ويتمتع بخصوصيته في ثقة المسئولين فيه ، فإذا به يتابع الفرقة التي تثير الخلافات وتشق العصا . وتنقر في أصل الدولة الذي بُنيت عليه » مَن يحاول تدنيس العقيدة الصافية . والإيمان الخالص باللّه ، والتصديق النقي برسول الرحمة ونبي الهداية محمد ﷺ .

إن المسئولية تقع على كل مسلم ، ويتأكد علي القيادات الدينية . ويتعين على القيادة العامة أن تحافظ على كيانها . ومقدساتها . ومقوِّمات عزِّها ونصرها ؛ فاتقوا اللّه أيها المؤمنون . اتقوا اللّه أيها المسئولون . اتقوا اللّه يا أنصار الإسلام .

نسأل الله تعالى أن ينصر دينه ، وأن يُعلي كلمته ، وأن يرفع راية الإيمان قوية عزيزة كريمة خفّاقة ، على جميع أقطار الدنيا ، وأن يحفظ بلادنا وأمننا واستقرارنا ، وعقيدتنا من كيد الأعداء ودسائس المغرضين الحاسدين ، وأن يحفظ علينا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، ودنيانا التي فيها معاشنا ، وآخرتنا التي إليها معادنا ، إنه جواد كريم ، فاستعينوا بالله أيها المؤمنون واستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم .

* *

٤٥ - الحذر من النفس الأمَّارة بالسوء

(الخطبة الثانية)

الحمد للّه كثيراً . وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

صلّى اللّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد ..

فيا أيها الناس .. اتقوا اللّه تعالى . واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى . واحذروا سخط الجبار فإن أقدامكم على النار لا تقوى .

واعلم أخي المسلم أن لك نفساً أمَّارة بالسوء تدْعوك لشهواتها ورغباتها . وتُزيِّن لك وساوس الشيطان وتحثك على اتباعها . فاحذر منها كل الحذر وتحصن بكتاب اللّه وسُنَّة نبيه ﷺ ، واجعل لسانك مشغولاً بذكر اللّه ، وبدنك معموراً بطاعة اللّه ، يحفظك اللّه من كل سوء ويهديك لكل خير وسعادة .

واتق اللّه حيثما كنت يجعل لك من كل همٍ فَرَجاً ومن كل ضيق مخرجاً . ويرزقك من حيث لا تحتسب .

عباد اللّه .. إن اللّه تعالى قد أمرنا بأمر بدأ فيه بنفسه فقال سبحانه :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾[1]

اللّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وارض اللّهم عن الأربعة الخلفاء : أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ وعن بقية الصحابة أجمعين . وأهل بيته

---

(١) الأحزاب : ٥٦

الطيبين الطاهرين . وعن التابعين ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وارض عنا معهم بيمنك وإحسانك يا أرحم الراحمين .

اللّهم أعز الإسلام والمسلمين . واجمع كلمتهم ووحِّد صفوفهم . واهدهم سبل السلام ، وأخرجهم من الظلمات إلى النور .

اللّهم انصر جيوش المسلمين وثبت أقدامهم واربط على قلوبهم وانصرهم على القوم الكافرين .

اللّهم اذل الشرك والمشركين ودمر أعداء الدين .

اللّهم اخذل اليهود وأعوانهم وأتباعهم . اللّهم أنزل الرعب في قلوبهم . وشتت شملهم وفرِّق جمعهم . واجعل الدائرة عليهم . إنك أنت القوي العزيز .

اللّهم اغفر للمسلمين والمسلمات ، الأحياء منهم والأموات . اللّهم فَرِّج هم المهمومين ، ونفِّس كرب المكروبين ، واقض الدَّيْن عن المدينين ، واشف مرضى المسلمين .

عباد الله .. ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[1]

فاذكروا الله يذكركم ، واشكروه على نعمه يزدكم ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾[2]

* * *

(١) النحل : ٩٠

(٢) العنكبوت : ٤٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٦ - إن الله يدافع عن المؤمنين [١]

(الخطبة الأولى)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [٢] .. وعد المؤمنين بحمايتهم والدفاع عنهم .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ الله وحده لا شريك له .

﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [٣]

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، وصفوته من خلقه ، أوتي الكتاب ومثله معه [٤] .

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ [٥]

اللّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك ، محمد الذي شرحتَ له صدره ورفعتَ له ذكره ، وأعطيته الحوض والمقام المحمود .

وصلِّ اللّهم على آله وأصحابه وزوجاته ومَن تبعهم بإحسان وسلِّم تسليماً كثيراً .

---

(١) ألقيت في ١٤١١/٤/٨ هـ .

(٢) الفاتحة : ٢

(٣) الحج : ٤٠

(٤) إشارة إلى حديث أخرجه أحمد في المسند : ١٣١/٤ ، وابن ماجه رقم (١٢) المقدمة ، إسناده حسن ، وذلك من حديث المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه .

(٥) النجم : ٣ - ٤

أما بعد ..

فإن الجماعة التي تَكفَّل اللّه بِنَصْرها ، والدِّفاع عنها هي التي تحب اللّه ويحبها ، وتحب ملائكته وكتبه ورسله ، وتحب القرآن كلام اللّه ، وتحب السُنَّة شريعة رسول اللّه ﷺ ، فجعلت القرآن والسُنَّة نظام سلطانها ، ومنهج حياتها ، وقائدَها في مسيرتها ومرشدها لما بعد مماتها ، تلك الأمة التي تسود فيها السماحة . وتربط بين أفرادها الأُخوة في اللّه ، وتجمع قواها بحبل اللّه ، وتعمل للّه ومن أجل اللّه فهي تتحسس مواقع أقدامها ، ومنتهى أبصارها ، وما يَطْرُق سمعها ، وما تمتد إليه أيديها ، تعرف الحلال فتكتفي به لبناء أجسادها ، وتعرف الحرام وسوء عاقبته فتبتعد عنه ، حياتُها كلها عبادة ، ومحياها ومماتُها للّه ، أمة متعاونةٌ متكاتفةٌ متفاهمةٌ ، يأخذ الحليم منهم على يد السفيه ، والتقي على يد الشقي ، والصالح على يد الطالح ، والعابد على يد الشارد ، متوكلة على اللّه . معتصمة به ، لائذة بحماه ، مستجيرة بذي القوة المتين .

هذه هى الأمة التي يدافع عنها ربها ، وتكفَّل اللّه بنصرها ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾(١) ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾(٢) وكيف ينصر العبد الضعيف القويَّ العزيز . إنما ينصر دينه وشريعته وكتابه وسُنَّة نبيه ﷺ ، إيماناً وتطبيقاً . ودعوة وجهاداً لإعلاء كلمة اللّه ولإظهار دينه على الأديان كلها ، وقد وصف الخالق تعالى تلك الأمة بأربع صفات فقال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾(٣) فهذه أربع صفات عليها مدار التشريع ، فإذا أتى بها المسلم ونهض بها سهل

---

(١) الحج : ٣٨

(٢) الحج : ٤٠

(٣) الحج : ٤١

عليه الإتيان ببقية التكاليف ، فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، وأداء الزكاة يُسيطر على الشح ووساوس إبليس . والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، هما أساس دعوة الرسل عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم ، فقوله تعالي : ﴿ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى الأَرْضِ ﴾ أى صار لهم السلطان ، وأقاموا الصلاة بأنفسهم وأمروا بها من تحت ولايتهم . وإقامة الصلاة أداؤها في أوقاتها بشروطها وأركانها وواجباتها وسننها ومستحباتها ، فبقدر كمال الصلاة وتمامها تكون الصلة بين العبد وربه ، فمَن ترك الصلاة انقطعت صلته باللّه فليس من أنصار اللّه الذين تكفل بنصرتهم .

والزكاة حق أوجبه اللّه تعالى ، وأوجبه رسول اللّه ﷺ ، يؤخذ من الأغنياء ويعطى الفقراء ، وإخراج الزكاة دليل قوة الإيمان . يسيطر على شح النفس ، ووسوسة إبليس . ودليل الشفقة والرحمة بالفقراء ، وبه يتحقق قوله صلى اللّه عليه وسلم : « مَثَلُ المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » [١] ، وإخراج الزكاة دليل شكر النعمة للّه والاعتراف له بالفضل والإحسان ، فمَن منع الزكاة لم يكن من حزب اللّه الذين يدافع عنهم .

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هما القاعدة الأساسية لدين الإسلام . فلا تُقام الحدود ولا تُصان الأعراض ولا تُحفظ الكرامات ولا تُقام الشعائر . إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وهما تكليف ليس بالهيِّن . ومسئوليةٌ ليست سهلة ، ففيهما تصادم مع شهوات الناس وأطماعهم ونزواتهم ، وغرور بعضهم .. والناس على طبائع شتَّى وتصورات مختلفة ، فينبغي أن يكون الآمر والناهي على جانب

---

(١) إشارة إلى حديث النعمان بن بشير رضي اللّه عنه - البخاري : ٣٦٧/١٠ الأدب ، ومسلم : في الصحيح برقم (٢٥٨٦) في البر والصلة ، باب « تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم » من هذا الوجه واللفظ .

من العلم ، والمعرفة والحكمة ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾(١)

فواجب على مَن ولي أمر المسلمين في كل إقليم أن يجعل في كل بلد جماعةً تقوم بهذا الأمر ، كما هو موجود في مملكتنا آدام الله عزها وأمنها واستقرارها .

وإنما تميزت هذه الأمة على غيرها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وبه صارت خير الأمم ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾(٢)

فيجب على الأمة المسلمة أن تعرف وظيفتها وأن تنهض بواجبها ، وأن تكون كما وصفها ربها ..

يجب على الأمة المسلمة أن تعرف منزلتها عند بارئها ، وأن تقوم بصيانة الحياة من الشرور والفساد ، وأن تنهض بواجبها كما أمرها ربها على نهج نبيها محمد ﷺ ، وعليها أن تتحمل ما يُلقي السفهاء والطغاة من دعايات وإرجافات . ومن أكاذيب وافتراءات ، عليها أن تحطم كل ما يلقى في طريقها من أشواك وأذى وعقبات .

إن الآمر بالمعروف ، والناهي عن المنكر سيُواجه شهوات ثائرة ، ورغبات هابطة ، وعزائم كالة ، ومطامع ثقيلة ، فلا بد له من التزود بزاد الإيمان والتقوى والاحتساب ، والصبر والمصابرة لينجح في مهمته ، لإقامة مجتمع صالح ، ولصيانة الأمة من العابثين المفسدين ، ولحمايتها من سخط الله وأليم عقابه ومن غضبه وشديد انتقامه .

إن الأحداث التي تمر بالأمة الإسلامية بمثابة التربية والتعليم . لصقل إسلامها من غبش المعاصي ، وجلاء أفكارها وعقولها من أدران الغفلة والألفة ولتحريك الهمم ، وبعث النشاط لتنهض الأمة بواجبها .

---

(١) آل عمران : ١٠٤

(٢) آل عمران : ١١٠

فاتقوا الله أيها المسلمون ، مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ، وأدوا زكاة ما أتاكم الله فلكل نعمة زكاة ، المال له زكاة ، والملك له زكاة ، والرئاسة لها زكاة ، والجاه له زكاة ، والإسلام له زكاة ، والصحة لها زكاة ، والسُلطة لها زكاة ، فأدوا زكاة ما أتاكم الله ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ ﴾(١)

﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ ۘ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۚ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾(٢)

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾(٣)

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « والذي نفسي بيده لتأمرُنَّ بالمعروف ولتنهونَّ عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا يُستجاب لكم » (رواه الترمذي وقال حديث حسن) (٤) .

اللّهم بارك لنا في القرآن العظيم وفي سُنّة سيد الأوّلين والآخرين .

---

(١) الأنفال : ٢٥

(٢) التوبة : ٦٧

(٣) التوبة : ٧١

(٤) الترمذي : برقم (٢١٦٩) : ٤٦٨/٤ ، وقال الترمذي عقبه : هذا حديث حسن .

اللّهم اجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا ، ونور صدورنا ، وجلاء همومنا وغمومنا ، وشفاء أسقامنا ، وقائدنا إلى مرضاتك وجناتك .

اللّهم علّمنا منه ما جهلنا ، وذكّرنا منه ما نسينا ، وارزقنا تلاوته على الوجه الذي يرضيك عنا .

اللّهم اغفر لنا ولجميع المسلمين .. إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

٤٦ - صفات المتقين

(الخطبة الثانية)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ ﴾(١) .

وأشهد أن لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان واستقام .

أما بعد ..

فأوصيكم وإياي بتقوى اللّه في السر والعلن ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾(٢) ، ومَن كان مع اللّه كان اللّه معه ، ومَن توكل على اللّه كفاه . ومَن اعتصم بحبله عصمه . ومَن لجأ إليه حماه .

اللّهم اجعلنا واجعل إمامنا وولي عهده وحكومته ممن قلت فيهم : ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥ ﴾(٣)

---

(١) الفاتحة : ٢ - ٣

(٢) الطلاق : ٢ - ٣

(٣) البقرة : ١ - ٥

ومن الذين قلت فيهم : ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾(١)

ذكر ابن كثير في التفسير عن ابن سوادة الكندي قال : سمعتُ عمر بن عبد العزيز يخطب وهو يقول : ﴿ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى الأَرْضِ ﴾ ... الآية ، قال : ألا إنها ليست على الوالي وحده ولكنها على الوالي والمُولَّي عليه ، ألا أنبئكم بما لكم على الوالي من ذلكم وبما للوالي عليكم منه ، إنَّ لكم على الوالي من ذلكم أن يأخذكم بحقوق الله عليكم ، وأن يأخذ لبعضكم من بعض ، وأن يهديكم للتي هي أقومُ ما استطاع ، وإن عليكم من ذلك : الطاعةُ غيرُ المبزوزة ولا المستكرهُ بها ، ولا المخالفُ سُرها علانيتها ، ثم اعلموا إخواني في الله أن الله تعالى أمرنا بأمر بدأ فيه بنفسه فقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾(٢) .....

* * *

(١) الحج : ٤١

(٢) الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٧ - حاجة الإنسان إلى خالقه [١]

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ ﴾[٢]

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له . وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله

صلّى اللّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد ..

فيا أيها الناس اتقوا اللّه تعالى ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ ﴾[٣] ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴿٥﴾ ﴾[٤].

أيها المؤمنون .. إنَّ الإنسان في هذه الحياة الدنيا غرض لسهامها . وهدف لمصائبها . فإن أخطأه هذا أصابه هذا . وقد جعل اللّه لعباده من كل هم فَرَجاً ، ومن كل ضيق مخْرَجاً . فالصبر مفتاح الفَرَج . والصلاة راحة للمؤمن ﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم

(١) ألقيت في ١٣٩٤/٢/٢١ هـ .
(٢) سبأ : ١
(٣) الطلاق : ٢ - ٣
(٤) الطلاق : ٥

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾(٢)

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾(٣)

فالإنسان ضعيف مسكين تتنازعه عوامل الخير والشر . وتهدده في كل صباح ومساء ، فهو فقير إلى الله تعالى ومحتاج إليه في جميع أحواله وأوقاته . في سرائه وضرائه . فيجب على الإنسان أن يكون دائماً على صلة بربه وخالقه وملجئه وحافظه وناصره ، رب الأرباب ومَلِك الملوك وسيد السادات ، جلّت عظمته وتقدست أسماؤه ولا إله غيره ولا رب سواه . فالانقياد لله بالعبودية هي أعلى المراتب . وأسمى المنازل ، ترفع بالإنسان من الطبائع الحيوانية . إلى درجات الفضل والكمال والعزة النفسية والرفعة العامة ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾

---

(١) البقرة : ٤٥ - ٤٦

(٢) البقرة : ١٥٣

(٣) البقرة : ١٥٥ - ١٥٧

(٤) المعارج : ١٩ - ٢٨

بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣ ﴾(١)

فالإنسان تتناوبه أحزان وأفراح . فمنهم مَن يسلو عن أحزانه بالصبر والاحتساب والاسترجاع ، ويتمتع بأفراحه فى طاعة ربه وما يصلح دينه ودنياه . ومنهم مَن يسلو عن أحزانه كالبهائم بطول الزمن والنسيان . ويتمتع بأفراحه متاع الغَرور والشيطان ، واللّه سبحانه حكيم في شرعة وقدره . عليم بما يصلح عباده وخلقه . وهو أرحم بعباده من أنفسهم ، فمن الناس مَن نفسه خبيثة شريرة فلا يصلحها إلا المصائب ، ومنهم مَن ذنوبه كثيرة لا يكفِّرها إلا ما أصابه . ومنهم مَن كتب اللّه له درجة عالية في الجنة فلا يصل إليها إلا بمصيبة تصيبه . ومنهم مَن هو كسول عن طاعة اللّه وغافل عن ذكر مولاه فلا ينشطه ولا يذكره إلا ما ألمَّ به . فاللّه سبحانه هو الذي يعلم عواقب الأمور .

أما المخلوق فإنه جهول عجول . فقد تصيبه سرّاء فيفرح بها وفيها دماره وهلاكه . وقد تصيبه ضرّاء يستاء لها . وفيها سعادته وصلاحه . كما قال تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٢١٦ ﴾(٢)والفرق في هذا بين المؤمن وغير المؤمن أن المؤمن دائماً على خير ، فإن أصابته سرّاء شكر اللّه تعالى على فضله وإحسانه وتوفيقه . فكان خيراً له . وإن أصابه ضرّاء صبر (٣) ، واحتسب الأجر والثواب من اللّه تعالى فكان خيراً له ، بخلاف الكافر والمنافق فهما بضد ذلك .

---

(١) سورة العصر كاملة .

(٢) البقرة : ٢١٦

(٣) إشارة إلى حديث سعد بن أبي وقاص رضي اللّه عنه ، هذا لفظ الإمام أحمد في مسنده : ١٧٣/١ ، ١٧٧ ، ١٨٢ ، وأخرجه مسلم في الصحيح برقم (٢٩٩٩) في الزهد ، باب « المؤمن =

ولما كانت النفوس جُبِلت على الفرح بالخير والحزن من الشر . لم يؤاخذ اللّه تعالى عباده بما هو خارج عن اختيارهم وقدرتهم كحزن القلب ودمع العين . فكان صلى اللّه عليه وسلم أعرف الناس باللّه وأخشاهم له وأتقاهم . فلما عاد سعد بن عبادة رضي اللّه عنه بكى عليه الصلاة والسلام فبكى مَن عنده . فقال صلى اللّه عليه وسلم : « ألا تسمعون ؟ إن اللّه لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب ، ولكن يعذب بهذا ويرحم » - وأشار إلى لسانه .

ولما رُفِع إليه ابن ابنته وهو في الموت . فاضت عيناه فقال له بعض الحاضرين : ما هذا يا رسول اللّه ؟ فقال عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم : « هذه رحمة جعلها اللّه في قلوب عباده ، وإنما يرحم اللّه من عباده الرحماء » [١] .

وكان صلى اللّه عليه وسلم هو أرفقُ الناس بأصحابه وأهل بيته وأشدهم شفقة ورحمة عليهم وعطفاً وحناناً . فلما أرسلت إليه ابنته تدعوه وتخبره أن ابنها في الموت قال صلى اللّه عليه وسلم للرسول : « ارجع إليها وأخبرها أن للّه ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمى [٢] ، فمرها فلتصبر ولتحتسب » فنعْمَ التعزيه منه صلى اللّه عليه وسلم لابنته . ونِعْم الوصية لأمته . فالعالَم كله ملْكٌ للّه ، فما أعطاه لخلقه من شيء فهو في ملكه وتحت قهره ، فإذا أخذ شيئاً مما أعطاهم فإنما هو ملكه يفعل به ما يشاء ، كالعارية المردودة على مالكها ، فمم يجزع الإنسان ، وإلى مَن يفزع ؟ فما دام الأمر كذلك ولا بد من حصوله فمَن رضى وصبر فله الرضا ومَن سخط فعليه السخط .

= أمره كله خير » وهو من حديث صهيب الرومي رضي اللّه عنه ، وأخرجه البغوي في شرح السُنّة برقم (١٥٤٠) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي اللّه عنه .

(١) إشارة إلى حديث أسامة بن زيد رضي اللّه عنه : البخاري برقم (١٢٨٤) الجنائز ، وكذا مسلم في الصحيح برقم (خاص ١١) ، و (عام ٩٢٣) : ٢/٦٣٥ من هذا الوجه واللفظ .

(٢) هذا هو الحديث الذي مضى الآن ومسلم عنده هذه الزيادة دون البخاري ، وذلك من حديث أسامة بن زيد رضي اللّه عنه برقم (خاص ١١) ، و (عام ٩٢٣) .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « ولكن يعذب الله بهذا ويرحم » - يعني باللسان - بيان أن الناس في تلقي المصائب قسمان . فمنهم يتلقاها بالرضا والتسليم للقضاء ولا يقول إلا ما يرضي ربنا : « إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون . اللهم آجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها » (١) ﴿ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾(٢)

ومنهم هلوع جزوع إذا أصابته المصيبة نسي نفسه ونسي ربه . أو قد يفتعل الحزن كالنائحات المرتزقات . فترفع صوتها بالبكاء بما يُسمع القريب والبعيد . وتندب الميت بصفاته : واكذا واكذا .

وكالذين يبالغون في الرثاء والتأبين ويتعدون حدود الجائز المباح بتعداد المحاسن ومخاطبة الميت بفعاله بما يصل إلى حد النياحة المحرَّمة . يلتمسون رضا المخلوق بما هو اعتراض على فعل الخالق جلَّ جلاله . بل قد يكون في وصفهم ما لا يوصف به إلا رب الأرباب وملك الملوك تقدَّست أسماؤه .

وأشنع من ذلك وأعظم ؛ عمل الذين يجمعون بين هذا وذاك ، ويلطمون الخدود والصدور . ويشقون الجيوب (٣) وهذا كله مخالف للصبر الذي أمر الله به رسوله ، وفيه جزع من قضاء الله وقدره ، وقد نهي الله ورسوله عنه . ولذلك لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم النائحة والمستمعة (٤) . وتبرأ صلى الله عليه وسلم ممن

---

(١) إشارة إلى حديث أم سلمة رضي الله عنها : مسلم في الصحيح برقم (خاص ٤) ، و (عام ٩١٨) ، والبغوي في شرح السُنَّة برقم (١٤٦٣) .

(٢) البقرة : ١٥٧

(٣) إشارة إلى حديث ابن مسعود رضي الله عنه : البخاري برقم (١٢٩٤) - الجنائز ، وأحمد في المسند : ٤٢٢/١ ، ٤٥٦ من هذا الوجه واللفظ .

(٤) إشارة إلى حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : أبو داود برقم (٣١٢٨) - الجنائز ، وفي إسناده ضعف ، والبغوي في شرح السُنَّة برقم (١٥٣٦) : ٤٣٩/٥ ، محمد بن الحسن بن عطية بن سعد العوفي ضعيف وكذا أبوه وجده ، هكذا قال الذهبي في الميزان رقم الترجمة (٧٣٧٩) ، وقال البخاري : لم يصح حديثه ، والله أعلم .

شقّ الجيوب ولطم الخدود ودعا بدعوى الجاهلية [١] . وقال صلى اللّه عليه وسلم : « النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطرانٍ ودرعٌ من جرب » [٢] ، وروى عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه : أنه ضرب نائحه وقال : إنها لا تبكي بشجوكم وأنها تُهريق دموعها لأخذ دراهمِكم ، وإنها تؤذي موتاكم في قبورهم وأحياكم في دورهم ، لأنها تنهي عن الصبر وقد أمر اللّه به ، وتأمر بالجزع وقد نهى اللّه عنه [٣] .

فالنياحة لا تأتي بخير ولا تدفع شراً ولا ترد فائتاً . وإنما فيها فقد سرور وحرمان أجر واكتساب وزر وهذه مصيبة أعظم . فاتقوا اللّه عباد اللّه وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر . وما من مصيبة إلا وهناك أخرى أعظم منها . روى بعض العلماء أنه رأى امرأة في البادية . فأعجب بنضارة جلدها فظن أنها مسرورةٌ منعمه فسألها فقالت له : إنه كان لي زوج ولي منه ابنان فذبح أبوهما شاة في يوم أضحى . والصبيّان يلعبان . فقال الأكبر للأصغر أتريد أن أريك كيف ذبح أبي الشاة ؟ قال : نعم . فذبحه ، فلما نظر إلى الدم جزع . ففزع نحو الجبل فأكله الذئب . فخرج أبوه في طلبه فتاه أبوه فمات عطشاً فأفردني الدهر . فقال لها : كيف أنتِ والصبر ؟ فقالت : لو دام لي لدمتُ له ، ولكنه كان جرحاً فاندمل [٤] .

فاتقوا اللّه عباد اللّه . فإذا أصابت أحد مصيبة فليصبر وليحتسب وليقل : إنّا للّه وإنّا إليه راجعون . اللّهم آجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها [٥] .

---

(١) هو حديث ابن مسعود رضي اللّه عنه : البخاري برقم (١٢٩٤) ، ومسلم برقم (١٠٣) ، (١٦٦) - ، الإيمان ، باب « ما ينهى من دعوى الجاهلية » .

(٢) إشارة إلى حديث أبي مالك الأشعري رضي اللّه عنه : مسلم في الصحيح ، برقم (٩٣٤) ، باب « التشديد في النياحة » ، والبغوي في شرح السُنّة برقم (١٥٣٤) : ٥/٤٣٦ - ٤٣٧

(٣) لم أقف على هذا الأثر الموقوف واللّه أعلم . ولا بأس في ضرب النائحة وذلك تعزيراً لها وتأديباً إذا رأى الحاكم فيها .....

(٤) لم أقف على مصدر هذه القصة وقد وقعت بمثلها في أزمان كثيرة .

(٥) إشارة إلى حديث أم سلمة رضي اللّه عنها في الصحيح برقم (خاص ٤) ، و (عام ٩١٨) .

ثم ليحمد الله إذ لم تكن أعظم ، وليحمد الله إذ رزقه الصبر . وليحمد الله إذ وفقه للاسترجاع . وليحمد الله إذ لم يجعل مصيبته في دينه .

اللّهم إنّا نسألك العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدنيا والآخرة .

اللّهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنا [١] .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

* *

(١) إشارة إلى حديث عائشة رضي الله عنها : الترمذي الدعوات برقم (٣٥١٣) ، وقال : هذا حديث حسن صحيح . وقد عزاه السيوطي في الدر المنثور : ٥٨٣/٨ إلى الإمام أحمد في المسند والترمذي في جامعه وصححه ، والنسائي وابن ماجه في سننيهما ، ومحمد بن نصر المروزي ، والبيهقي عن عائشة رضي الله عنها .

٤٧ - الأموال والأولاد ودائع

(الخطبة الثانية)

الحمد لله .. ﴿ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾(١) .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

صلّى اللّه وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدى بهَدْيه واستنَّ بسُنَّته .

أما بعد ..

فيا أيها المسلمون .. ﴿ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾(٢)

واعلموا أن الأموال والأولاد إنما هي عوار في أيدينا لا بد أن يأخذها مالكها جلَّ جلاله ، وإنما أعطانا إياها للابتلاء والاختبار وهو أعلم سبحانه بما نحن فاعلون فيها ، وإنما ليقيم الحُجَّة علينا بفعل أنفسنا ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾(٣)

فاحسنوا التصرف في أماناتكم ، واصبروا على ما فاتكم منها واحتسبوه ذخراً عند اللّه . قال صلى اللّه عليه وسلم لرجل من أصحابه مات ابنه : « يا فلان ، أيما كان أحب إليك : أن تمتع به عمرك . أو لا تأتي غداً باباً من أبواب الجنة إلا

---

(١) القصص : ٧٠

(٢) الحشر : ١٨

(٣) الأنفال : ٢٨

وجدته قد سبقك إليه يفتحه لك » ؟ فقال : يا نبي اللّه ، يسبقني إلى الجنة يفتحها لي هو أحب إليّ ، قال : « فذلك لك » ، فقال : يا رسول اللّه ، هذا له خاصة أم للمسلمين عامة ؟ قال : « بل للمسلمين عامة » [١] .

عباد اللّه .. إنّ اللّه قد أمرنا بأمر بدأ فيه بنفسه فقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [٢]

اللّهم صلِّ وسلّم وبارك وأنعم على عبدك ورسولك نبينا محمد . وارض اللّهم عن الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء : أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ ، وعن بقية الصحابة أجمعين وعن التابعين ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . وارض عنا معهم بمنك وإحسانك يا أرحم الراحمين .

اللّهم أعز الإسلام والمسلمين ، وأذل الشرك والمشركين ، ودمر أعداء الدين . اللّهم انصر جيوش المسلمين وثبت أقدامهم وانصرهم على القوم الكافرين .

اللّهم اخذل اليهود وأعوانهم ومَن والاهم . اللّهم فرِّق جمعهم وشتت شملهم وأنزل الرعب في قلوبهم . إنك أنت العزيز الحكيم .

اللّهم اغفر للمسلمين والمسلمات ، الأحياء منهم والأموات ، اللّهم فَرِّج هم المهمومين ونفِّس كرب المكروبين ، واقض الدَّيْن عن المدينين واشف مرضى المسلمين .

---

(١) أخرجه النسائي في سننه : ١١٨/٤ باب في التعزية ، وإسناده حسن . وقد انفرد بهذا الحديث النسائي في سننه .

(٢) الأحزاب : ٥٦

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾(١)

فاذكروا الله العظيم يذكركم ، واشكروه على نعمه يزدكم ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾(٢) .

* * *

(١) النحل : ٩٠

(٢) العنكبوت : ٤٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٨ - الزلازل إما امتحان أو عقوبة [١]

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾[٢]

له الحمد في السراء والضراء ، و ﴿ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٧٠ ﴾[٣]

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له . وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله أرسله رحمة للعالَمين . مَن أطاعه سعد وفاز . ومَن عصاه خسر وخاب .

اللّهم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن اتبع سُنَّته وعمل بشريعته .

أما بعد ..

فإن الخالق تبارك وتعالى يبتلي عباده ويختبرهم ليميز الخبيث من الطيب : بسم اللّه الرحمن الرحيم :﴿ الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَد فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣ ﴾[٤] ، فلا بد من تربية النفس بالبلاء بالمخاوف

(١) ألقيت في ١٤١٣/٤/٢٠ هـ .
(٢) الفاتحة : ٢
(٣) القصص : ٧٠
(٤) العنكبوت : ١ - ٣

والشدائد والجوع ونقص من الأموال والأرواح والمحاصيل . كما قال جلّت عظمته وتقدست أسماؤه : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾(١)

لا بد من البلاء والامتحان لتصفو عقيدة الإيمان ولتعرف قيمتها ، فمتى ثبت الإيمان بأهله فلم يهتز ولم يتغير بحصول المصائب . ظهرت قيمة العقيدة . وبرز دورها الفعال في تهذيب النفس وتربيتها . وربطها بخالقها ، فكلما تألم المؤمن في سبيل عقيدته . وكلما تحمل المشاق في سبيل دينه ، كانت أعز عليه وأغلى وكان عليها أحرص . فلا يرضى عنها بديلاً . ولا يقبل فيها عوضاً مهما كان ومهما ارتفع .

ولا يُدرِك الآخرون قيمة الإيمان عند أهله وغلاءَه عندهم إلا حين يرون صبر المؤمنين على المصائب والكوارث والمحن من أجل إيمانهم .

لا بد من البلاء لتثبيت العقيدة في القلوب وتمكينها من الجوارح ، فيصلب عود المؤمن . ويشتد ويقوى . وتتحرك قواه الكامنة وطاقاته المدخره التي لا يعرفها المؤمن في نفسه إلا حين تبرزها المصائب .

لا بد من صقل العقيدة . ولا بد من تقوية الإيمان ، ولا يكون ذلك إلا بالاتصال بالله . والالتجاء إليه والاعتماد والتوكل عليه ، كما أن الخالق تعالى يغار على محارمه ، فيعاقب مَن شاء بما شاء ، والمصائب سوط تربية وتأديب . تنبه الغافلَ وترد الشاردَ وتوقظ النائمَ ، وتحرك الوجدان وتُشع نور الإيمان في قلبه ، فإذا التمس المصابُ ملجأً من مصيبته فلا ملجأ إلا إلى الله .

وإذا بحث عن الواقي الحافظ فلا واقيَ ولا حافظ إلا الله ، وإذا بحث عن

---

(١) البقرة : ١٥٥ - ١٥٧

النصير القريب فلا أقرب من الله ولا ناصر إلا الله ، وإذا التمس من يربط على قلبه . ويثبت أعصابه . فذلك إلى الله .. يحصل بالتوكل على الله والاعتصام بالله . والالتجاء إلى الله والرضا بقدر الله . والتسليم لإرادة الله . والأنس بقرب الله ﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾(١) ، لقد ذكر الخالق تعالى الصبر في أكثر من سبعين موضعاً من القرآن الكريم ، ووصف الصابرين بأوصاف الخير وحسن العاقبة ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾(٢) ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾(٣) ﴿ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ ﴾(٤) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾(٥) ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ ﴾(٦) ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾(٧)

وفي الحديث الصحيح عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « ما يصيب المسلمَ من نَصَبٍ ولا وَصَبٍ ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم ، حتى الشوكة يشاكها ، إلا كفَّر الله بها من خطاياه » (متفق عليه) (٨) .

---

(١) البقرة : ١٥٥ - ١٥٦

(٢) السجدة : ٢٤

(٣) النحل : ٩٦

(٤) المؤمنون : ١١١

(٥) البقرة : ١٥٣

(٦) القصص : ٥٤

(٧) الزمر : ١٠

(٨) مسلم جـ ٤ كتاب البر والصلة والأدب (٥١) .

وعن أبي يحيي صهيب بن سنان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « عجباً لأمر المؤمن ، إن أمره كلّه له خير ، ولس ذلك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سرّاء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضرّاء صبر فكان خيراً له » (رواه مسلم) (١) .

وروي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال : إذا سَلَّمَ المؤمن الأمر لله تعالى ورجع واسترجع عند مصيبته كتب الله له ثلاث خصال : الصلاة من الله . والرحمةَ . وتحقيق سبيل الهُدَى ﴿ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾(٢)

فالمؤمن يعلم أن الخق كلّه ملكٌ لله . وأن العالَم كله في قبضة الله يفعل به ما يشاء وفق إرادته وحكمته ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾(٣) ، فمَن رضى بقضاء الله وقدره فله الرضا والثواب ، ومَن سخط فعليه السخط وسُخطه لا يرد القضاء . فالواجب على المؤمن أن يكون دائماً مع الله فى كل أحيانه ، في عُسره ويُسره . في شدته ورخائه ، فيعلّق قلبه وآماله وحوائجه ومتطلباته بالله . ومَن سوى الله مُلك لله ، هو الذي أحياه وأماته . وجعله رهينة عقيدته وأعماله . فلا يملكون لأنفسهم - فضلاً عن غيرهم - ضراً ولا نفعاً إلا ما شاء الله . ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً .

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : « كنتُ خلف النبي ﷺ يوماً فقال : « يا غلام ، إني أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك . احفظ الله تجده تُجاهك . إذا سألتَ فاسأل الله ، وإذا استعنتَ فاستعِن بالله . واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، وإن

---

(١) مسلم جـ ٤ كتاب الزهد والرقاق ، باب « المؤمن أمره كله خير » (٦٤) .

(٢) البقرة : ١٥٧

(٣) الأنبياء : ٢٣

اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رُفِعَت الأقلام وجفَّت الصحف » [١] .

وفي رواية غير الترمذي : « احفظ الله تجده أمامك ، تعرَّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة . واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وما أصابك لم يكن ليخطئك . واعلم أنَّ النصر مع الصبر وأن الفَرَج مع الكرب وأن مع العسر يُسراً » .

إنَّ المؤمن لأخيه المؤمن كالجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى .

وإننا في هذه المملكة العربية السعودية مع إخواننا في كل الظروف والأحوال نشارك إخواننا المؤمنين في جميع أقطار الأرض . نشاركهم في مشاعرهم ، في أفراحهم وأحزانهم ، لقد تألمنا كثيراً لأحداث الزلزال الذي أصاب مصر الشقيقة . فأحدث نقصاً في الأموال والأنفس ، إننا مع أحبابنا في الله في أرض الكنانة . أهل العلم والقرآن ، أهل الفصاحة والبيان ، وخير ما نقول ما قاله عبادُ الله الصالحون : ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾[٢] ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

اللَّهم ارحم ضعفهم أمام قدرتك . وارحم حاجتهم إليك . وانكسارهم بين يديك .

اللَّهم هيئ لهم من أمرهم رشداً . وارزقهم توبةً نصوحاً ورجوعاً إليك صادقاً .

اللَّهم اغفر لموتى الزلزال وآنس وحشتهم وتغمدهم برحمتك وأسكنهم فسيح جناتك وأكرم نزلهم ووسع مدخلهم وافتح لهم أبواباً إلى الجنة والنعيم .

اللَّهم اشف الجرحى والمصابين بشفائك العاجل وخفف مصائبهم وآلامهم .

---

(١) رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح - قيامة (٥٩) ، جامع العلوم والحكم ص١٣٢ ، الأحوزي : ٣١٩/٩

(٢) البقرة : ١٥٦

اللّهم اربط على قلوب أهلهم وذويهم . واكفل الصغير . واحفظ الكبير .

اللّهم وفق ولاة أمور المسلمين إلى تحكيم كتابك والعمل بسُنّة نبيك محمد صلى اللّه عليه وسلم . واهدهم إلى الرجوع إليك وإلى تحكيم شريعتك ، واملأ قلوبهم محبة لك وخشية منك وغبة فيما عندك .

فاتقوا اللّه أيها المسلمون ، توبوا إلى اللّه واستغفروه . توجهوا إلى اللّه واسألوه ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ١٨٦ ﴾(١)

﴿ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ٤ ﴾(٢)

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ١٠ ﴾(٣)

اللّهم فرِّج هم المهمومين ، ونفِّس كرب المكروبين ، وارفع البلاء عن المؤمنين .

اللّهم ادفع عنا وعن كل المسلمين الغلا والوبا ، والربا والزنا ، والزلازل والمحن ، وسوء الفتن ، ما ظهر منها وما بطن ، إنك على كل شيء قدير .

اللّهم اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

---

(١) البقرة : ١٨٦

(٢) الممتحنة : ٤

(٣) الحشر : ١٠

٤٨ - متى يجب الإنصات للقراءة

(الخطبة الثانية)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١) .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له . ألا له الخلق والأمر ، تبارك اللّه رب العالَمين .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله . دلَّ أمته على الخير ورغَّبها فيه ، وحذَّرها من الشر ونهاها عنه .

اللّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فإن القرآن بصائرُ للناس وهديٌ ورحمة . وشفاءٌ وضياءٌ ، ولهذا أوجب الخالق تعالى الاستماع له إذا قريء ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾(٢)

وجمهور العلماء على أن وجوب الاستماع للقرآن إذا قريء في الصلاة الجهرية ، فلا يقرأ المأموم مع إمامه إلا الفاتحة في سكنات الإمام .

روي عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال : كانوا يتكلمون في الصلاة ، فلما نزلت هذه الآية : وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ أمروا بالإنصات ، ولما انصرف رسول اللّه ﷺ من صلاة جهرية قال : « هل قرأ أحد منكم معي

---

(١) الفاتحة : ٢

(٢) الأعراف : ٢٠٤

أنفاً » ؟ قال رجل : نعم يا رسول الله ؛ قال : « إني أقول : ما لي أنازَع القرآن » !! فانتهى الناس .

فاتقوا الله أيها المسلمون إذا كان وجوب الاستماع للقرآن في الصلاة فإنه لا ينبغي للمسلم أن يستمع البرامج من المذياع المسموع أو المريء . فإذا جاء القرآن قفله فَيَنْبَغِي أن يترك القرآن يقرأ . فإن لم يستمع له استمع غيره من خلق الله .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾[1]

* * *

(١) الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٩ - المؤمن واقع بين الخوف والرجاء

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١ ﴾[١]

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، صلّى اللّه وسلّم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن اتبع سبيله .

أما بعد ..

فإن الإنسان واقع بين حالين مخيفتين ، بين ماض من حياته قد سُجلت فيه جميع أعماله وأقواله وجميع تحركاته واتجاهاته . فلا يدري ما اللّه صانع فيها . وبين مستقبل من حياته لا يدري ما اللّه قاض فيه . وهو يرى مِنْ حوله أعراض هذه الحياة وسهامها تتخطى أناساً إلى آخرين ، يرى مِنْ حوله صحةً ومرضاً . وغنىً وفقراً . وعزاً وذُلاً . وأمناً وخوفاً . وشباباً وهرماً . وحياةً وموتاً . فلا يدري أيٌّ عرض منها يدركه ، ولا أيٌّ السهام يُصيبه . فهذه الحياة لا تَدوم على حال ، فلا السرور يدوم ولا الحزن يدوم . والعاقل يأخذ بوصية نبينا محمد ﷺ حيث قال : « بادِرُوا بالأعمال سبعاً : هل تنتظرون إلا فقراً مُنسياً . أو غِنَى مطغياً . أو مَرَضاً مُفْسدا ، أو هرماً مُفَنِّدا . أو موتاً مجهزا . أو الدجال ... فشرُّ غائبٍ ينتظر . أو الساعة ، والساعة أدهى وأمر »[٢] .

---

(١) الفاتحة : ٢

(٢) إشارة إلى قوله تعالى في سورة القمر : ٤٦

فالواجب على المسلم أن يقدِّر للأمور قدرها . وأن يحسب للمستقبل حسابَه . وأن يسير في هذه الحياة بين جانب الخوف وجانب الرجاء [١] . يخاف من ذنوبه وسيئاته ، ويرجو رحمة ربه ورضوانه . فمَن خاف هرب ومَن طلب أدلج . ولا يكون الإنسان كذلك حتى يستحظر عظمة الله تعالى وقدرته القاهرة وحكمته الباهرة . وحتى يعرف الإنسان نفسه وحقيقته وأصله ومآله .

فإن من أعظم الدوافع للإنسان إلى قَبُول الحق واتباعه التبصر في نفسه . وما فيه من أجهزة متعددةٍ منافعها مختلفة وظائفها . تؤدي أعمالها . بدون إرادته وبدون جَهْده . وإنما بقدرة الله وإرادته ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ (٢) ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ (٣)

ألا تبصر أيها الإنسان بديعَ صنع الله في ذاتك . ألا تبصر عجائب قدرة الله في نفسك ، ألا تخلُ بنفسك ساعة من الزمن في كل يوم وتتأمل في نفسك من شَعْرِ رأسك إلى أظفارك . فإذا عرفتَ نفسك - ولن تعرف إلا القليل من الكثير . ولن تعرف إلا الظاهر وتخفى عليك الأسرار ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾

ثم بعد ما تحصل عليه من نتائج التبصرُّ والتفكر . تأمل مَن الذي خلق هذا الصنع البديع . ومَن الذي أودع فيه هذه الأسرار . ومَن الذين سخَّر هذه الأجهزة

---

(١) إشارة إلى حديث أنس رضي الله عنه ، ابن ماجه ، كتاب « الزهد » حديث رقم (٤٢٦١) ، والترمذي في جامعه برقم (٩٨٣) كتاب الجنائز . ثم قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب ، وقد روي بعضهم هذا الحديث عن ثابت عن النبي ﷺ مرسلاً .

(٢) فصلت : ٥٣

(٣) الذاريات : ٢٠ - ٢١

لأداء وظائفها . فستعرف أنه هو اللّه الواحد القهار . وحينئذ تقول : آمنتُ باللّه ، اللّهم أنت ربي لا إلَهَ إلاَّ اللّه ، خلقتني وأنا عبدك وعلى عهدك ووعدك ما استطعتُ ، أبوءُ بنعمتك عليَّ ، وأبوءُ بذنبي فاغفر لي ، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، ثم قل : آمنتُ باللّه ثم استقم [1] ، وكن كما تقول أنْجز وعدك وأوف بعهدك . ولازم طاعة ربك ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١٩ لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ٢٠ ﴾ [2]

اللّهم بارك لنا في القرآن العظيم . وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم .

اللّهم علّمنا منه ما جهلنا ، وذكّرنا منه ما نسينا ، ووفقنا للعمل بما علمنا . وارزقنا تلاوته على الوجه الذي يرضيك عنا .

اللّهم احفظنا بالإسلام واحفظ الإسلام بقدرتك يا عزيز يا حكيم .

اللّهم اغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

---

(١) إشارة إلى حديث شداد بن أوس رضي اللّه عنه : البخاري برقم (٦٣٢٣) - الدعوات .

(٢) الحشر : ١٨ - ٢٠

٤٩ - الإنسان يطغى إذا استغنى

(الخطبة الثانية)

الحمد لله . لا نُحصي ثناءً عليه . لك الحمد يا ربنا أنت كما أثنيتَ على نفسك (١) .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، صلّى اللّه وسلّم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدى بهَدْيه .

أما بعد ..

فإنَّ بعض الناس إذا أنعم اللّه عليه بنعمة الصحة والمال . تعاظمت نفسه وترفعت عن مستواها فلا يملك السيطرة عليها . فلا يقوم بواجب النعمة للّه ، ولا يؤدي حق اللّه فيها . تأخذه الخيلاء والكبرياء ، يمشي في الأرض مَرَحاً . ويصعِّر خده للناس (٢) . احتقاراً واستكباراً . ويفخر بما هو فيه من نعَم اللّه تكبراً وتعاظماً ، كأنه هو الذي حصّلها لنفسه ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧ ﴾(٣) ﴿ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴾(٤)

---

(١) أخرجه مسلم في الصحيح : الصلاة برقم (٢٢٢) من حديث عائشة رضي اللّه عنها .

(٢) إشارة إلى قوله تعالى في سورة لقمان : ١٨

(٣) العلق : ٦ - ٧

(٤) فصلت : ٥١

فالكِبْر بطر الحق وغمط الناس [١] ، أما كون الإنسان يُحبُّ أن يكون مَلْبسُه حسناً . ومظهرُه جميلاً فذلك من الجمال ، واللّه تعالى جميل يحب الجمال [٢] ، وهو من الزينة التي أخرج اللّه لعباده وأمرهم باتخاذها عند كل مسجد [٣] فاتقِ اللّه أيها الإنسان ، إنك من أصغر مخلوقات اللّه ومن أضعفها ، فمهما بلغتَ من العزة والشرف والمال فإنك لن تبلغ الجبال طولاً [٤] . ومهما بلغتَ من الصحة والقوة فإنك لن تخرق الأرض بقدميك .

فلا تمش في الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً [٥] ، تفكر في نفسك أيها الإنسان واتخذ منها عبراً . وتبصَّر في نفسك واتخذ منها آيات على عظمة خالقك . وضعف ذاتك ، وصلُّوا على البشير النذير ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [٦]

اللّهم صلِّ وسلِّم وبارك وأنعم على عبدك ورسولك نبينا محمد صاحب المقام المحمود والحوض المورود . وارض اللّهم عن الخلفاء الراشدين : أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ ، وعن بقية الصحابة أجمعين . وزوجات نبيك أمهات المؤمنين . وعن التابعين لهم بإحسان يارب العالَمين . وارض عنا معهم بِمَنِّكَ وإحسانك ياأرحم الراحمين .

---

(١) إشارة إلى حديث ابن مسعود رضي اللّه عنه : مسلم في الصحيح : الإيمان حديث رقم (خاص ١٤٧) ، و (عام ٩١)

(٢) هو نفس هذا الحديث : مسلم في الصحيح - الإيمان رقم (١٤٧) ، وأحمد في المسند : ١٣٣/٤ وذلك من حديث أبي ريحانة وإسناده صحيح .

(٣) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة الأعراف : ٣٢

(٤) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الإسراء : ٣٧

(٥) هو نفس قوله تعالى في سورة الإسراء : ٣٧

(٦) الأحزاب : ٥٦

اللّهم أعز الإسلام والمسلمين . وأذل الشرك والمشركين ، ودمر أعداء الدين ، واحم حَوْزة الإسلام يارب العالَمين .

اللّهم آمِنّا في أوطاننا ، واحفظ إمامنا وولاة أمورنا ، ووفقهم لما فيه صلاح العباد والبلاد . ولما تُحبُ وترضى .

اللّهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا . ولا مبلغ علمنا . ولا إلى النار مصيرنا .

اللّهم أصلح جميع ولاة أمور المسلمين ، واهدهم سبل السلام ، وأخرجهم من الظلمات إلى النور . وافتح قلوبهم لقبول الحق واتباعه . إنك أنت الغفور الرحيم .

اللّهم فَرِّج هم المهمومين ، واقض الدَّيْنَ عن المدينين ، واشف مرضى المسلمين .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾(١)

فاذكروا اللّه العظيم يذكركم ، واشكروه على نعمه يزدكم ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾(٢)

* * *

(١) النحل : ٩٠

(٢) العنكبوت : ٤٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٠ - التواصى بالحق [١]

(الخطبة الأولى)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَلَمِينَ ﴾ [٢] .

لك الحمد ربنا أنعمتْ علينا نِعَماً لا نحصى لها عداً ولا نوفيها شكراً .

وأشهد أنْ لا إلَه إلاَّ اللّه وحده لا شريك له ، إلَهُ الأوّلين والآخرين ، ورب الخلق أجمعين .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، بلّغ رسالة ربه ونصح لأمته . اللّهم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان واهتدى .

أما بعد ..

فأوصيكم وإياي بتقوى اللّه . وبصدق الحديث . ووفاء العهد وأداء الأمانة ، وترك الخيانة . ورحمة اليتيم . وحفظ الجوار . وكظم الغيظ ، ولين الكلام . وبذل السلام . ولزوم الإمام ، والتفقهِ في القرآن . وحبِ الآخرة ، والاستعداد للحساب ، وقصر الأمل ، وحسن العمل .

إخوتي في اللّه .. إنَّ من قصار المفصل في القرآن الكريم سورةً آياتها ثلاثٌ . تُمثل منهجاً إسلامياً كاملاً . وترسم نظاماً للبَشر شاملاً ، وتبيِّن وظيفة أمة محمد ﷺ . في كلمات موجزة تتكون من قَسَم وجوابه . واستثناء .

---

(١) ألقيت في ١٤٠٨/٣/٨ هـ .

(٢) الفاتحة : ٢

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣ ﴾

قال ابن كثير رحمه الله : ذكر الطبراني من طريق حماد بن سلمة عن ثابت بن عبيد الله بن حفص قال : كان الرجلان من أصحاب رسول الله ﷺ إذا التقيا لم يفترقا إلا على أن يقرأ أحدهما على الآخر سورة العصر إلى آخرها ثم يسلم أحدهما على الآخر [٢] .

وقال الشافعي رحمه الله : لَوْ تدبر الناس هذه السورة لوسعتهم [٣] .

وقال بعض السَلَف : تعلمتُ معنى السورة من بائع الثلج ، كان يصيح ويقول : ارحموا مَن يَذُوب رأس ماله - يكررها . فقلت : هذا معنى ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴾ ، يمر به العصر فيمضي عمره ولا يكتسب [٤] .

أقسم تبارك وتعالى بالعصر وهو الدهرُ على أصح الأقوال .

والإلَه جلَّ شأنه يُقسم بما شاء من مخلوقاته ، أما المخلوق فلا يُقسم إلا بالله، فأقسم تعالى بالنجم [٥] . وبالبلد ألأمين [٦] . وبالشمس [٧] ، وبالضحى [٨] وبالقمر وبالليل وبالنهار . وبالتين والزيتون [٩] وأقسم بحياة نبينا محمدٍ

---

(١) سورة العصر كاملة .

(٢) أورده الإمام ابن كثير في تفسيره : ٣٦٥/٧ وعزاه إلى الطبراني من طريق حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الله بن حفص ثم ذكره .

(٣) كما أورده ابن كثير في تفسيره : ٣٦٥/٧ نقلاً عن الشافعي رحمه الله .

(٤) لم أقف عليه مسنداً ولعله موجود في تفسير القرطبي ، والله أعلم .

(٥) إشارة إلى سورة النجم : ١

(٦) إشارة إلى سورة البلد : ١

(٧) إشارة إلى سورة الشمس : ١

(٨) إشارة إلى سورة الضحى : ١

(٩) إشارة إلى سورة التين : ١

صلى الله عليه وسلم : ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾(١)

والقسم دليل على شرف المقسم به وعلو قدره . وعظيم نفعه . فالدهر مشتمل على الأعاجيب التى تحيط بالإنسان في عصره . تقع فيه السرّاء والضرّاء . والصحة والمرض ، والغنَى والفقر ، والعز والذل ، والطاعة والمعصية ، والنوم واليقظة ، والغفله والصحوة ، والاجتماع والافتراق ، والعمل والكسل ، والربح والخسارة ، والحياة والموت . فالدهر مركب الإنسان إلى الآخرة يحمله ويحمل متاعه وبضاعته ، وهو مزرعة الأعمال . فكل يوم يمر على الإنسان يقدمه إلى الآخرة . وقد يفرح المرء بمضى الزمن ومر الليالي وهو هدم لعمره . ولا ينظر فيما أمضاه ، أفى ربح أم في خسارة

وجواب القَسَم : ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴾ أى منغمس في الخُسر يحيط به من كل جانب إلا مَن استثنى الله .

والخسر هو الخسران . وهو النقصان وذهاب رأس المال ، ورأس مال الإنسان عمره . فإذا أضاعه في اللهو واللعب فهو خاسر . فأي خسارة أعظم من حرمانه من مناجاة ربه ؟! كل الناس يغدو ، فمعتق نفسه أو موبقها ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾(٢)

فحياة الإنسان إما أن يصرفها في المعاصي وذلك أقبح الخسران وأشده . وإما أن يصرفها في المباحات ، فالخسران حاصل لأنها إذا ذهبت لا يبقى لها أثر . وإذا صرفها في الطاعات فإن مراتب العبادة والخشوع متفاوته . فما من طاعة إلا ويمكن الإتيان بها بصورة أفضل وأكمل . فهو وإن كان رابحاً إلا أنه يحس بفوات ربح أكبر فيندم ويحس بالخسران .

وعلامة الربح : حب الآخرة وإيثارها على الدنيا .

---

(١) الحجر : ٧٢

(٢) الشمس : ٩ - ١٠

وعلامة الخسران : حب الدنيا وإيثارها على الآخرة .

والوسط فيه النجاة : ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ ﴾(١)

روي الإمام أحمد عن أبي موس الأشعري رضي الله عنه : قال : قال رسول الله ﷺ : « مَن أحب دنياه أضرَّ بآخرته ، ومن أحب آخرته أضرَّ بدنياه ، فآثروا ما يبقى على ما يفنى » (٢) .

ولما كانت الأسباب المرغبة في الآخرة خَفيّة . والأسباب المرغبةُ في الدنيا ظاهرة ، صار أكثر الناس يُؤثر الدنيا على الآخرة فوقعوا في الخسران .

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾(٣)

استثناء من الإنسان الخاسر فما بعد أداة الاستثناء هم أهل الربح والسعادة .

الإيمان قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالأركان ، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾(٤)

وروي البخاري رحمه الله عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : إنَّ النبي ﷺ قال : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن . ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن . ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن » (٥) .

---

(١) البقرة : ٢٠١

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده : ٤١٢/٤ من حديث أبي موسي الأشعري وإسناده جيد .

(٣) العصر : ٣

(٤) التوبة : ١٢٤

(٥) رواه البخاري في المظالم : ٨٦/٥ باب « النهي بغير إذن صاحبه » ، ومسلم في الصحيح (خاص ٥٧) ، و (عام ١٠٢) - الإيمان ، وهو من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

وحقيقة الإيمان اتصالُ القلب بالخالق في كل شئونه ، والتجاءُ الإنسان إلى ربه في كل أحواله . فيكتسب بذلك قوةً وثباتاً وطمأنينةً وعزاً وفخاراً بإيمانه وبمنهج خالقه ، وبكونه من حزب الله .

فاتصال الإنسان بالقوة الإلهية التي خلقته هو مصدر حياته كالغصن إذا كان متصلاً بأصله صار حياً نامياً مثمراً مفيداً .

أما إذا انفصل الغصن عن أصله فَقَد الحياة ويَبِس فلا فائدة فيه إلا كما ينتفع بالأغصان اليابسه .

والعمل الصالح ثمرة الإيمان ، فالإيمان قوة متحركة في قلب المؤمن ، ونور وضّاء ثاقب لا بد أن تظهر آثاره على الجوارح . فإذا لم تظهر آثاره فهو إيمان ميت أو مزيف ، ولا يكون العمل صالحاً إلا إذا كان موافقاً لهَدْى نبينا محمد ﷺ وكان خالصاً لله .

والتواصي بالحق من مميزات الإسلام ، فلا يكفي المرء أن يصلح نفسه ، بل لا بد من العمل وبذل الجهد والاستطاعة لإصلاح إخوانه ، فلا ينبغي للمسلم أن يرى الناس يتهافتون على النار ويسكت ، بل لا بد أن يصيح بهم ويدلهم على طريق النجاة أسوة ببنينا محمد ﷺ : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾[1] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾[2]

وروي مسلم رحمه الله عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « مَن رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان »[3] .

---

(١) الشعراء : ٢١٤

(٢) التحريم : ٦

(٣) أخرجه مسلم في الصحيح : الإيمان برقم (٤٩) ، وأخرجه أحمد في المسند : ٣/١٠ ، ٢٠ ، ٥٢ ، ٩٢ وهو من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[1]

ولما كان الحق ثقيلاً وكف الناس عن الشهوات أمر عسير ، والقيام على العدل وحراسة الأمن حِمْلٌ ثقيل ، فلا بد من الصبر والتحمل والتواصى به . الصبر على جهاد النفس وجهاد الآخرين ، والصبر على الأذى والمشقة وعناد الباطل وطول الطريق ، وقلة الرفيق . وندرة المستجيب .

هذه الصفات الأربع : الإيمان والعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر . هي التي تُنْقِذ الإنسان من ردغة الخسران . وهي منهج الإسلام . وهي صفاة الأمة التي رباها نبينا محمد ﷺ . تضافرت فيها قوة الإيمان وقوة البدن والدين والأخلاق مع قوة العلم وقوة الأدوات المادية . تضافرت فيها القوة المعنوية والقوة الحسية ، فصارت لها القيادة والسياسة والأمر والنهي . فأقامت العدل ونشرت الأمن . وكانت مع اللّه في كل شئونها فكان اللّه معها في كل أحوالها ، فقادوا العالَم إلى طريق الربح والسعادة .

فلما وضعت أمتنا راية الإسلام « لا إلَهَ إلاَّ اللّه محمد رسول اللّه » ، وانصرفت عن مصدر قوتها ومصدر سدادها وتوفيقها . انصرف اللّه عنها فصارت في مؤخرة الركب وفي ذيل القافلة وصار أكثر المسلمين غثاء كغثاء السيل ، فلا حول ولا قوّة إلا باللّه .

فاتقوا اللّه أيها المسلمون . ارجعوا إلى دينكم تعليماً وعملاً . ارجعوا إلى ربكم تجدوا عنده ما وعدكم : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾[2]

---

(١) يوسف : ١٠٨

(٢) الحج : ٤٠

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ۝٧ ﴾[1]

اللّهم بارك لنا في القرآن العظيم .....

اللّهم أبرم لأمة الإسلام أمر رشد يعز فيه أهل الطاعة ويذل فيه أهل المعصية ويُؤمر فيه بالمعروف ويُنهى فيه عن المنكر .

اللّهم اغفر لنا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

(١) محمد : ٧

٥ - التواضع فى غير مذله

(الخطبة الثانية)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾(١) ﴿ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ۝١٢٨ ﴾(٢)

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له ، المَلِكُ الحق المبين .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين .

اللّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فأوصيكم وإياي بتقوى اللّه وبالتواضع في غير منقصة . وباحتقار النفس في غير مسألة . وإنفاق المال في غير معصية . وبرحمة أهل الفقر والمسكنة . وبمخالطة أهل الفقه والحكمة .

أوصيكم وإياي بطيب المكسب وإصلاح السريرة . وبذل الندى وكفِّ الأذى . فإن هذه من عزائم الأمور ، ثم اعلموا أن اللّه تعالى أمرنا بأمر بدأ فيه بنفسه فقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ۝٥٦ ﴾(٣)

اللّهم احفظ إمامنا من كل سوء .

اللّهم كن له حافظاً وناصراً ومؤيداً على ما يرضيك .

اللّهم انصر به دينك ، وأعل به كلمتك . ووفقه لما تحب وترضى . يا سميع الدعاء .... إلخ .

* * *

---

(١) الفاتحة : ٢

(٢) الأعراف : ١٢٨

(٣) الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥١ - التقوى قوة للمؤمنين [١]

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾[٢]

هو الذي ألّف بين قلوب المؤمنين [٣] ، وجعلهم إخوة في اللّه متحابين .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاّ اللّه وحده لا شريك له .

وأشهد أنّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللّهم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه الذين عرفوا للأخوة حقها واعتصموا بحبل اللّه ولم يتفرقوا .

أما بعد ..

فكل مسلم يهتم بأمر المسلمين يجد في نفسه آلاماً شديدة لواقع المسلمين .

يجب أن ندرك الواقع على حقيقته .

فإن معرفة الواقع تحث على الإصلاح ، والاستعداد ، كما أن الإقرار بالخطأ هو طريق التصحيح .

والتوكل على اللّه هو أساس التوفيق والفلاح ، والاعتصام بحبل اللّه هو قاعدة النصر والفلاح .

إن الإسلام لا يرضي بالذلة والهوان ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٤] ولا يرضى للمسلم أن يكون مع كل زاعق وناعق .

---

(١) ألقيت في ١٤٠١/١١/٢٥ هـ .

(٢) الفاتحة : ٢

(٣) إشارة إلى قوله تعالى في سورة آل عمران : ١٠٣ ، وسورة الأنفال : ٦٣

(٤) المنافقون : ٨

« المؤمن كَيِّسٌ فَطِنٌ » ، « لا يُلْدَغ مؤمن من جُحْرٍ مرتين » [١] .

الإسلام لا يرضى أن يكون المسلمون في مؤخرة المسيرة ، بل يوجب أن تكون له القيادة والأمر والنهى . لنشر العدل بين الناس ورفع الظلم عن البَشر . ولإقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾[٢]

الإسلام يعلو ولا يُعلى عليه [٣] .

إن السبب الذي تردى بالمسلمين إلى ما هم فيه سبب واحد هو معصية الله وطاعة عدو الله . خالف بعض المسلمين أوامر الله . ونبذوا كتاب الله وهجروه واتخذوا أنظمة من وضع البشر تخالف دين الإسلام ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ ﴾[٤]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾[٥]

فخالف بعض المسلمين واختاروا آراء أعداء الله على رأى عباد الله .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴿١٠٠﴾ ﴾[٦]

---

(١) إشارة إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه : البخاري في الأدب : ٤٣٩/١٠ (الفتح) ، ومسلم في الصحيح (الزهد والرقائق) برقم (٢٩٩٨) كلاهما باب « لا يلدغ المؤمن من جُحْرٍ مرتين » .

(٢) آل عمران : ١١٠

(٣) البخاري معلقاً ، الجنائز ، باب ٧٩ ، وقد أثبت الحافظ في الفتح (٣/٢٢٠) هذا المتن في الإسناد .

(٤) آل عمران : ١١٨

(٥) الممتحنة : ١

(٦) آل عمران : ١٠٠

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾(١)

ولكن بعض المسلمين لا يُفرِّق بين المعروف والمنكر .

وكلما قرأنا آية من آيات القرآن الكريم التى تقرر دعائم الإيمان وترسُم المنهج القويم . نرى واقع المسلمين يخالفه . هذا هو السبب المؤلم . هذا هو الذي فرَّق شمل الأمة الإسلامية . وأنزلها من قمة العزة والهيبة إلى التأخر ، وهل ترون أيها المسلمون من مخرج . وهل ترون من سبيل إلى العودة إلى المجد والرفعة .

نعم .. إن الإسلام لم يترك الأمة الإسلامية لقمة لأعدائها . ولم يغفل عن أي مشكلة من مشكلاتها .

بل وضع حلولاً لكل المشاكل وفتح مخارج من كل المآزق ، فطريق العودة واضح بيِّن قد رسمه القرآن الكريم ، ومنارة واضحة جلية . فاقرأوا من سورة آل عمران قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴾(٢)

هذه الآيات جاءت بعد النهي عن طاعة بعض أهل الكتاب لبيان المخرج الصحيح فيما لو وقع المسلم في طاعة أعدائه .

ثلاث ركائز هي مجامع الطاعات ومعاقد الخيرات ، إذا عمل بها المسلمون رجعوا إلى ما كانوا عليه في القرون المفضلة .

فتقوى الله هي الركيزة الأولى وهي ملازمة ذكره وطاعته والتمسك بشريعته مدى الحياة تحت رعاية الله وتوفيقه .

---

(١) آل عمران : ١٠٤

(٢) آل عمران : ١٠٢ - ١٠٣

والاعتصام بحبل الله هو الركيزة الثانية . فحبل الله هو السبب الذي يصل الخلق بالله ، والاعتصام هو التمسك به . ورابطة الأخوة الصحيحة هي المنبعثة من التقوى والاستسلام لله ، تلك الرابطة التي تربط بين قلوب المؤمنين . وما عدها من القوميات والحزبيات ، لا تربط بين القلوب أبداً ، فمتى تآلفت القلوب . توحدت الأهداف وتكاتفت القُوَى وتعاطفت النفوس وإن تباعدت الأبدان ، أما إذا اختلفت القلوب فلن يكون هدفٌ موحد ولا صفٌ ملتحم . ولا تعاطفٌ ولا تراحم . مهما اجتمعت الأبدان .

والركيزة الثالثة هي شكر الله وتذكرُ نعمه على الناس عامة ، فهو الخالق الرازق القيوم على خلقه ، وتذكر نعمته على المؤمنين خاصة إذْ هداهم إلى صراطه المستقيم وألّف بين قلوبهم [١] .

فاتقوا الله أيها المسلمون . كونوا عباد الله إخواناً .

« لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » [٢] .

« المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسلمه ولا يخذله » [٣] .

« كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعِرضه » [٤] .

﴿ ٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾[٥]

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى في سورة آل عمران : ١٠٣

(٢) البخارى . باب في الإيمان : « أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه » : ١/٥٧ و٥٤ (الفتح) ، ومسلم الإيمان برقم (٤٥) وهو من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٣) البخارى . المظالم : ٥/٧١ من حديث ابن عمر رضي الله عنه ، ومسلم : البر والصلة برقم (٢٥٨٠) .

(٤) مسلم : البر والصلة حديث رقم (خاص ٢٣٢) ، و (عام ٢٥٦٤) وهو من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٥) آل عمران : ١٠٢ بلفظ : ﴿ واعتصموا ... ﴾ .

كونوا كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » [١] .

كونوا كالبنيان يشد بعضه بعضاً [٢] .

ارجعوا إلى إسلامكم ، وحكِّموا كتاب الله وسُنَّة نبيه ﷺ بينكم .

كلوا من الطيبات . واجتنبوا الخبائث والمحرَّمات .

علِّقوا قلوبكم بالله وحده . واستمدوا قوتكم منه ، وانصحوا لإخوانكم . وأصلحوا ذات بينكم .

كونوا مع الله يكن الله معكم .

وانصروا كتابه وسُنَّة نبيه ينصركم ويثبت أقدامكم .

فإذا فعلتم ذلك عاد لكم مجدكم وعزتكم وسيادتكم ، أما إن بقيتم على ما أنتم عليه فأنتم في هبوط وانحدار ، فاعتبروا يا أولى الأبصار .

اللَّهم ارحمنا وألطف بنا . وألِّف بين قلوبنا . وانصرنا على عدوك وعدونا . واغفر لنا ولجميع المسلمين ، الأحياء والميتين ، إنك أنت الغفور الرحيم .....

* * *

---

(١) إشارة إلى حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه : البخارى برقم (٦٠١١) ، و مسلم : البر والصلة برقم (خاص ٦٦) ، و (عام ٢٥٨٦) من هذا الوجه واللفظ .

(٢) إشارة إلى حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه : البخارى برقم (٤٨١) الصلاة باب (٨٨) باب « تشبيك الأصابع في المسجد وغيره » ، ومسلم : البر والصلة رقم (خاص ٦٥) ، و (عام ٢٥٨٥) من هذا الوجه واللفظ .

٥١ - تبرز الأخوة في تجمع الحج

(الخطبة الثانية)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١) .

اللّهم لا نحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيتَ على نفسك (٢) .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاّ اللّه وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ نبينا محمداً عبده ورسوله .

اللّهم صلِّ وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

ففي هذه الأيام المشرقة ، تهوي أفئدة من الناس إلى بيت اللّه الحرام استجابة لداعي اللّه . فتجتمع تلك القلوب المؤمنة عند بيت الجواد الكريم ، أُخوةً في اللّه . قد اعصتموا بحبل اللّه . وربطت بينهم : « لا إلَهَ إلاّ اللّه محمد رسول اللّه » .

إنها عبادة وتجمع إسلامي تبرز فيه الأخوة الإسلامية في أعلى صورها وأجمل معانيها ، فيجب على المسلم أن يعرف لشعائر الحج أهدافها . وأن يعرف لهذه البقاع المقدسة حرمتها ومكانتها ، وأن يعرف لإخوانه المسلمين حقوقهم ، ولحجاج بيت اللّه الحرام منزلتهم . فإنهم ضيوف اللّه ووفود بيته المطهّر .

فاتقوا اللّه عباد اللّه ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ (٣)

* * *

---

(١) الفاتحة : ٢

(٢) إشارة إلى حديث عائشة رضي اللّه عنها ، مسلم : الصلاة حديث رقم (٢٢٢) كما مر مراراً .

(٣) الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٢ - الزجر عن الظلم [١]

(الخطبة الأولى)

الحمد لله .. أحمده وأستعينه ، وأستغفره وأتوب إليه . وأعوذُ باللهِ من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدى بهَدْيه واستنَّ بسُنَّته .

أما بعد ..

فيا أيها المسلمون أوصيكم وإياي بتقوى الله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾[٢]

أيها الناس .. إنَّ اللّه تعالى هو أحكم الحاكمين ، وهو أرحم بعباده من جميع العالَمين ، حرَّم الظلم على نفسه وجعله بين عباده محرَّماً ، وتوعَّد الظالمين بالعقاب الأليم في الدنيا . والعذاب الشديد في الآخرة ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[٣]

---

(١) ألقيت في ١٣٩٤/٨/٥ هـ .

(٢) الأنفال : ٢٩

(٣) هود : ١٠٢

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ ﴾(١)

وحذَّر نبينا محمد ﷺ من الظلم ومغبته وعواقبه ، وأمر برد المظالم إلى أهلها . قال عليه الصلاة والسلام : « مَن كانت عنده مظلمة لأخيه من عرض أو من شيء فليتحلله منه اليوم قبل ألا يكون دينار ولا درهم ، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته ، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحُمِلت عليه » (٢) .

عباد الله .. أتدرون ما هو الظلم ؟ إنه وضع الشيء في غير موضعه . فهو ضد الحكمة التي هي وضع الأشياء في مواضعها . وأعظم الظلم الإشراك بالله . وعقوق الوالدين . والتعدي على أموال المسلمين ودمائهم وأعراضهم ، فمن الظلم الذي وقع فيه كثير من الناس جحد الحقوق والمماطلة بها والإدلاء بها إلى المحاكم مُضَارة لصاحب الحق ومعاندة . وقد نهى الله تعالى عن ذلك وسماه إثماً فقال سبحانه : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾(٣)

وأعظم من ذلك إثماً الذي يحلف يميناً كاذبة يقتطع بها حق إنسان مسلم سواء أكان قليلاً أو كثيراً ، إنها اليمين الغموس التي تغمس صاحبها في النار .. وهي من السبع المهلكات . قال صلى الله عليه وسلم : « مَن اقتطع حق إنسان مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرَّم عليه الجنة » ، فقال رجل : وإن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله ؟ فقال : « وإن كان قضيباً من أراك » (٤) .

ومن أشنع الظلم ما تجرأ عليه بعض الناس من الاستيلاء على أراضي وبيوت

---

(١) إبراهيم : ٤٢

(٢) صحيح البخاري : ١٣٨/٨

(٣) البقرة : ١٨٨

(٤) صحيح مسلم : ١٢٢/١ حديث (١٣٧) .

معمورة مملوكة لأناس غائبين . أو غافلين عنها . فيستغل غفلتهم أو غيبتهم أو إهمال المحافظ عليها أو مداهنته فيتصرف فيها ويتملكها لنفسه بدون حق . أو يكون استأجرها فيجحد الإجارة ويدّعي بأنه احتكرها ومَلَكها . أو يكون استعارها فينكر العارية ويدّعي بأنه تملكها بالاستيلاء أو الإحياء ، وهو يعلم أنها مملوكة لمسلم ملكاً شرعياً . فيدلي به إلى الحاكم ليأكله بالباطل ، وقد يحضر بيِّنة كاذبة تشهد له ظلماً وزوراً ، ولعل بعض الخصمين أن يكون ألحن بالحُجَّة من الآخر فيقضي الحاكم بينهم على نحو ما يسمع من حججهم وبيِّناتهم .

وحكم الحاكم لا يحل حراماً ولا يحرِّم حلالاً . فمَن حُكِم له بشيء من مال أخيه بدون حق فهو حرام على آخذه ، وظلم ولهب من نار جهنم . إن تصدق به لم تُقبل صدقته . وإن صلّى فيه لم تصح صلاته ، « لأن اللّه طيب لا يقبل إلا طيباً » [١] .

ورد في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال : « إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إليّ ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له بنحو ما أسمع . فمَن قضيتُ له بحق أخيه فإنما أقطع له قطعة من النار » [٢] .

ومن الظلم المركَّب ما يفعله بعض الناس إذا جنى على إنسان أو مال خطأ أو عمدا يهرب ويختفي ليلصق الجريمة بغيره . إنه ظالمٌ لنفسه بتعريضها لسخط اللّه وعقابه . وظالم للمجني عليه إذ لم يؤده حقه ولم ينصفه من نفسه . وظالم للسلطات المكلفه ببذل الجهد للبحث عن الجاني . وظالم لأبناء جنسه الذين سيجري التحري بينهم عن الجاني .

أيها المسلمون .. احذروا الظلم فإنه همٌ وغمٌ في الدنيا . وهلاك وعار في

---

(١) صحيح مسلم : ٧٠٣/٢ حديث (١٠١٥) .

(٢) صحيح البخاري : ٣٢/٩ ، وصحيح مسلم : ١٣٣٧/٣ حديث (١٧١٣) .

« مَن ظلم شبراً من أرض طوقه من سبع أرضين » [١] ، « إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته » [٢] .

واعجباً للظالم ؟! كيف يهدأ له بال ، وكيف تَقَر له عَيْن ، أم كيف يتلذذ بالحياة ونعيمها والله هو خصمه مع المظلوم حتى ينتصر له ؟! أما يعلم الظالم أنه تحت قهر الله وفى قبضته ؟! أما يخاف من عقوبة عاجلة في الدنيا ؟! هل أمن من مكر الله ﴿ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾[٣]

فكم من نفس شابة يافعه قتلها الظلم . وكم من مال كثير سحقه الظلم وفرّقه. وكم من نعمة ضافية وعيشة راضية أزالها . وكم من قصر مشيد هدم شرفاته ، وأورثه غير أهله . وكم من عز ورفعة أبدلها ذلاً وهواناً .

ألم يؤمن الظالم باليوم الآخر الذي تُقضى فيه المظالم لأهلها ، يوم لا ينفع مال ولا بنون ؟ أم لم يؤمن بأنه سيقف بين يدي حَكَم عدل يعلم السرائر ؟ أم لم يصدق بأنه سيشهد عليه سمعه وبصره ويده ورجله وجوارحه بما كان يعمل ؟

فاتقوا الله عباد الله . واتقوا دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب . وردوا المظالم إلى أهلها ما دمتم في سعة من الأمر ، وتسامحوا تفوزوا وتفلحوا ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾[٤]

اللّهم أكفنا بحلالك عن حرامك . وبفضلك عمَّن سواك [٥] .

---

(١) صحيح البخاري كتاب المظالم ، باب « مَن ظلم شيئاً من الأرض » ، ومسلم : ١٢٣٢/٣ حديث (١٦١٢) .

(٢) صحيح البخاري : ٩٣/٦ - ٩٤ ، ومسلم : ١٩٩٧/٤ حديث (٢٥٨٣) .

(٣) الأعراف : ٩٩

(٤) الطلاق : ٢ - ٣

(٥) حديث أخرجه الترمذي (٣٥٥٨) ، وإسناده حسن .

اللّهم أقنعنا بما رزقتنا . وبارك لنا فيما أعطيتنا .

اللّهم ثبتنا على الصراط المستقيم . وأنفعنا بالقرآن العظيم وبسُنَّة خاتم النبيين ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين . وتوبوا إلى اللّه جميعاً أيها المؤمنون واستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم .

* *

٥٢ - الخيانة من الظلم

(الخطبة الثانية)

الحمد لله حمداً كثيراً مباركاً فيه .

وأشهد أنْ لاَ إلَه إلاَّ اللّه وحده لا شريك له

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، صلّى اللّه عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعهم بإحسان وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد ..

فيا أيها المسلمون اتقوا اللّه تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾(١)

واعلموا - رحمني اللّه وإياكم - أنَّ من الظلم والخيانة أن يؤتمن إنسان على شيء من أموال المسلمين . سواء أكانت لبيت المال أو للفقراء والمساكين . أو لليتامى والمستضعفين . ثم يخون أمانته ويخفر ذمته فيختلس من هذه الأموال ويأكلها ظلماً وعدواناً ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ ﴾(٢)

واحذروا دعوة المظلوم فإنها لا تُرَد بل تُرفع فوق الغمام . وتُفتح لها أبواب السماء . وأقسم اللّه بعزته أنه ينصرها ولو بعد حين .

واعلموا أنَّ اللّه تعالى قد أمرنا بأمر بدأ فيه بنفسه فقال عزَّ مِن قائل عليم :

---

(١) الأحزاب : ٧٠ - ٧١

(٢) النساء : ١٠

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾(١)

اللّهم صلِّ وسلّم على البشير النذير والسراج المنير ، عبدك ورسولك نبينا محمد ، وارضَ اللّهم عن الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء : أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ ، وعن بقية أصحاب نبيك أجمعين وزوجاته أمهات المؤمنين . وأهل بيته الطيبين الطاهرين ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

اللّهم ارضَ عنا معهم بمنك وإحسانك يا أرحم الراحمين .

اللّهم أعز الإسلام والمسلمين . وأذل الشرك والمشركين ، ودمر أعداء الدين .

اللّهم انصر جيوش المسلمين وأيدهم بالنصر والتمكين . واجمع شملهم . ووحِّد صفوفهم . واربط على قلوبهم وثبت أقدامهم ، وانصرهم على القوم الكافرين .

اللّهم اخذل اليهود وأعوانهم وفرِّق جمعهم وشتت شملهم وأذهب ريحهم . وصدِّع صفوفهم ، وأنزل الرعب في قلوبهم ، وأنزل عليهم بأسك الذي لا يُرد عن القوم المجرمين .

اللّهم احفظ إمامنا إمام المسلمين ، ووفقه لما يصلح العباد والبلاد واجعله للحق ناصراً ومؤيداً ، وأيده بتوفيقك وانصره على الظالمين .

اللّهم اغفر للمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات .

اللّهم ادفع عنا الغلا والربا ، والزنا والزلازل . وسوء الفتن ، ما ظهر منها وما بطن . وعن جميع المسلمين .

اللّهم فرِّج هم المهمومين ، واقض الدَّيْنَ عن المدينين ، واشف مرضى المسلمين .

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾(٢)

---

(١) الأحزاب : ٥٦

(٢) النحل : ٩٠ - ٩١

وأكثروا من ذكر الله ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾[1] ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾[2]

* * *

(١) الرعد : ٢٨

(٢) العنكبوت : ٤٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٣ - احفظ اللَّه يحفظك [١]

(الخطبة الأولى)

﴿ الْحَمْدُ للَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [٢] ..

﴿ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ۝ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴾ [٣] ، والذى يطعم ويسقى . والذي يميت ثم يحيي . وهو المرجو في كل الحالات ، والمستجيب للدعوات . وهو قاضي الحاجات ، فله الحمد في الآخرة والأولى [٤] .

وأشهد أنْ لا إلَه إلاَّ اللَّه وحده لا شريك له . لا مُعقب لحكمه ، ولا راد لقضائه [٥] . فسبحان الواحد القهار .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله . بلَّغ وأدى ونصح وأبلى .

اللَّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد في الأولى والأخرى . وعلى آله وأصحابه ومَن سلك سبيله وعلى إثره اقتفى .

أما بعد ..

فإن جميع المخلوقات في هذا الوجود الضخم لم تُوجد إلا باللَّه . فكلها محتاجه إليه ولا بقاء لها إلا به ، والإنسان جنس من أجناس هذا الوجود . كرَّمه

---

(١) ألقيت في ٨/٦/١٤١٠ هـ .

(٢) الفاتحة : ٢

(٣) الأعلى : ٢ - ٣

(٤) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة القصص ٧٠

(٥) إشارة إلى معنى قوله تعالى في سورة الرعد آية رقم ٤١ ، ونحو هذا المعنى ما جاء في قوله تعالى في سورة الرعد آية رقم ٤١ : ﴿ وَاللَّهُ يَحْكُمُ لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ، وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ .

اللّه فخلقه بيده . واختاره لعبادته ومناجاته . فكلّفه وخاطبه . وعلّمه ووجّهه ، ورغّبه وحذّره ، فهو مرتبط باللّه في كل أحواله . في حركاته وسكناته . ودقات قلبه وأنفاسه ، فلو انفك عنه لحظة هلك . وما أجمل كلمات علّمها النبي ﷺ لابن عمه عبد اللّه بن عباس رضي اللّه عنهما . كما في مسند الإمام أحمد رحمه اللّه عن عبد اللّه بن عباس رضي اللّه عنهما قال : كنتُ رديف النبي ﷺ . فقال : « يا غلام - أو يا غُليم - ألا أعلمك كلمات ينفعك اللّه بهن » ؟ . قلت : بلى . قال : « احفظ اللّه يحفظك ، احفظ اللّه تجده أمامك ، تعرّف إلى اللّه في الرخاء يعرفك في الشده . إذا سألتَ فاسأل اللّه ، وإذا استعنتَ فاستعن باللّه . قد جف القلم بما هو كائن ، فلو أن الخلق كلّهم جميعاً أرادوا أن ينفعوك بشيء لم يكتبه اللّه لك لم يقدروا عليه ، وإن أرادوا أن يضروك بشيء لم يكتبه اللّه عليك لم يقدروا عليه . واعلم أن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً ، وأن النصر مع الصبر ، وأن الفَرَج مع الكرب ، وأنَّ مع العُسْرِ يُسْراً » (١) .

وفي بعض الروايات : « واعلم أنَّ ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وما أصابك لم يكن ليخطئك » (٢) .

هذه عشر كلمات مَنْ عمل بهن وأيقن بمعناهن نفعه اللّه بهن .

« احفظ اللّه يحفظك » ، أى احفظ حقوق اللّه واعمل بشريعته وأقم حدوده . واجتنب حرماته . تكن تحت رعايته وعنايته وهدايته وتوفيقه في أمور دينك ودنياك .

فمَن أمن باللّه ورسالاته وألوهيته وربوبيته وبأسمائه وصفاته من غير تشبيه ولا تمثيل . ومن غير تحريف ولا تعطيل . وأقام شريعة الإسلام كما جاء بها النبي ﷺ فأقام الصلاة . وآتى الزكاة . وحج البيت ، وأمر بالمعروف ونهى عن

---

(١) مسند الإمام أحمد : ٣١٧/٥

(٢) إشارة إلى حديث عبادة بن الصامت رضي اللّه عنه أخرجه أحمد في المسند : ٣١٧/٥ ، وإسناده حسن لغيره مع الشواهد .

المنكر بحسب قدرته . وجاهد في اللّه بحسب طاقته وإمكانياته ، واستحيا من اللّه فاجتنب المحرّمات والموبقات ، وحفظ قلبه عن البدع والأهواء والشكوك وحَفِظ فَرْجه عن الزنا واللواط . وحفظ لسانه عن كلام الفُحْش والخرافات والغيبة والنميمة . وحَفِظ بطنه عن أكل أموال الناس بالباطل ، واجتنب الربا واحترم أموال الناس ودماءهم وأعراضهم : فقد حفظ اللّه .

روى الإمام أحمد والترمذي عن عبد اللّه بن مسعود رضي اللّه عنه قال : قال رسول اللّه ﷺ : « استحيوا في اللّه حق الحيا » ، قال : قلنا : يا رسول اللّه ؛ إنّا نستحيي والحمد للّه . قال : « ليس ذاك . ولكن الاستحياء من اللّه حقّ الحيا أن تحفظ الرأس وما وعى . والبطن وما حوى . ولْتَذكر الموت والبلى . ومَن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا . فمَن فعل ذلك فقد استحيا من اللّه حق الحيا » .. واللفظ للترمذي [١] .

وروي أحمد عن أبي موسى الأشعري رضي اللّه عنه قال : قال رسول اللّه ﷺ : « مَن حفظ ما بين فِقْميه وفرجَه دخل الجنة » [٢] .

والجزاء من جنس العمل .. ﴿ فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾[٣] ﴿ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ

---

(١) الترمذى : برقم (٢٤٥٨) كتاب صفة القيامة ، وذلك من حديث عبد اللّه بن مسعود رضي اللّه عنه وقال الترمذي عقب هذا الحديث : هذا حديث إنما نعرفه من هذا الوجه من حديث أبان بن إسحاق عن الصباح بن محمد .

قلت : أخرجه أحمد في المسند : ٣٨٧/١ من هذا الوجه واللفظ وإسناده فيه ضعف ، وقد أخرجه الحاكم في المستدرك : ٣٢٣/٤ ، وفي إسناده الصباح بن محمد بن أبي حازم البجلي الأحمسى الكوفي . قال الحافظ في التقريب (٣٦٤/١) : ضعيف أفرط فيه ابن حبان .

قلت : لو وقف الأمر في الموضوع لنجد أن معناه قد روي بألفاظ أخرى وصحيحة كما سوف يأتي إن شاء اللّه تعالى ، واللّه أعلم .

(٢) أحمد في المسند : ٣٩٨/٤ من حديث أبي موسى الأشعري رضي اللّه عنه ، وفي إسناده رجل مبهم لم يسم ولكن رواه الطبراني من حديث أبي رافع رضي اللّه عنه وإسناده جيد - المجمع : ٣٠٠/١٠

(٣) البقرة : ١٥٢

يَنصُرْكُمْ ﴾[١] ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾[٢] فمَن حفظ اللّه حفظه اللّه في مصالح دينه ودنياه ، في أهله وماله وولده . فالمسلم الذي يحفظُ أوامر اللّه ونواهيَه وحدودَه يحفظه اللّه بأنواع من الحفظ قد لا يشعر العبد ببعضها وقد يكون كارهاً لها .

قال ابن عباس رضي اللّه عنه في قوله تعالى : ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ ﴾[٤]. قال : « يحول بين المؤمن وبين التي تجره إلى النار » .

وقال الحسن البصري رحمه اللّه في أهل المعاصي : « هانوا على اللّه فَعَصَوْه ولو عَزُّوا عليه لعَصَمَهُم »[٤] .

وقال ابن مسعود رضي اللّه عنه : إنَّ العبد ليَهم بالأمر من التجارة والإمارة حتى يتيسر له فينظر اللّه إليه فيقول لملائكته : اصرفوه عنه . فإنه إن تيسَّر له ادخلته النار . فيصرفه اللّه عنه فيُقْبل يتطير يقول : شتمني فلان وأهانني فلان [٥] وما هو إلاّ فضل اللّه عَزَّ وجَلَّ .. ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾[٦] .

ومَن حفظ أوامر اللّه حفظ عليه دينه فلا يقع في الشبهات المضلة ولا في الشهوات المحرِّمة . ويموت على الإيمان ، إن شاء اللّه ، ويحفظه من شياطين الجن والإنس ومن النفس الأمّارة بالسوء .

---

(١) محمد : ٧

(٢) البقرة : ٤٠

(٣) الأنفال : ٢٤

(٤) أظن هذا القول رواه أبو نعيم في الحلية في ترجمة الحسن البصري وابن الجوزي في صفة الصفوة له ، وكنت قد وقفت عليه في مصادر أخرى . واللّه أعلم .

(٥) لم أقف عليه مسنداً واللّه أعلم بصحته وإن معناه لصحيح .

(٦) البقرة : ٢١٦

ومَن حفظ اللّه في شبابه وقوته ، حفظه اللّه حال كبره وضعفه ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦ ﴾(١) فيُمتعه بسمعه وبصره وعقله وقوته . وإن اللّه تعالى ليحفظ بالرجل الصالح ولده وأهله وجيرانه ، قال اللّه تعالى في قصة موسى مع الخضر عليهما السلام في شأن الجدار : ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا ﴾(٢) فحفظ اللّه الغلامين اليتيمين وحفظ مالهما بصلاح أبيهما .

وقال ابن المنكدر : إن اللّه ليحفظ بالرجل الصالح ولده وولد ولده والدُّويرات التي حوله ، فما يزالون في حفظ من اللّه وستر . والضد بالضمد ﴿ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾(٣) ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ﴾(٤) فمَن ضيَّع اللّه ضيَّعه اللّه فضاع بين خلقه حتى يدخل عليه الضرر والأذى ممن كان يرجو نفعه من أهله وغيرهم .

وقوله صلى اللّه عليه وسلم : « احفظ اللّه تجده أمامك » ، وعند الترمذي : « تجاهك » . قال ابن رجب رحمه اللّه : معناه مَن حفظ حدود اللّه وراعى حقوقه وجد اللّه معه في كل أحواله حيث توجه . يحوطه وينصره ويحفظه ويسدده ويوفقه .

ومَن يكن اللّه معه ، حصلت له القوة التي لا تُغلَبَ والركن الشديد الذي لا يُهدم . والحارس الذي لا ينام ، والهادي الذي لا يضل .

كتب بعض الصالحين إلى أخ له : أما بعد ،. فإن كان اللّه معك فمن تخاف ، وإن كان عليك فمَن ترجو .

---

(١) التين : ٤ - ٦

(٢) الكهف : ٨٢

(٣) التوبة : ٦٧

(٤) الأنفال : ٣٠

وأيضاً فإن المسلم الصالح من ذكر وأنثى يسير على صراط مستقيم . عليه داع إلى الله ، والصراط يؤدي إلى الجنة ، والجنة سقفها عرش الرحمن ، والرحمن على العرش استوى .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « تعرَّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة » (١) .

التعرف إلى الله يكون بطاعته وطاعة رسوله ﷺ واتباع شريعته ودوام الاتصال به بالذكْر والدعاء والطاعات والعبادات المشروعة والرغبة والرهبة . والخوف والرجاء ، فمَن أقبل على الله أقبل الله عليه . ومَن توجه إلى الله توجه الله إليه . ومَن مشى إلى الله شبراً مشى الله إليه ذراعاً (٢) . كما جاءت بذلك الأحاديث ، فمَن عامل الله بالتقوى والطاعة في حال رخائه عامله الله باللطف والإعانة في حال شدته .

فهذا نبي الله يونس عليه الصلاة والسلام لما دعا الله وهو في بطن الحوت قالت الملائكة : يارب .. هذا صوت معروف في بلاد غريبة . يارب .. أفلا ترحم ما كان يصنع في الرخاء فتنجيه من البلاء ، قال : بلى . فأمر الله الحوت فطرحه في العراء (٣) .

أما مَنْ نسي ذكر الله وأهمل أوامره نسيه الله . قال تعالى عن المنافقين : ﴿ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾(٤) ﴿ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾(٥)

(١) أخرجه أحمد في المسند : ٣٠٧/١ ، وذلك من حديث ابن عباس رضي الله عنهما وهذا جزء من الحديث الطويل وإسناده جيد .

(٢) إشارة إلى حديث أنس بن مالك رضي الله عنه : البخارى برقم (٧٥٣٦) - التوحيد ، باب رقم (٥٠) وهو حديث قدسي يرويه رسول الله ﷺ عن ربه ، ومسلم في الصحيح : الذكر والدعاء ، حديث رقم (خاص ٢) ، و (عام ٢٦٧٥) وهو من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بهذا اللفظ ورقم (٣) خاص أيضاً : ٢٠٦١/٤ - ٢٠٦٢

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور : ٦٦٨/٥ إلى ابن أبي حاتم وابن أبي الدنيا في الفرج ، وذكره الإمام ابن كثير في تفسيره : ٥٨٧/٤ - ٥٨٨ في سورة الأنبياء .

(٤) التوبة : ٦٧

(٥) طه : ١٢٦

وهذا فرعون كان طاغياً ناسياً لذكر الله ، فلما أدركه الغرق وصار في شدة قَالَ : ﴿ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ ، فلم يبال الله به ولم يستجب لدعائه ولم يقبل إيمانه ﴿ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ ﴾[1]

وقال سلمان الفارسي رضي الله عنه : إذا كان الرجل - أى والمرأة - دَعَا في السراء فنزلت به ضراء فدعا الله تعالى قالت الملائكة : صوت معروف ، فَشَفَعُوا له . وإن كان غير ذلك قالت الملائكة : صوت غير معروف فلا يشفعون له [2] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾[3]

« اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك » [4] ، واغفر لنا إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

---

(١) يونس : ٩٠ - ٩١

(٢) لم أقف عليه والله أعلم به .

(٣) فصلت : ٣٠ - ٣١

(٤) من دعاء النبي ﷺ أخرجه أحمد في المسند : ٢٩٩/٢ من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه ، عزاه السيوطي في الدر المنثور : ٣٦٩/١ إلى الإمام أحمد وأبو داود و النسائى وغيرهم من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه .

٥٣ - إذا سألت فاسأل الله

(الخطبة الثانية)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١) .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللّهم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه ومَن اتبع سبيله ودعا بدعوته .

أما بعد ..

فأوصيكم وإياي بتقوى اللّه . ومراقبته في السر والعلانية . ثم نتابع بقية وصية النبي ﷺ لعبد اللّه بن عباس .

قال : « إذا سألت فاسأل اللّه » : الدعاء مخ العبادة (٢) ، وقد حثّ اللّه تعالى عليه فقال : ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا ۖ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ۚ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ (٣)

وروي الترمذي عن عبد اللّه بن مسعود مرفوعاً : « سَلُوا اللّه من فضله فإنَّ اللّه يحب أن يُسأل » (٤) .

---

(١) الفاتحة : ٢

(٢) الترمذى برقم (٣٣٧١) من حديث أنس رضي اللّه عنه بهذا اللفظ وبلفظ : « الدعاء هو العبادة » من حديث النعمان بن بشير رضي اللّه عنه برقم (٢٩٦٩) إسناده صحيح .

(٣) النساء : ٣٢

(٤) الترمذى برقم (٣٥٧١) الدعوات - من حديث ابن مسعود رضي اللّه عنه وقد تكلم الترمذي على إسناده ومعناه صحيح .

وعن أبي هريرة : « مَن لم يسأل الله يغضب عليه » [١] .

وسؤال الله تعالى هو المتعَيِّن ، ففيه إظهار الذلّ من السائل والمسكنة والحاجة والافتقار ، وفيه الاعتراف بقدرة المسئول على رفع الضر أو قضاء الحاجة .

وأما المخلوق فهو مسكين ضعيف شحيح .. إذا سُئل غضب .

وقال طاووس لعطاء : إياك أن تطلب حوائجك ممن أغلق دونك بابه وجعل دونها حُجَّابه ، وعليك بمن بابه مفتوح إلى يوم القيامة ، أمرك أن تسأله ووعدك أن يجيبك [٢] .

وقوله : « وإذا استعنتَ فاستعن بالله » [٣] هو معنى : « لا حَوْل ولا قوة إلا بالله » .

فالعبد محتاج إلى الاستعانة بالله على فعل المأمورات وترك المحظورات والصبر على المقدورات في الدنيا وعند الموت وفي الآخرة . وعلى الثبات على الإيمان . وعلى شكر نِعَم الرحمن . وعلى جلب الرزق الحلال ، فلا يقدر على ذلك إلا الله تعالى . ومَن ترك الاستعانة بالله واستعان بغيره وكله الله إلى مَن استعان به فصار مخذولاً .

وقوله : « جف القلم بما هو كائن » [٤] هذا هو القدر . قد كتب الله نظام هذه الدنيا أفرادها وجماعتها ودولها وشعوبها ومقاديرها إلى يوم القيامة .

---

(١) الترمذى برقم (٣٣٧٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وإسناده جيد .

(٢) أحمد : من هذا قوله تعالى في سورة البقرة آية ١٨٦ ، وأما طاووس فهو ابن كيسان اليماني ، ذكره الحافظ في التقريب فقال : ثقة ، فقيه فاضل من الثالثة ... إلخ .

(٣) جزء من حديث ابن عباس رضي الله عنهما : الترمذى برقم (٢٥١٦) صفة القيامة ، وإسناده حسن وقد حسّنه الترمذي .

(٤) إشارة إلى حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أخرجه البخارى معلقاً : القدر باب (٢) ، وقال الحافظ في الفتح (٤٩١/١١) : أخرجه أحمد وصححه ابن حبان ثم ذكره .

فكل ما يحصل فمن ذلك الكتاب ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ﴾(١)

وقال جابر للنبي ﷺ : ففيم العمل اليوم ؟ أفيما جفَّت به الأقلام وجرت به المقادير أم فيما يُستقبل ؟ قال عليه الصلاة والسلام : « بل فيما جفَّت به الأقلام وجرت به المقادير » (٢) . وقال : « اعملوا فكلٌ مُيَسَّرٌ لما خُلِق له » (٣) .

وقوله : « فلو أنَّ الخلق كلهم جميعاً أرادوا أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله لك ... » ... إلخ (٤) .

معناه أنَّ كل ما يحصل للإنسان من نفع وما يحصل عليه من ضُر كله مقدَّر مُسَطر في اللوح المحفوظ . وهذا لا يُنافي فعل الأسباب والاجتهاد في تحصيل المطلوب ودفع المكروه ، فإن الأشياء معلقةٌ بأسبابها ولن يحصل إلا ما كتبَ الله ، فالمسلم يعمل بالأسباب ويوقن بأن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه .

والصبر على الأذى وعلى الطاعات من باب جهاد النفس وقمعها عن شهواتها . والصبر من أخلاق الأنبياء والصالحين .

والله تعالى بيَّن جزاء الأعمال وجعل لها نهاية وحداً فقال : ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾(٥)

---

(١) الحديد : ٢٢

(٢) مسلم في الصحيح كتاب القدر حديث رقم (خاص ٢٨) ، و(عام ٢٦٤٨) من حديث جابر رضي الله عنه .

(٣) هذا جزء من هذا الحديث : مسلم (٨ خاص) ، و(عام ٢٦٤٨) ، ومن حديث عمران ابن الحصين ، مسلم : برقم (٢٩ خاص) ، و(عام ٢٦٤٩) .

(٤) جزء من حديث ابن عباس رضي الله عنهما : الترمذى (٢٥١٦) صفة القيامة ، وقد حسَّنه الترمذي ، وقد أورده فضيلة الخطيب بمعناه هنا .

(٥) الأنعام : ١٦٠

وجعل جزاء الصدقة في سبيل الله فوق ذلك إلى سبعمائة ضعف .

وجعل جزاء الصابرين بغير حساب .

والصبر سبب للنصر والظفر بالمطلوب .

وكلما اشتد الكرب وتعسر الأمر وصبر العبد فإن الفَرَج أقرب له ، واليُسْر أسرع إليه . وذلك لأن القلب يكون أخلص في الدعاء وأكثر رجاء لله وتوجهاً الله .. ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ ﴾(١) . ولن يغلب عُسْرٌ يُسرين .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٢٠٠ ﴾(٢)

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ۝٥٦ ﴾(٣)

* * *

(١) الشرح : ٥ - ٦

(٢) آل عمران : ٢٠٠

(٣) الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٤ - فضل الرباط في سبيل الله [١]

(الخطبة الأولى)

الحمد لله رب العالمين ، يتودد إلى عباده المؤمنين ، ويدلُّهم على تجارة تنجيهم من عذاب أليم .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له . يَبْتَلي الناس بعضَهم ببعض ، ليعلم الذين صدقوا ، ويعلم الكاذبين ، ويعلم الذين آمنوا ويعلم المنافقين .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، نُصر بالرعب مسيرة شهر [٢] وجُعلت الذلة والصغار على مَن عصاه وخالف أمره .

اللّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك محمد ، وصلِّ اللّهم على آله وأزواجه وأصحابه وعلى أتباعهم بإحسان ، وسلِّم تسليماً كثيراً .

أما بعد ..

فإن وظيفةَ المؤمنين في هذه الحياة أشرف الوظائف ، ومهمتهم أصعبُ المهمات ، فهم أمناء على دين اللّه ، وخلفاء في أرض اللّه ، وشهداء على الناس ، وهم حملةُ راية الدعوة إلى دين اللّه ، والإصلاح في خلق اللّه .

والنفسُ البَشرية تُلم بها لحظاتٌ طارئة تَعُوقها عن أداء واجباتها ، ولا عصمة للنفس من تلك الطوارئ إلا بذكر اللّه الدائم ، والاتصال المستمر باللّه ، وبتربية

---

(١) ألقيت في ١٤١١/٤/١٥ هـ .

(٢) إشارة إلى حديث أبي هريرة رضي اللّه عنه أخرجه البخاري في الصحيح في كتاب الاعتصام ، باب « قول النبي ﷺ : بعثت بجوامع الكلم » - الفتح : ٢٠٩/١٣ ، وأخرجه مسلم : المساجد ، ومواضع الصلاة برقم (خاص ٥) ، و (عام ٥٢٣) : ٣٧١/١

النفس على نظام الإسلام الثابت ؛ لتسمَو إلى المستوى الذي أراده اللّه لها ولتؤدي واجباتها كما أمر اللّه .

وهناك عناصر شريرة لا تريد للإسلام أن يستقر في النفوس على حقيقته ، لأنه يحرمُها كثيراً من الأطماع . وهذه العناصر تَسْتغل ميول النفس ، وما يُلقى الشيطان من وسواس ، وتَستغلُ اتجاهات الأفراد كما تستغل ضعفاء العقول ، وما يثور في النفس من حقد وحسد وضغائن لتقف بها ضد الإسلام ، ولتعوق مسيرته . والشرُّ عارم والباطلُ له صَوْلة ، وإبليس متربص .

فعلى حملة الإيمان وحُرَّاس العقيدة ، ودُعاة الإصلاح أن ينتبهوا لهذه العناصر ، وأن يكونوا كما أراد اللّه لهم أقوياءُ في عقيدتهم ، وفي دينهم ، وأن تكون أعمالهم وأقوالهم للّه ، ومن أجل اللّه ، ومن أجل المصالح العامة لخلق اللّه ، ولإعلاء كلمة اللّه ، ولو شاء اللّه لأعلى كلمته بكلمته ، ولأعلى دينه بأمره ، ولكن يبتلي بهذا الدين ويختبر ، ويخفض ويرفع ، ويُعز ويذل ، ويُقَرّب ويُبعد ، ويرحم وينتقم ، ويغفر ويُعذِّب .

﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾(١)

﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾(٢)

﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ ﴾(٣)

ولو شاء اللّه لانتصر من أعدائه وأعداء أوليائه وأعداء شريعته ، ولكن أراد

---

(١) المائدة : ٤٨
(٢) النحل : ٩٣
(٣) الشورى : ٨

أن يكون لهذه الأمة المحمدية دورٌ في سبيله ، لتربيتها ، ولصقل عقيدتها ، ولتصفيتها من الدخائل والعناصر الفاسدة ، ولتثقيف عُوْدِها من العلائق وتقويته ليكون صلباً يتحمل النهوض بالمسئولية .

فعلى أمة الإسلام النهوض بدورهم في قضاياهم ، والدفاع عن عقيدتهم وشعائر دينهم ، ليذوقوا طعم الإيمان ، بعد ظهوره ، وطعم النصر بعد الحرب ، وطعم الراحة بعد الجهد ، ولذة المغفرة من ثِقَل الآثام .

وليست هذه الدنيا هي منتهى إرادة المؤمن ، ولا غايةُ مطلبه ، بل هو يتطلع إلى ما هو أعلى ، وأفضل ، إلى ما عند الله من المغفرة والرضوان ، والنعيم المقيم ، ويعلم أن الدنيا دارُ عمل وكد وكفاح ، وصراعٍ بين الحق والباطل ، وبين العدل والظلم ، ويعلم ما ادخر الله له ، إذا وفى بعهده وامتثل أمره واجتنب نهيه ، والخالقُ تبارك وتعالى لم يترك عباده المؤمنين وحدهم أمام التيارات المعاكسة لاتجاه الإسلام . بل هو معهم يؤيدهم وينصرهم ويشد أزرهم ، ويشد عضدهم ، بشرط أن يكونوا معه ، كما جعل حوافز ومقرِّبات ومشجعات ، ووعده لا يُخْلَف ، وحزبه لا يُخْذَل ، وجنده لا يُهْزَم : ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾(١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝١٠ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝١١ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝١٢ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ۝١٣ ﴾(٢)

---

(١) آل عمران : ١٣٩

(٢) الصف : ١٠ - ١٣

نَعِمَتِ البشارة ، ونعمت التجارة ، ونعم الربح .

فياله من شرف عظيم . وتكريم كبير . وتودُّد الرب للمربوب والخالق للمخلوق ، إنه النداء العُلْوي للذين آمنوا . نداءٌ بتلك الصفة التي ربطتهم باللّه ، وأكرمتهم في الأرض والسماء ، وجعلتهم للّه أنصاراً وشهداء . ومَنْ ذا الذي لا يَشتاق لأن يَدُله اللّه على هذه التجارة . تجارة لا تبور ، محصلةٍ للمقصودِ مزيلةٍ للمحذور .

فلو أن رجلاً أتجَّر بريال فربح عشرةً لَغبطه الناس . فكيف بمن يتجر بأيام قليلة ومتاع زهيد مَحْدود ويكسب حياة الأبد ، وسعادة الآخرة ، ونعيم الفردوس ؟؟

إنها تجارةٌ مع اللّه الواجد الجواد الكريم .

فرأس المال : الإيمان والجهاد بالنفس والمال .

والربح : المغفرة ، والرضوان ودخول الجنات .

ذلكم خير للمؤمنين من الركون إلى الكسل والخمول . ومن الميول إلى الراحة والملذات ، وخير من حوافز الدنيا ومغرياتها .

قال الحافظ ابن كثير رحمه اللّه عند قوله تعالى : ﴿ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ (١) : أي إن أطعتم ما أمرتكم به ودللتكم عليه غفرتُ لكم الزّلات وأدخلتكم الجنات . والمساكنَ الطيباتِ والدرجاتِ العاليات .

إن الإسلام منهج حياة واقعي ، يُصَفى الضمائر ويزكي الأنفس ، وينظم المعاملات وتطهر الأموال . منهج عدل واستقامة ، ولا يجيز اعتداءَ أحد على أحد ظلماً وعدواناً ، وتجبراً وطغياناً ، وغطرسة وغروراً ، ولكن الأشرار لا يستريحون لمنهج الخير ، والباطل لا يحب العدل ، والطغيان لا يحترم الحقوق ، ولا يحفظ الكرامات ، فلا بد من رفع الفساد من أرض اللّه ، ودفع الظلم عن

---

(١) قاله ابن كثير رحمه اللّه تعالى في تفسيره : ٦/٦٤٩ - ٥٦٠ - والآية من سورة الصف : ١٢

حلق الله . وهذا يتطلب عدداً وعُدَّة . مع الصبر والمصابرة ، والاستعداد والمرابطة . ألا تسمعون عن فلسطين . وعن القضايا الإسلامية .

فهنيئاً لمن أبرم صفقة بيع مع الله ، وأوفى بعهده من الله ، هنيئاً لإخواننا جنودِ الرحمن المنتظمين والمتطوعين . في المواجهة والمرابطة ، أو على الاستعداد للمثابرة . يقفون في وجه الطغاة المعتدين .

فأوصيكم يا شباب الإسلام بالانضمام إلى جُند الله . متطوعين أو منتظمين ، تعلموا ما يحتاج له كفاح الأعداء ، وما تدافعون به عن الأنفس والأموال ، والمحارم والكرامات ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ ﴾[1]

في الصحيحين عن سهل بن سعد قال : قال رسول الله ﷺ : « رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها » [2] .

وعن فضاله بن عبيد عن رسول الله ﷺ قال : « كُل ميِّت يُختم على عمله إلا الذي مات مرابطاً في سبيل الله فإنه يُنمي له عمله إلى يوم القيامة ويأمن فتنة القبر » (رواه أبو داود والترمذي وإسناده صحيح) [3] .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى

---

(١) آل عمران : ٢٠٠

(٢) البخارى برقم (٢٨٩٢) : ٦/٨٥ (الفتح) ، وأخرجه مسلم عن سلمان الفارسي رضي الله عنه ، حديث رقم (١٦٣) الإمارة : ٣/١٥٢٠

(٣) أبو داود برقم (٢٥٠٠) ، و الترمذى برقم (١٦٢١) في فضائل الجهاد ، وإسناده صحيح ، وأحمد في المسند : ٦/٢٠

ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ (١)

اللّهم خذ بأيدينا لما فيه سعادتنا وصلاحنا ونجاتنا . وما يرضيك عنا . واكفنا كل أمر يهمنا .

اللّهم اجمع كلمة المسلمين على الهدي وألّف بين قلوبهم على البر والتقوى .

اللّهم عليك بالظلمة الذين يخلفون وعدك وينقضون عهدك ويقتلون عبادك ، وينتهكون محارمك ، ويفسدون في أرضك .

اللّهم خذهم أخذ عزيز مقتدر ، وأرنا فيهم عجائب قدرتك .

اللّهم اغفر للمسلمين والمسلمات الأحياء والأموات ، إنك غفور رحيم .

* *

(١) التوبة : ١١١

٥٤ - واقع المسلمين مؤلم

(الخطبة الثانية)

الحمد للّه القوي العزيز . لا يَذل مَن والاه . ولا يَعز مَن عاداه .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلا اللّه وحده لا شريك له . نِعْمَ المولى ونِعْمَ النصير .

وأشهد أنَّ نبينا محمداً عبده ورسوله ، بلّغ رسالة ربه وجاهد في اللّه حق جهاده . صلّى اللّه وسلّم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدى بهَدْيه واتبع ملّته .

أما بعد ..

فإنَّ واقع المسلمين الآن مؤلم لا يُرضِي الإسلام .. صاروا أداة في يد عدوهم يُحرِّض بعضهم على بعض . ويحمل بعضهم على بعض . وهم منقادون مستسلمون . رغبة في هذه الدنيا وصدوداً عن الآخرة .

فيا أمة الإسلام .. يا أهل الخير من قادة الإسلام .

إنَّ نور الإيمان كامن في قلب كل مؤمن . وبذور الإسلام موجودةٌ في شعور كل مسلم . فالنور يحتاج إلى إزالة الحواجز ليضيء من الخارج . والبذور تحتاج إلى سقي ورعاية لتؤتي ثمارها . والمسلمون في حاجة إلى راية جهاد صادق يلتفون حولها . لقد سئم المسلمون حالهم . وحتى غير المسلمين من الشعوب سئموا نظامهم ، فالكل يبحث عن الطريق الذي خُلِقَ من أجله وعن النظام الذي يتفق مع فطرته ، فالنفس مجبولة على التطلع إلى التقدم واستمرار الآمال ، وهذه الدنيا تنتهي آمالها عند بلوغ غاياتها وهي قريبة المدى ، أما المسلم فإنه لا تنتهي آماله حتى يبلغ منتهاه ، ومنتهاه عند مولاه في جنة لا يبلغها تصوره ولا مناه ؛ ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ ﴾ (١) .

---

(١) النجم : ٤٢ .

أيها المسلمون .. يا شباب الإسلام ..

إن المسلم لا يصلح أن يكون كسولاً ولا خذولاً ولا جباناً ولا بخيلاً . وإنما هو عضو في جسم الأمة وجندي من جنودها . دائماً مرابطٌ في سبيل اللّه . وعلى استعداد لتحمل مسئولية الحياة والجهاد لإعلاء كلمة اللّه والدفاع عن مقدسات اللّه ، فكونوا كذلك وأعدوا للأمر عُدَّته وأطيعوا ذا أمركم . واحرصوا على التدريب والتمرين على جميع الآلات والأساليب . فتحويل أوقات الفراغ في التدريب أفضل من صرفه فيما لا ينفع ، واحتسبوا الأجر من اللّه تؤجروا ، والأجل قريب ، فكل ميت يُختم على عمله إلا المرابطُ في سبيل اللّه فإنه ينمي له عمله إلى يوم القيامة ، ويُؤمَّن فتنة القبر وسؤال منكر ونكير . قال صلى اللّه عليه وسلم : « رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وإن مات أجرى عليه عمله الذي كان يعمل وأجرى عليه رزقه وأمن الفتّان » .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾(١)

اللّهم صلِّ وسلّم وبارك على عبدك ورسولك نبينا محمد . وارض اللّهم عن الخلفاء الراشدين : أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ وعن بقية الصحابة أجمعين . وزوجات النبي أمهات المؤمنين . وعن التابعين لهم بإحسان . وارض عنا معهم بمنِّك وإحسانك يا أرحم الراحمين .

اللّهم أعز الإسلام والمسلمين . وأذل الشرك والمشركين ، ودمر أعداء الدين ، وانصر عبادك المؤمنين ، واحم حَوْزة الإسلام يارب العالمين .

اللّهم أقم علم الجهاد وانشر رحمتك على العباد . يا مَن له الدنيا والآخرة وإليه المعاد .

---

(١) الأحزاب : ٥٦

اللّهم آمنّا في أوطاننا ، واحفظ إمامنا وولاة أمورنا ، ووفقهم لما فيه صلاح العباد والبلاد . ولصناعة القوة والعتاد .

اللّهم حبِّب الإيمان وزيِّنه في قلوبنا ، وكرِّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين ..

اللّهم ادفع عنا الغلا والوبا ، والربا والزنا ، والمحن وسوء الفتن ، ما ظهر منها وما بطن عن بلدنا هذا وعن جميع بلاد المسلمين عامة يارب العالمين .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾(١)

فاذكروا اللّه العظيم يذكركم ..... إلخ .

* * *

(١) النحل : ٩٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٥ - سبعة يظلهم الله في ظله [١]

(الخطبة الأولى)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ [٢] .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، صلّى اللّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد ..

ففي أيام الصيف التي تشتد فيها وطأة الحر . ويحمىَ فيها وهج الشمس ويتسابق الناس إلى الظل . نتذكر قول اللّه تعالى ﴿ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ ﴾ [٣]

ونتذكر قول رسولنا ﷺ : « سبعة يظلهم اللّه في ظله يوم لا ظل إلا ظلُّه : الإمام العادل ، وشابٌ نشأ في عبادة اللّه عَزَّ وجَلَّ ، ورجل قلبه معلّق بالمساجد، ورجلان تحابا في اللّه اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه . ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال : إني أخاف اللّه ، ورجل تصدَّق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينُه ، ورجل ذكر اللّه خالياً ففاضت عيناه » [٤] .

---

(١) ألقيت في

(٢) الفاتحة : ٢ - ٤

(٣) الواقعة : ٤١ - ٤٤

(٤) الشيخان في صحيحيهما : البخارى : ٢٣٢/٣ (الفتح) الزكاة - ، ومسلم برقم (١٠٣١) - الزكاة ، من حديث أبي هريرة رضي اللّه عنه ، وقد عقد عليه النووي باباً بقوله : باب « فضل إخفاء الصدقة » .

الله أكبر .. ما عظم شأنه هو الحكم العدل جلّت عظمته وتقدّست أسماؤه ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ ﴾(١)

إنّ ما في هذه الدنيا من النعَم والملّذات . وما فيها من الكدر والمنغصات . إنما هو مجرد أسماء مما في الآخرة . ألا تدركون حرارة الشمس وتأثيرها ، فتأملوا ما بينكم وبينها من المسافات البعيدة . ثم تصوروا حرارة الشمس يوم القيامة إذا كانت قريبة من الرؤوس . مع حرارة الخوف والفزع ، وتلاطهم الأنفاس . ليس هناك سقوف يُستَظل بها ، ولا مكيِّفاتٌ ولا مراوح . ليس هناك في الموقف الأعظم إلا ظلُّ عرشِ الرحمن (٢) .

فمَن الذي يستحق أن يستظل فيه . إنهم أهل الإيمان الخالص . وأهلُ التقوى والعمل الصالح . أهل العمل الصافي النقي من شوائب الرياء والسمعة . ومن أرجاس الشرك والوثنية ، والأطماع الدنية . فهؤلاء السبعة صدرت أعمالهم من قلوب امتلأت بالإيمان . ومن نفوس زكت بالتقوى . عرفت الخير فرغبت فيه . وعرفت الشر فهربت عنه . وعرفت ربها فأخلصت له العمل .

فالإمام العادل بصلاحه تصلح الرعية . وبعدله يُنشر الأمن وبنصحه تنزل الخيرات وتعم البركات . وسواء أكانت الإمامة عامةً . أو خاصة . حتى ربُّ البيت . والعدل يكون بإقامة شرع الله والسير على منهج الإسلام الذي هو مصدر العدل والأمان . والشاب الذي لم يشغله شبابه عن طاعة ربه . ولم تصرفه نزعات الشباب إلى معصية خالقه . بل سيطر على شهواته وسيَّرها على طريق النجاة فكمَّله الله وجمله ووهبه تلك المنزلة . والشابة المسلمة إذا نشأت في طاعة الله وعبادته تكون كذلك .

---

(١) القيامة : ٢٢ - ٢٥

(٢) إشارة إلى حديث أبي هريرة أو أبي سعيد الخدري رضي الله عنهما ، أخرجه البخاري في كتاب الزكاة : ٣/٢٣٢ ، ومسلم في الصحيح - الزكاة (١٠٣١) .

والرجل الذي قلبه معلّق بالمساجد [١] . يعمرها بالعباده وبالبناء . يتردد عليها لأداء الفرائض . لم تشغله أعمال دنياه عن أعمال دينه ، ولم تلهه تجارته عن بيت ربه . فهو مهتم لأداء الصلوات في أوقاتها مع جماعة المسلمين في المساجد . يترقب داعي الله فيجبه فوراً . فكان من عباد الله المقرّبين ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ ﴾[٢]

الرجلان تحابا في الله . وكذلك المرأتان جمعتهما رابطة الأخوة في الله . وألّفت بينهما شُعَب الإيمان ، فبائتلافهما يحصل التعاون على البر والتقوى . والتناصحُ على سبيل الخير . والتواصي بالحق والتواصي بالصبر ، لم يكن اجتماعهما لغرض دنيوي . ولا لمصالح زائلة ، وإنما هدفهما مرضاة الله والسيرُ على صراط الله حتى الوصول إليه .

والرجل الذي دعته امرأة توفرت فيها حوافز الرغبة ومثيرات الغريزة . دعته لعمل محرّم إنما يغتر بها ذو النفس الضعيفة وناقص الإيمان . أما قوى الإيمان لم يبال بها ولم تغلبه شهوته لإجابتها . وإنما كانت الغلبة لسلطان الإيمان الراسخ القوي . فضرب بصفاتها المغرية عرض الحائط خوفاً من الله ، فمَن غلبته نفسه وشهوته في هذه الحال فهو فيما سواها أغلب . أين هذا من الذين يصرفون الأموال ويخسرون الأوقات في طلب البغايا والمومسات ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾[٣]

والرجل الذي تصدّق بصدقة ، والمرأة كذلك سواء أكانت الصدقة واجبة

---

(١) إشارة إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، أخرجه الشيخان : البخارى : ٢٣٢/٣ ، ومسلم برقم (١٠٣١) .

(٢) التوبة : ١٨

(٣) الأحزاب : ٥٨

أو تطوعاً أخفاها وبالغ في إخفائها فلم يعلم بها أحد إلا الله . قصد بإعطائها وبإخفائها وجه الله . فهو بعيد عن الرياء ولم يكن إخفاؤها خشية أن يسأله آخر .

ولم يكن أعطاها ليقال إنه جواد . وإنما هو عمل خالص لله مع حب النفس للمال . وحب النفس للثناء فهذا دليل على صدق القصد وإخلاص النيّة لله . والرجل الذي كان في مكان ليس عنده أحد من الناس . فراجع نفسه وتذكر مولاه فعرف عظمته وكمال قدرته وقهره . وتذكر ذنوبه وتفريطه ، وتذكر نِعَم الله عليه فأدركه الخوف والفزع . وخنقته الحسرة والعَبْرة . ثم تذكر رحمة الله وسعة جوده وإحسانه فتأثرت نفسه بين الرغبة والرهبة . وتحركت مشاعره بين الخوف والرجاء ، فحزن قلبه لخُلو صحيفته من الصالحات ، وتأثرت جوارحُه لسواد صحيفته من السيئات ، وتاقت نفسه إلى رحمة الله ولطفه . فتوجه إلى مولاه متضرعاً إليه خوفاً وطمعاً ، ففاضت عيناه بالدموع وبكى من خشيه الله . فهذا تاب وأناب لله ولجأ إليه وتوجه إليه فاستقبله الله بكرمه وإحسانه .

فاتقوا الله أيها المسلمون .. خذوا من دنياكم متاعاً لآخرتكم . وتزوّدوا من حياتكم الدنيا لما بعدها ، وتعرّضوا لنفحات ربكم والتمسوا أسباب النجاة

﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾(١)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾

(١) النور : ٣١

وَلا شُكُوراً * إنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً *

فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ (١)

اللّهم بارك لنا في القرآن العظيم .....

* *

(١) الإنسان : ٥ - ١٢

٥٥ - مسجد المرأة في قعر بيتها حفاظاً على كرامتها

(الخطبة الثانية)

الحمد لله أحمده وأستعينه وأستغفره وأتوب إليه ، وأعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا .

وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ نبينا محمداً عبده ورسوله ، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان .

أما بعد ..

فإنَّ من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم القيامة رجل معلّق قلبه بالمساجد . أما المرأة فمسجدها في بيتها وصلاتها في بيتها أفضل من صلاتها في المسجد . لما رُوي عن أم سلمة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ قال : « خير مساجد النساء قعرُ بيوتهن » (١) ، ولما روت أم حُميد رضي الله عنها أنها جاءت إلى النبي ﷺ فقالت : « يا رسول الله ، إني أُحب الصلاة معك قال : « قد علمتُ أنكِ تُحبين الصلاة معي وصلاتِك في بيتك خير من صلاتِك في حُجرتك ، وصلاتِك في حُجرتك خير من صلاتِك في دارك ، وصلاتِك في

---

(١) أخرجه أحمد في المسند : ٢٩٧/٦ من حديث أم سلمة رضي الله عنها ، و ٣٠١/٦ ، وإسناده حسن لغيره ، الموضع الأول في إسناده رشدين بن سعد وهو ضعيف ، والموضع الثاني في إسناده عبد الله بن لهيعة وهو أيضاً ضعيف ، ولكن المتن حسن لغيره كما لا يخفي على أحد والله أعلم .

دارك خير من صلاتك في مسجد قومك ، وصلاتك في مسجد قومك خير من صلاتك في مسجدي » [١] . وهذا للمحافظة على كرامتها وصيانتها وحصانتها .

فالمرأة كلما أبعدت عن الرجال كان خيراً لها وأعظم لأجرها وأكثر لثوابها ، وكلما اختفت بعبادتها وخلت بربها فهو أقرب لرضوان الله عليها .

فيا أيتها المسلمة .. ألا ترضين لنفسك ما اختاره لك رسول الله ﷺ . اكتفي بصلاتك في قعر بيتك خيرٌ لك . فاتقوا الله أيها المسلمون وتفهموا دينكم والتمسوا طاعة ربكم وطاعة رسوله ﷺ .

عباد الله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [٢]

اللّهم صلِّ وسلّم وبارك وأنْعِم على عبدك ورسولك نبينا محمد صاحب المقام المحمود والحوض المورود . وارض اللّهم عن الخلفاء الراشدين : أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ . وعن أزواج نبيك أمهات المؤمنين وعن التابعين ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . وارض عنا معهم بمنّك وإحسانك يا أرحم الراحمين .

اللّهم أعز الإسلام والمسلمين ، وأذل الشرك والمشركين ، ودمر أعداء الدين ، واحم حَوْزة الإسلام يارب العالمين .

---

(١) أخرجه أبو داود في السنن برقم (٥٥٧١) ، باب « التشديد في خروج النساء إلى المساجد » وأخرجه الحاكم في المستدرك : ٢٠٩/١ وصححه ، ووافقه الذهبي على تصحيحه وهذا من حديث ابن مسعود رضي الله عنه ، وأما حديث أم حميد رضي الله عنها فقد أخرج حديثها هذا بهذا اللفظ الإمام أحمد في المسند : ٣٧١/٦ ، وإسناده حسن وليس عند الإمام أحمد لها حديث إلا هذا الحديث الواحد فقط .

(٢) الأحزاب : ٥٦

اللّهم أدِم الأمن في أوطاننا واحفظ إمامنا وولاة أمورنا واجعلهم هداة مهتدين يقولون بالحق وبه يعدلون .

اللّهم أصلح جميع ولاة المسلمين . واهدهم سبل السلام وأخرجهم من الظلمات إلى النور .

اللّهم فرِّج هم المهمومين ، واقضِ الدَّيْن عن المدينين واشف مرضى المسلمين .

عباد الله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾(١)

فاذكروا الله العظيم يذكركم ، واشكروه على نعمه يزدكم ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾(٢)

* * *

(١) النحل : ٩٠

(٢) العنكبوت : ٤٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٦ - التفكر في المـــآل (١)

(الخطبة الأولى)

الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض ، وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، صلّى اللّه عليه وعلى آله وصحبه ومَن تبعهم بإحسان وسلّم تسليماً كثيراً .

أما بعد ..

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾(٢)

وتأملوا في مآلكم بعد هذه الحياة الدنيا ، فكل إنسان يؤمن إيماناً صادقاً بأن الموت محتوم على جميع المخلوقين ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝٢٧ ﴾(٣)

وقد استأثر اللّه تعالى بالآجال في علم الغيب عنده ﴿ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾(٤)

فللّه الحكمة البالغة ، والحُجَّة القاطعة ، والقدرة القاهره .

---

(١) ألقيت في ١٣٩١/٤/٨ هـ .
(٢) آل عمران : ١٠٢
(٣) الرحمن : ٢٦ - ٢٧
(٤) لقمان : ٣٤

وكل إنسان يجزم بأن الموت سيلاقيه في يوم من الأيام ، طالت به الحياة أو قصرت . فنحن نشاهد في كل يوم عدداً من الراحلين إلى الآخرة . من الآباء والأمهات ، والأبناء والبنات ، والإخوان والأحباب والجيران ، من الشبان والشيبان والأطفال والكهول ، فليس الموت للكبير دون الصغير ، ولا للسقيم دون الصحيح . ولا للفقير دون الغني ، ولا للوضيع دون الشريف ، فكم من شاب في عنفوان شبابه ومستقبل حياته . وافته المنية فقطعت عليه آماله وهدمت شبابه . وكم من غني مشتغل بماله عن مآله أنشبت فيه المنية أظفارها . ففارق أهله وثروته . وكم من صاحب جاه وسلطان جاءه مَلك الموت بين الأعوان والخلان ، فقبض روحه على أي حال كان . وكم من صبي حبيب لدى أبويه يسهران لسهره ويؤمِّلان في مستقبله ، أدركه الأجل فأخذ قرة عينيهما وأمل مستقبلهما ، فما المال والأهل والأولاد إلا ودائع عندنا . ولا بد أن نرد هذه الودائع إلى مالكها جلَّ جلاله .

فعلى العاقل أن يفكر كيف تكون حاله إذا دنت منيِّته وتقلصت قوته وشُلَّت أعضاؤه وبلغت الروح الحلقوم وأيقن بالفراق . والأهل والأولاد حوله يبكون لا يملكون له نفعاً ولا يدفعون عنه شراً . هل يجد عملاً صالحاً أمامه يقوي أمله بالله . وهل يجد إحساناً يحتسبه عند الله . وهل قدَّم لنفسه زاداً من التقوى يجده في مآله . فتستقبله ملائكة الرحمة بالبِشر والسرور . ويقول ملك الموت لروحه : أيتها النفس الطيبة .. اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان . فتخرج بسهولة وارتياح . فتأخذها ملائكة الرحمة وتجعلها في حنوط من الجنة طيب الرائحة ، ويصعدون بها إلى السماء ويشيعها من كل سماء مقربوها. حتى تنتهي إلى السماء السابعة فيقول الجبار جل جلاله : اكتبوا كتاب عبدي في عليين ، وأعيدوه إلى الأرض . فتعاد مع الملائكة الأبرار .

أو يكون بضد ذلك قد نبذ كتاب الله وراء ظهره وضيَّع حدود الله . وانتهك محارم الله . فيقع في حسرة وندامة . وتستقبله ملائكة العذاب سود الوجوه معهم مسوح من النار . ويقول مَلك الموت لروحه : أيتها النفس الخبيثة ،

اخرجي [١] إلى سخط من اللّه ، فتتفرّق في جسده فيتنزعها مَلَك الموت بشدة كما تُنزع شناكير الحديد من الصوف المبلول . فتأخذها ملائكة العذاب فيجعلونها في ذلك المسوح المنتن . ويصعدون بها إلى السماء فلا يُفتح لها . ويقول الجبار جلّ جلاله : اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى ، فتُطرح إلى الأرض طرحاً فيخر من السماء في مكان سحيق .

وعلى الإنسان أن يفكر أيضاً إذا وُضِع في قبره وعادت روحه إلى جسده وأتاه المَلَكان يسألناه : مَن ربك ، وما دينك ، ومَن نبيك ؟ هل يثبته اللّه بالقول الثابت . فيقول : ربي اللّه ، وديني الإسلام . ونبيي محمد صلى اللّه عليه وسلم .. فينادى مناد من السماء : أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة . وافتحوا له باباً إلى الجنة ، فيأتيه من روحها وطيبها ، ويُفسح له في قبره مد بصره .

أو يكون بضد ذلك فيكله اللّه إلى نفسه ، فكلما سأله المَلَكان قال : هاه هاه .. لا أدري . فينادي مناد من السماء : أن كذب فافرشوه من النار وألبسوه من النار وافتحوا له باباً إلى النار ، فيأتيه من حرها وسمومها ، ويُضيِّق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه .

وليفكر الإنسان أيضاً في جليسه في قبره ، هل عمل صالحاً فيأتيه عمله في صورة رجل حسن الوجه حسن الثياب . طيب الريح فيقول له : أبشر بالذي يسرك ، هذا يومك الذي كنت توعد . أنا عملك الصالح . فتشتاق نفسه إلى نعيم أعظم وسعادة أكبر فيقول : ربِّ أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي .

أو يكون بضد ذلك فيأتيه عمله في صورة رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن

---

(١) إشارة إلى ما في حديث البراء بن عازب رضي اللّه عنه ، رواه الإمام أحمد : ٤/٢٨٨

الرائحة فيقول له : أبشر بالذي يسوءك ، هذا يومك الذي كنت توعد . أنا عملك الخبيث . فيخشى من عذاب أشدٌ وأنكى فيقول : ربِّ لا تُقِم الساعة .

وعلى الإنسان أن يتصور ما بعد ذلك من البعث والنشور والعَرْض والحساب . والصراط المعروض على متن جهنم هل يقوم من قبره فرحاً مسروراً . ويظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله . أو يكون في خوف وقلق واضطراب في حر وسموم وظل من يحموم . وهل ترجح حسناته بسيئاته ، أو تطيش سيئاته بحسناته ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴾[1] . وهل يُعْطَى كتابه بيمينه وينقلب إلى أهله مسروراً . أو يُعْطَى كتابه بشماله أو من وراء ظهره ويدعو ثبوراً ويصلى سعيراً . وهل يمر على الصراط كالبرق الخاطف . أو كالريح المرسلة . أو يمشي على قدميه . أو يحبو حبواً على ركبتيه . أو تأخذه الكلاليب فتلقيه في النار .

فعلى العاقل أن يفكر في هذا الطريق الذي لا بد من سلوكه . وفي هذه المضايق التي لا بد من العبور فيها . فيعد لكل طريق زاده ولكل حال عُدَّتها .

فاتقوا الله عباد الله ، ولتنظر نفس ما قدَّمت لغد .. فمَن كان محسناً فليزد في إحسانه . ومَن كان مسيئاً فليتق الله في نفسه وليقلع عن إساءته وليتب إلى الله ، فإن الله يقبل توبة التائبين ويغفر ذنوب المستغفرين .

اللهم بك آمنا ، وعليك توكلنا ، وبنبيك صلى الله عليه وسلم صدَّقنا ، فهوِّن علينا سكرات الموت . وآنس وحشتنا في قبورنا . وثبتنا عند السؤال . وآمن

---

(١) القارعة : ٦ - ١١

فزعنا يوم البعث والنشور . واغفر ذنوبنا واستر عيوبنا يوم العرض والحساب . وآتنا صحائفنا بإيماننا . وتجاوز عنا وجاوزنا الصراط . وأدخلنا الجنة برحمتك يا أرحم الراحمين .

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

* *

٥٦ - النفوس مجبولة على الاتصال باللّه

(الخطبة الثانية)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ (١) .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلا اللّه وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان .

أما بعد ..

فإنَّ الإسلام منهجٌ ذو خصائص متميزةٍ من ناحية التصور والاعتقاد ، ومن ناحية التشريع والتنظيم لشئون الحياة . فلا بد أن تكون هناك جماعة من الناس تحمل هذا المنهج لتقود به العالَم التائه . ولخير البَشر جميعاً جاء هذا المنهج ، ولخير البَشر يدعو الدعاة لتحكيم هذا المنهج .

والعالَم يعاني مما هو فيه ما يعاني . ولا منقذ لهم إلا هذا المنهج الذي جاء من اللّه على لسان خير خلق اللّه صلى اللّه عليه وسلم . الإنسان جُبِل على حُب الاتصال باللّه . فإذا تاه عن طريق اللّه أحس بأنه فقد شيئاً مضطراً إليه . فيأخذ يلتمسه فتحول شياطين الجن والإنس بينه وبين ما يريد ، ويوجهونه إلى الأوهام والخرافات وعبادة غير اللّه يزعم أنها توصله إلى اللّه .

﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ (٢)

---

(١) الفاتحة : ٢ - ٣

(٢) الكهف : ١٠٣ ، ١٠٤

فاتقوا الله أيها المسلمون . إن حبل الله ممدود من السماء إلى الأرض فتمسكوا به كما تمسك به نبينا محمد ﷺ وأصحابه ، ولا تُفلتوه ، فمَن أفلته انزلقت قدمه في هاوية المهالك .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾

* * *

(١) الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٧ - ماضي المرء ومستقبله [١]

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ﴾[٢]

. له المُلك وله الحمد وهو على كل شيء قدير .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، صلّى اللّه عليه وعلى آله وأصحابه ، ومَن اهتدى بهَدْيه واستنَّ بسُنَّته .

أما بعد ..

فيا أيها المسلمون .. أوصيكم وإياي بتقوى اللّه تعالى فإنها أساس كل خير وصلاح . وسبيل النجاة والفلاح .

عباد اللّه .. إن الإنسان محصور بين حالين مخيفتين ، فهو واقع بين ماض من حياته قد عمل فيه أعمالاً سُجِّلت في صحيفته ، ودوِّنت في ديوانه ، لا يدري ما اللّه صانع بها . وبين مستقبل لا يدري ما اللّه قاضٍ فيه . فأمامه صحة ومرض ، وغنيَ وفقر ، وعز وذُل ، وأمن وخوف ، وشباب وهرم ، وشقاوة وسعادة ، وحياة وموت ، وجنة ونار .

فلا يدري أي الأمرين يدركه . ولا أي عرض يصيبه ، فالواجب على الإنسان

---

(١) ألقيت في ١٣٩٣/١/٣٠ هـ .

(٢) الأنعام : ١

أن يكون بين الخوف والرجاء - دائماً يخاف من ذنوبه وسيئاته . ويرجو رحمة ربه ورضوانه . ويخاف من عذاب اللّه وسخطه ، فيلجأ إليه ويبتعد عن محارم اللّه وحدوده . ويرجو ثواب اللّه وعظيمَ فضله ، فيعمل على ما يوصله إليه : على وفق كتاب اللّه وسُنّة نبيه محمد ﷺ .

فمَن خاف هرب . ومَن طلب أدلج في السير حتى يصل . ولا يكون الإنسان كذلك حتى يستحضر عظمة اللّه تعالى وقدرته . ويتيقن أنه مطلع عليه وهو مستوٍ على عرشه . يرى أفعاله ويسمع أقواله . ويعلم خفيات نفسه . وأنه وكَلَ به كراماً كاتبين ، عن اليمين وعن الشمال قعيد ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾(١) . يسجل أعماله وأقواله في ديوان لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها (٢) .

وواجب على المسلم أن يحاسب نفسه على أفعالها في الصباح والمساء . وأن يكون هواه تبعاً لما جاء به النبي ﷺ (٣) .

فيعرض أعماله على مقاييس كتاب اللّه تعالى وهَدْي نبيه محمد ﷺ ، فإن وجد خيراً حمد اللّه تعالى على هدايته وتوفيقه . وسأله الثبات . وازداد من الخير خيراً . وإن وجد إهمالاً للواجب . وعملاً للمحرمات . وجرأةً على اللّه وتعدٍ لحدوده أقلع عنها وندم على فعلها وتاب إلى اللّه منها . فإنه رؤوف رحيم يقبل توبة التائبين ويغفر ذنوب المستغفرين ، وإن من أهم الدوافع للإنسان على معرفة قدرة اللّه تعالى . والصبر على فعل الخير والأعمال الصالحة والابتعاد عن المعاصي والآثام . والتزام جانب الأدب مع اللّه تعالى . أن يتذكر مبدأه ونشأته

---

(١) سورة ق : ١٨

(٢) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الكهف : ٤٩

(٣) إشارة إلى حديث عبد اللّه بن عمرو بن العاص رضي اللّه عنهما ، أخرجه البغوي في شرح السُنّة برقم (١٠٤) ص ٢١٢ - ٢١٣ وإسناده حسن ، وقد تكلمت على إسناده نقلاً عن ابن عدي والجرح والتعديل .

ومحياه ومماته . وأن يفكر فيما أمامه من الموت وسكراته ، وخروج الروح من الجسد ونزعاتها ، والقبر ووحشته ، والبعث وهوله ، والحساب وشهوده ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ۝٧ ﴾(١)

فتأمل أيها الإنسان في هذه الآية الكريمة واطلع على أسرارها وحقائق ما فيها من واقع نفسك وأبنائك وإخوانك واعرف قدرة الله تعالى . ومقدار نفسك .

وتأمل ما بعد ذلك إذا دنت منيتك وصرتَ في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة . فهل تستقبلك ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب . وهل تخرج روحك من جسدك بسهولة وشوق إلى لقاء ربها . أم تتفرق في الجسد فينتزعها مَلَك الموت بشدة . وهل تُجعل في حنوط من الجنة طيب الريح . أو في مُسوح من النار منتن الريح . وهل تُفتح لها أبواب السماء ويشيعها من كل سماء مقرَّبوها . أو تُغلق دونها الأبواب فتُرَد خائبة ذليلة . وهل يُثبتك الله عند سؤال منكر ونكير بالقول الثابت الصحيح ، أو تقول : هاه هاه .. لا أدري (٢) ، وهل تجد القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار ، وهل يكون عملُكَ جليسُك على هيئة حسنة تُدخل عليك السرور . أم على هيئة قبيحة موحشة مؤلمة ..

---

(١) الحج : ٥ - ٧

(٢) إشارة إلى حديث البراء بن عازب رضي الله عنهم . أحمد في المسند : ٤/٢٨٧ و ٢٨٨

وتأمل ما بعد هذا ﴿ ويوم يُنفخ في الصور فصعق مَن في السموات ومَن في الأرض إلا مَن شاء اللّه وكل أتوه داخرين ﴾ (١) ، ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ ﴾ (٢) فينادي تبارك وتعالى : أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ لمن المُلك اليوم ؟ فلا يجيبه أحد !! فيجيب نفسه - جلّت عظمته وتقدست أسماؤه - : المُلك للّهِ الواحد القهار (٣) .

ثم يُنفخ في الصور مرة أخرى فإذا هم قيام ينظرون ، يجتمعون في صعيد واحد من أول الدنيا إلى آخرها . ينفذهم البصر ويسمعهم الداعي . لا ينظر أحد إلى أحد ولا يلوي أحد على أحد . لكل امريء منهم يومئذ شأن يغنيه ، فيصيبهم من الخوف والقلق والشدة والفتك ما لا يعلم إلا اللّه . في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون ، فيلتمسون مَن يشفع لهم عند اللّه تعالى لفصل القضاء بينهم حتى يصلون إلى سيد الأوّلين والأخرين وقائد الغر المحجلين نبينا محمد صلى اللّه عليه وعلى أتباعه أجمعين . فيقول : أنا لها أنا لها ، فيذهب عليه الصلاة والسلام فيسجد تحت العرش يحمد اللّه ويدعوه ويتضرع إليه بما يفتح عليه . حتى يأذن له بالشفاعة فيشفع فينزل تبارك وتعالى لفصل القضاء وتُوضع الموازين وتُنشر الصحف (٤) ﴿ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾(٥)

---

(١) سورة الزمر .

(٢) الرحمن : ٢٦ - ٢٧

(٣) إشارة إلى آية غافر : ١٦

(٤) إشارة إلى حديث الشفاعة : البخاري برقم (٧٤١٠) : ٣٩٢/١٣ (الفتح) ، وهو من حديث أنس رضي اللّه عنه .

(٥) الزمر : ٦٩

﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢ ﴾(١)

ثم يوضع الصراط على متن جهنم ويؤمر الناس بالمرور عليه ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ۝٧١ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ۝٧٢ ﴾(٢) فيمرون على الصراط يسيرون حسب أعمالهم فأولهم كالبرق . ثم كالريح ... وهكذا حتى مَن هو يحبو حبواً . فمخدوش ناج . ومأخوذ ملقى في النار . ثم يدخل أهل الجنة منازلهم . خلود بلا موت . ونعيم بلا نكد . ويدخل أهل النار مقاعدهم لا يُقضى عليهم فيموتوا . ولا يخفف عنهم من عذابها (٣) .

فاتقوا الله عباد الله ، وتأملوا هذا الهول العظيم وهذا الطريق الذي لا بد من المرور عليه . وحاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسَبوا وزنوها قبل أن توزنوا .

وتأهبوا للقاء ربكم وتزوَّدوا لدار مقامكم . وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون .

اللّهم اهدنا لأحسن الأعمال والأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت (٤) ، واصرف عنا سيئاتها لا يصرفها عنا إلا أنت ..

---

(١) الانشقاق : ٧ -١٢

(٢) مريم : ٧١ - ٧٢

(٣) أورده الترمذي في الجامع ، كتاب صفة القيامة معلقاً بصيغة التمريض : ٦٣٨/٤ إذ قال : ويروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثم ذكر الأثر بهذا اللفظ .. أورده البغوي في شرح السُنّة بدون إسناد : ٣٠٩/١

(٤) إشارة إلى دعاء النبي ﷺ رواه عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، أخرجه مسلم في الصحيح ، كتاب صلاة المسافرين حديث رقم (خاص ٢٠١) ، و(عام ٧٧١) : ٥٣٤/١ - ٥٣٦ ، وأحمد في المسند : ٩٤/١ ، ١٠٢

اللّهم اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وكفِّر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار .

اللّهم ارحمنا يوم الوقوف بين يديك ، وأظلنا تحت ظل عرشك يوم العرض عليك . وآتنا صحائفنا باليمين . ونجنا من نار الجحيم ، وأدخلنا الجنة دار النعيم .

أقول قولي هذا وأستغفر اللّه العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب فاستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم .

* *

٥٧ - الحذر من النفس الأمَّارة

(الخطبة الثانية)

الحمد للّه حمداً كثيراً .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

صلّى اللّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد ..

فيا أيها الناس اتقوا اللّه تعالى ، واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى ،، واحذروا سخط الجبار فإن أقدامكم على النار لا تقوى .

واعلم أخي المسلم أن لك نفساً أمَّارة بالسوء تدْعوك لشهواتها . ورغباتها . وتزين لك وساوس الشيطان وتحثك على اتباعها . فاحذر منها كل الحذر ، وتحصن بكتاب اللّه وسُنَّة نبيه ﷺ . واجعل لسانك مشغولاً بذكر اللّه ، وبدنك معموراً بطاعة اللّه ، يحفظك اللّه من كل سوء ويهديك كل خير وسعادة .

واتق اللّه حيثما كنت يجعل لك من كل همٍ فرجاً ومن كل ضيقٍ مخرجاً . ويرزقك من حيث لا تحتسب .

عباد اللّه .. إن اللّه تعالى قد أمرنا بأمر بدأ فيه بنفسه فقال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾(١)

اللّهم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وارض اللّهم عن الأربعة

---

(١) الأحزاب : ٥٦

الخلفاء الأئمة الحنفاء : أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ ، وعن بقية الصحابة أجمعين . وأهل بيته الطيبين الطاهرين . وعن التابعين ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وارض عنا معهم بمنِّك وإحسانك يا أرحم الراحمين .

اللّهم أعز الإسلام والمسلمين ، واجمع كلمتهم ووحِّد صفوفهم . واهدهم سُبل السلام ، وأخرجهم من الظلمات إلى النور .

اللّهم انصر جيوش المسلمين وثبت أقدامهم واربط على قلوبهم وانصرهم على القوم الكافرين .

اللّهم أذل الشرك والمشركين ، ودمِّر أعداء الدين .

اللّهم اخذل اليهود وأعوانهم وأتباعهم . اللّهم أنزل الرعب في قلوبهم . وشتت شملهم وفرِّق جمعهم . واجعل الدائرة عليهم . إنك أنت القوي العزيز .

اللّهم اغفر للمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات .

اللّهم فرِّج هم المهمومين ، ونفِّس كرب المكروبين ، واقض الدَّيْن عن المدينين ، واشف مرضى المسلمين .

عباد الله .. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾(١)

فاذكروا الله العظيم يذكركم ، واشكروه على نعمه يزدكم ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾(٢)

* * *

(١) النحل : ٩٠

(٢) العنكبوت : ٤٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٨ - الإيمان قوة مضادة للأعداء [١]

(الخطبة الأولى)

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [٢]

وأشهد أنّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، إمام المتقين وقائد الغر المحجلين .

صلّى الله وسلّم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فإن الإيمان نورٌ يجعله الله في قلب المؤمن يصله بربه . له إشعاع ، ونفوذ أقوى من أي إشعاع آخر . فيخالط الدم واللحم ، فتظهر آثاره على الجوارح والملامح ، فينظر بنور الإيمان إلى هذا الكون ، فيراه عرضاً زائلاً ، لا بقاء له ولا خلود ، ويرى أن الدوام والخلود لموجد هذا الوجود ، فلا يرغب إلا إلى الله ، ومَن عداه مخلوق فان ، ولا يتشوق إلا لثواب الله . وما عداه عرض تالف ، ولا يخاف إلا من عذاب الله . وما عداه بلاء منقطع ، ولا يرغب إلا في الدار الآخرة ، وما عداها ظل زائل .

وبهذه المشاعر الروحانية يصمد المؤمن ، أمام جميع الفتن والمصائب أيّاً كان نوعها ، وبها ينجح في الابتلاء ، وينصره الله على الأعداء .

---

(١) ألقيت في ٢٦/١٠/١٤٠٠ هـ .

(٢) إبراهيم : ٤٢

عباد الله .. إن ما يحصل في كثير من الأقطار الإسلامية من القتل ، والسلب ، والتعذيب ، والتشريد .. قد يكون ابتلاء واختبار من الله ، وقد يكون للتقوية والتثقيف والتصفية من الدخائل الرديئة في الإيمان ﴿ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ ﴾(١) . يقرب الله به المؤمن إلى دار كرامته ، ويرفع به الصابرين إلى أعلى درجاته ، ويستعجل به الشهداء إلى النعيم المقيم ، ويُعظم به الأجر للمرابطين . ويفتح به الطريق للآخرين ﴿ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ۝٤ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝٥ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ۝٦ ﴾(٢)

قد لا يكون الابتلاء دليل السخط من الله ، كما لا يكون تكامل القوة وتوافر الصحة وتواجد النعم دليل رضاه ، ففي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ : « إنَّ أشد الناس بلاءً : الأنبياءُ ، ثم الصالحون ، ثم الأمثلُ فالأمثل ، يُبتلى الرجلُ على حَسَب دينه (٣) فإن كان في دينه صلابة زيد في البلاء » (٤) . ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ۝٢١٤ ﴾(٥)

(١) النور : ١١

(٢) محمد : ٤ - ٦

(٣) البخارى معلقاً : ١٠ / ١١١ (الفتح) ، وقال الحافظ : أخرجه الدارمي والنسائي في الكبرى ، وابن ماجه والترمذي وصححه وابن حبان والحاكم من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه . قلت : أخرجه أحمد في المسند : ٣٦٩/٦ من حديث أخت حذيفة رضي الله عنهما .

(٤) ابن ماجه برقم (٤٠٢٣) هو نفس الحديث من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وفيه هذه الزيادة .

(٥) البقرة : ٢١٤

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ ﴾(١)

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ ﴾(٢)

بسم الرحمن الرحيم : ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾(٣)

فيا أيها المجاهدون في كل مكان ، ويا أيها المستضعفون ، ويا أيها المعذبون بدون حق .. اصبروا إنَّ الله مع الصابرين ، إنَّ عظم الجزاء مع عظم البلاء (٤) .

فاصبروا .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾(٥)

ويا أيها المسلمون الآمنون في أوطانهم .. اتقوا الله واهتموا بأمر إخوانكم المسلمين وشاركوهم في آلامهم وآمالهم ، وأروهم منكم ما يشجعهم ويضمِّد جراحهم ، ويقوي شوكتهم ومعنوياتهم ﴿ جَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾(٦) ﴿ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ ﴾(٧)

---

(١) التوبة : ١٦

(٢) آل عمران : ١٤٢

(٣) العنكبوت : ١ - ٣

(٤) الترمذى برقم (٢٣٩٨) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه وإسناده حسن مع الشواهد .

(٥) آل عمران : ٢٠٠

(٦) التوبة : ٤١ بلفظ : ﴿ وَجَاهِدُوا.... ﴾ .

(٧) العنكبوت : ٦

« ارحموا مَن في الأرض يرحمكم مَن في السماء » [١] .

اللّهم اجعل لجميع المسلمين من كل هم فرجاً ، ومن كل ضيق مخرجاً ، ومن كل بلاء عافية . واجعل لهم من لدنك ولياً ، واجعل لهم من لدنك نصيراً [٢] .

اللّهم إنّا نستغفرك فاغفر لنا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

(١) هذا لفظ رواه أبو يعلي في المسند وأورده الهيثمي في المجمع : ١٨٧/٨، وقال : منقطع رواه أبو عبيدة عن أبيه ولم يسمع منه ، ولكن روي من طرق أخرى . انظر شرح السنّه للبغوي : ٣٩/١٣

(٢) معناه في النساء : ٧٥

٥٨ - تسلط الأعداء على المسلمين فتنة

(الخطبة الثانية)

الحمد لله وكفى ، وسلام على عباده الذين اصطفى [١] .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له . وهو الذي يجيب المضطر إذا دعاه ، ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، صلّى اللّه وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن آمن به وعمل صالحاً ثم اهتدى .

أما بعد ..

فإنَّ الفتن التي تحيط بالمسلمين من كل جانب متعددة الجِهات . فكما أن الأمراض والأسقام فتنة . فكذلك الشهوات والنزعاتُ ، وتوفر أسباب الشر فتنة ، وكما أن تسلط الأعداء على المسلمين فتنة . فكذلك قلّة الناصر والمعين فتنة . وكما أن تقدم أعداء الإسلام في الصناعات والاختراعات فتنة . فكذلك تأخر المسلمين وابتعادُهم عن نظام إسلامهم فتنة ، وكما أن انفتاح الدنيا على الأمم المُنغمسَة في الرذائل وصفائها لهم فتنة ، فكذلك الفقر في المسلمين ، وكدر الحياة فتنة ، وهكذا كل ما في هذه الحياة فتن ومختبرات ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[٢]

---

(١) معناه في النمل : ٥٩

(٢) الأنبياء : ٣٥

ولكن حال المؤمن دائماً على خير « إن أصابته سرّاء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضرّاء صبر فكان خيراً له » [١] .

فاتقوا الله أيها المسلمون . واعلموا أنكم في دَوْر الاختبار وستظهر النتائج عن قريب . فَقَوِّمْ صلتكم بالله وشدوا عزائمكم وشمروا عن سواعدكم ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾ [٢]

وصلّوا على البشير النذير [٣] .....

* * *

(١) أخرجه مسلم في الصحيح : الزهد ، حديث رقم (٦٤ خاص) ، و (عام ٢٩٩٩) : ٤/٢٢٩٥ من حديث صهيب الرومي رضي الله عنه .

(٢) المائدة : ٢

(٣) معناه في الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٩ - تذكر الموت [١]

(الخطبة الأولى)

الحمد لله الواحد القهار ، كل شيء هالك إلا وجهه ، له الحكم وإليه ترجعون.

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له يحيي ويميت ، وهو حي لا يموت ، بيده الخير وهو على كل شيء قدير .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، بعثه اللّه رحمة للعالمين ، ونوراً وهدىً للمتقين ، صلّى اللّه عليه وسلم وعلى آله وأصحابه وأتباعهم أجمعين .

أما بعد ..

فأوصيكم وإياي بتقوى اللّه تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [٢]

أيها الناس .. إذا أرد الإنسان سفراً من بلد إلى بلد فماذا يفعل ؟ أليس يهتم له ويعد له عُدَّته ؟ وإذا أراد الإنسان الانتقال كلياً من بلد إلى بلد ، ليقيم بها فماذا يفعل ؛ أليس يصفي حساباته من هذه وينقلها إلى تلك ، ويعمل كل ما فيه راحتُه وسلامتُه في سفره ومقامه ؟

إنَّ أمامنا - عباد اللّه - سفراً من دار إلى دار ، وانتقالاً من دار إلى دار ، انتقالٌ من هذه الحياة الدنيا إلى دار الآخرة .. دار القرار .

---

(١) ألقيت في ١٣٩٤/٨/١٩ هـ .

(٢) آل عمران : ١٠٢

أمامنا طريق صعب لا بد من سلوكه ، وأمامنا عقبات لا بد من المرور عليها، يجب أن نستعد لها بما يناسبها ، يجب علينا أن نتزود بزاد سفرنا ، وأن نقدِّم أمامنا لدار مقامنا ، وأن نجعل هذه الدار متاعاً لآخرتنا ، فهذه مزرعة تلك ، ومن زرع اليوم حصد غداً ، فأين الآباء والأجداد ، أين الأبناء والأقارب والأحفاد ؟ أين الملوك والرؤساء ؟ أين القضاة والأمراء ؟ إنهم قدموا إلى ما قدَّموا وحصدوا ما زرعوا ، وإنكم ستسيرون مسيرهم . فتذكروا هذا الطريق الموحش ، تذكروا سكرات الموت ، ونزعات الروح ، تذكروا القبر وسؤال منكر ونكير ، كيف يكون حال الإنسان إذا بلغت الروح التراق ﴿وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ۝٢٨ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ۝٢٩﴾[1] إذا تذكر أعماله السيئة ، وتقصيره في جانب الله ، وإهماله .

ورد عن النبي [2] ﷺ في صفة قبض الروح حديث صحيح فقال صلى الله عليه وسلم : « إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع في الدنيا ، وإقبال من الآخرة ، نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس ، معهم كفن من أكفان الجنة ، وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر ، ثم يجيء مَلَكُ الموت - عليه السلام - حتى يجلس عند رأسه فيقول : أيتها النفس الطيبة ، اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان ، قال : فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فيِّ السقاء فيأخذُها ، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين ، حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط ، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وُجدت على وجه الأرض ، قال : فيصعدون بها فلا يمرون - يعني بها - على ملأٍ من الملائكة إلا قالوا : ما هذه الروح الطيبة ؟ فيقولون : فلان بن فلان . بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا . حتى ينتهون بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون له ، فيفتح لهم فيشيعه من كل سماء مقرَّبوها إلى السماء التي تليها حتى ينتهون به إلى السماء السابعة ، فيقول الله عَزَّ وجَلَّ : اكتبوا كتاب عبدي في عليين ، وأعيدوه إلى الأرض فإني منها خلقتهم ، وفيها أعيدهم

---

(١) القيامة : ٢٨ - ٢٩

(٢) حديث البراء بن عارب رضي الله عنه رواه الإمام أحمد في المسند : ٤/٥٨٧

ومنها أخرجهم تارة أخرى . قال : فتعاد روحه في جسده فيأتيه مَلَكان فيُجْلسانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : ربي اللّه ، فيقولان له : ما دينك ؟ فيقول : ديني الإسلام ، فيقولان : ما هذا الرجل الذي بُعث فيكم ؟ فيقول : هو رسول اللّه ﷺ . فيقولان له : وما علمك ؟ فيقول : قرأتُ كتاب اللّه فآمنتُ به ، وصدّقت ، فينادي مناد من السماء : أن صدق عبدي فافرشوا له من الجنة ، وألبسوه من الجنة ، وافتحوا له باباً إلى الجنة ، قال : فيأتيه من روحها وطيبها ويُفسح له في قبره مد بصره . قال : ويأتيه رجل حسنُ الوجه حسنُ الثياب طيبُ الريح فيقول : أبشر بالذي يسرك ، هذا يومك الذي كنتَ توعد . فيقول له : مَن أنت ؟ فوجهك الوجه الذي يجيء بالخير ، فيقول : أنا عملك الصالح ، فيقول : ربِّ أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي .

قال : وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا ، وإقبال من الآخرة ، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسُوح ، فيجلسون منه مد البصر ، ثم يجيء مَلَكُ الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول : أيتها النفس الخبيثة ، اخرجي إلى سخط من اللّه وغضبه ، قال : فتفرق في جسده فينتزعها ما يُنتزع السفود من الصوف المبلول . فيأخذها . فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسُوح ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وُجدت على وجه الأرض ، فيصعدون بها فلا يمرون على ملأٍ من الملائكة إلا قالوا : ما هذه الروح الخبيثة ؟ فيقولون : فلان بن فلان . بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهي بها إلى السماء الدنيا فيستفتح له فلا يُفتح لهم .

ثم قرأ رسول اللّه ﷺ : ﴿ لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾[1] ، فيقول اللّه عزَّ وجلَّ : اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى ، فتطرح روحه طرحاً . ثم قرأ ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾[2]

---

(١) الأعراف : ٤٠

(٢) الحج : ٣١

فتعاد روحه في جسده ، ويأتيه مَلَكان فيُجْلِسانه فيقولان له : مَن ربك ؟ فيقول : هاه هاه لا أدري ، فيقولان له : ما هذا الرجل الذي بُعِث فيكم ؟ فيقول : هاه هاه لا أدري ، فينادي مناد من السماء : أن كذب عبدي فافرشوه من النار ، وافتحوا له باباً إلى النار ، فيأتيه من حرها وسمومها ويُضيِّق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه . ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب مُنتن الريح فيقول : أبشر بالذي يسوءك ، هذا يومك الذي كنتَ توعد . فيقول : مَن أنت ؟ فوجهك الوجه يجيء بالشر . فيقول : أنا عملك الخبيث ، فيقول : ربِّ لا تقم الساعة » [١] .

فاتقوا اللّه عباد اللّه . وتأهبوا للرحيل ، وتزوَّدوا لمقامكم واسألوا اللّه الهداية والتوفيق والثبات ، فإنه ولي ذلك والقادر عليه .

اللّهم أعذنا من عذاب النار ومن عذاب القبر ، وأعذنا من فتنة المحيا والممات ، ومن فتنة المسيح الدجال [٢] .

اللّهم ارحما عند سكرات الموت ، ووسِّع لنا في قبورنا ، وثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة .

وتوبوا إلى اللّه جميعاً أيها المؤمنون واستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم .

* *

---

(١) أحمد في المسند : ٤/٢٨٧ - ٢٨٨ من حديث البراء بن عازب رضي اللّه عنهما ، إسناده صحيح وأخرجه الترمذي في جامعه - أبواب القيامة - باب (٢٢٦) ، وكذا أبو داود في سننه - الجنائز - باب (٢٤) من هذا الوجه واللفظ .

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح : ٢/٢٦٣ - ٢٦٤ في صفة الصلاة ، باب « الدعاء قبل السلام » ، وذلك من حديث عائشة رضي اللّه عنها ، وكذا مسلم في الصحيح برقم (٥٨٩) ، وأخرجه البغوي في شرح السُنَّة برقم (٦٩١) : ٣/٢٠٠

٥٩- النِعَم .. إما عقوبة ، وإما استدراج ، أو انتقام

(الخطبة الثانية)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ (١)

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبد اللّه ورسوله ، وصفوته من خلقه .

صلى اللّه عليه وسلم وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فإن الابتلاء بالنِعَم أو بالمكروهات قد يكون جزاء على معصية ، وقد يكون لمجرد الاختبار لتميز الطيب من الخبيث . ولرفع درجات الصابرين .

أما الأول فكقوله سبحانه : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴾(٢)

... وهذا هو الاستدراج .

وقوله : ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا ﴾(٣)

... وهذا هو الانتقام .

---

(١) الفاتحة : ٢ - ٣

(٢) الأنعام : ٤٤

(٣) العنكبوت : ٤٠

وأما النوع الثاني . فكما قال تعالى : ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾(١)

وقوله : ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾(٢)

ومن هذا يُعلم ان الإيمان نصفان . نصفٌ شكرٌ ونصف صبرٌ . فالشكر هو الثناء على الله بما هو أهله ونسبة الفضل إليه وأداء حقه وحق النعم ، وهذا عَيْن الصبر ، والصبر ثلاثة أنواع : صبر على طاعة الله وإن ثقلت على النفس ، وصبر عن معاصي الله وإن تنازعت الأهواء والشهوات ، وصبر على أقدار الله وإن تألم القلب والبدن . وقد يكون إنعاماً كما قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾(٣)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾(٤)

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾(٥)

* * *

(١) البقرة : ١٢٤

(٢) الأنبياء : ٣٥

(٣) الأعراف : ٩٦

(٤) آل عمران : ٢٠٠

(٥) الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٦ - بر الوالدين [١]

(الخطبة الأولى)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [٢] .

خلق الإنسان من طين [٣] ، وشقَّ له السمع والبصر والفؤاد [٤] . ﴿ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [٥] .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله . صلى اللّه وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدى بهَدْيه واستنَّ بسُنَّته .

أما بعد ..

فاتقوا اللّه ما استطعتم [٦] . واتقوا اللّه الذي تَسَاءولون به والأرحام ، إن اللّه كان عليكم رقيباً [٧] .

عباد اللّه .. إن الإنسان يجب عليه حقان عظيمان أساسيان لا ينفكان عنه طول حياته . وهذان الحقان من باب مقابلة الإحسان بالإحسان . والمعروف بالمعروف ، فالحق الأول هو حق خالقه تبارك وتعالى . فهو الذي أوجده من العدم . وصوَّره في أجمل صورة ، وفضَّله على كثير ممن خلق تفضيلاً . وربّاه بجميع

---

(١) ألقيت في : ١٣٩٦/٨/٣ هـ .

(٢) الفاتحة : ٢

(٣) إشارة إلى آيات كثيرة من القرآن الكريم ومنها فى سورة الأنعام الآية رقم (٢) .

(٤) إشارة إلى عدة آيات من القرآن الكريم ومنها آية في سورة المؤمنون الآية رقم (٧٨) .

(٥) الأعراف : ٥٤

(٦) إشارة إلى قوله تعالى في سورة التغابن آية (١٦) .

(٧) إشارة إلى آية النساء رقم (١) .

النعَم ، ويسَّر له طرق الحياة . وخلق له ما في الأرض جميعاً . وسخَّر له والديه . ووضع له العطف والحنان في قلبيهما ، وهذا هو أول الحقوق وأعظمها وأهمها . وهو الإيمان باللّه وبما جاء من عند اللّه على لسان رسوله وخاتم أنبيائه محمد ﷺ ، وأن يعبد اللّه على وفق ما جاء في شرع اللّه ، مخلصاً العبادة للّه . طاهرة نقية من شوائب الشرك وشُبَه الخرافات والبدع .

والحق الثاني : هو حق الوالدين اللّذين خُلق منهما . ونالهما بسببه التعب والمشقة . والهم والنكد . منْ أول أطواره حتى يصبح إنساناً قوياً وبَشراً سوياً . قد غُرِست محبته في قلبيهما . لا يتركان شيئاً في وسعهما إلا بذلاه لإصلاحه وسعادته وتربيته . يسهران لسهره ، ويمرضان لمرضه . ويفرحان لفرحه ، ويحزنان لحزْنه . فهو قرَّة عينيهما . وزينة دنياهما . وأُنس حياتهما . وأمل مستقبلهما . فإذا كبر واستقل بنفسه بقي قلباهما متعلقان به مهما بلغ ، وحيثما كان ، يفكران في حياته . كيف هو وعلى أي حال .. يعطفان عليه ويسعدان برؤيته .

إنها رحمة جعلها اللّه في قلوب عباده ومَوَدّة ذاتية لإصلاح هذا الكون وعمارته .

والابن له حق على والديه ما دام محتاجاً لهما ؛ وهو حق التربية والتوجيه والإصلاح . فإذا بلغ أشده واستوى واستقل بنفسه صدر حقه عليهما وورد حقهما عليه .

لذلك أمر تبارك وتعالى في كتابه العزيز ببر الوالدين وأكَّد أمره وكرره وبالغ في الوصية بهما . وقرن حقهما بحقه ، فقال تعالى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾[1]

---

(١) الإسراء : ٢٣ - ٢٤

إن بر الوالدين في حاجتهما إليه أفضل من الجهاد في سبيل الله . فقد جاء رجل إلى النبي ﷺ يستأذنه في الجهاد فقال : « أحي أبواك » ؟ قال : نعم ، قال : « ففيهما فجاهد » [١] .

إنَّ بر الوالدين طاعة للرحمن . وخيرٌ وبركة للإنسان ، سبب لسعة الرزق وطول العمر . كما في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال : « مَن أحب أن يُبسط له في رزقه ويُنسأ له في أجله فليصل رحمه » [٢] .

إنَّ بر الوالدين من شيم الكرام . ودليل الفضل والكمال . والبار بوالديه قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة .

وعقوق الوالدين من صفات اللئام ودليل الخسة والرذالة . والعاق بوالديه بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة . قريب من النار .

قال صلى الله عليه وسلم : « رغم أنف امرىء أدرك أبويه أو أحدهما فلم يدخل الجنة » [٣] .

أتدرون ما هو بر الوالدين ؟

البر بالحى منهما لين الجانب . وبشاشة الوجه . وطلاقة اللسان . وإدخال السرور عليه . والاعتراف له بجميله . وبذل المعروف ، وطيب الكلام وكف الأذى .

---

(١) إشارة إلى حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما - البخاري برقم (٣٠٠٤) ، (الجهاد) باب رقم (١٣٨) : الجهاد بإذن الأبوين ، ومسلم في البر والصلة برقم (٥) من هذا الوجه واللفظ .

(٢) إشارة إلى حديث أنس بن مالك رضي الله عنه في الأدب من صحيحه : ١/٣٤٨ - (الفتح) ، مسلم في البر والصلة (خاص ٢١) ، و (عام ٢٥٥٧) باب : صلة الرحم .

(٣) إشارة إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه الترمذي في الدعوات برقم (٣٥٣٩) ، وصححه ابن حبان كما في الموارد برقم (٢٣٨٧) ، ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه مسلم في الصحيح : البر والصلة والآداب برقم (خاص ٢٩) ، و (عام ٢٥٥١) ، وقد عقد النووي عليه الباب قائلاً : باب « رَغِمَ أنف مَن أدرك أبويه أو أحدهما عند الكبر فلم يدخل الجنة » .

والبر بالميت منهما : الدعاء له والاستغفار . وإنفاذ وصيته . وإكرام صديقه . وصِلة أقاربه [١] .

سأل رجل النبي ﷺ فقال : هل بقى من بر والديّ شيء أبرهما به بعد موتهما ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « نعم . الصلاة عليهما (أى الدعاء لهما) والاستغفار لهما ، وإنفاذ عهدهما ، وصِلة الرحم التي لا توصل إلا بهما ، وإكرام صديقهما » [٢] .

فأوصيكم أيها الناس ببر الوالدين وصلة الأرحام ، واحذروا عقوق الوالدين وقطع الأرحام . فإنه لئم وفسوق بالإنسان . ولا يدخل الجنة قاطع رحم .

والعقوق من أكبر الكبائر ومن أعظم الآثام . سبب للطرد والإبعاد من رحمة الله تعالى ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ۝٢٢ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ۝٢٣ ﴾[٣]

يجب على الإنسان أن يتذكر دائماً ما مضى من حياته مع والديه ، وأن يكون لهما إذا احتاجا إليه مثلما كانا له وقت حاجته إليهما .

يجب على الإنسان أن يتذكر حنان أبويه وعطفهما عليه ، فيحن لهما ويعطف عليهما . ولن يعرف أحد حق الوالدين وحقيقة حنانهما وعطفهما حتي يكون والداً حنوناً .

ويجب أن نعلم يقيناً أن كل عامل سيجد نتائج عمله وثمار غرسه ، فمَن برَّ بوالديه برَّ به أولاده وطابت نفسه وقرَّت عينه واتسع عيشه .

ومَن عقَّ بوالديه عقَّ به أولاده وخبثت نفسه وضاق عيشه . كما أخبر بذلك

---

(١) إشارة إلى حديث أبي أسيد رضي الله عنه - أحمد في المسند : ٣/٤٩٧ ، ٤٩٨ ، وإسناده صحيح بهذا اللفظ .

(٢) هذا هو حديث الإمام أحمد في المسند : ٣/٤٩٧ ، ٤٩٨

(٣) محمد : ٢٢ - ٢٣

المصطفى صلى الله عليه وسلم حيث قال : « بروا آباءكم تبركم أبناءكم ، وعفوا تعف نساؤكم » [١] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « أسرع الخير ثواباً البر والصلة . وأسرع الشر عقاباً البغي وقطيعة الرحم » [٢] .

فاتقوا الله عباد الله ، أدوا حقوق الوالدين وصلوا الأرحام : ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾[٣]

* *

(١) إشارة إلى حديث ابن عمر رضي الله عنهما أورده الهيثمي في المجمع : ١٣٨/٨ ، وقال : رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير شيخ الطبراني أحمد غير منسوب .

قلت : هو الإمام أحمد بن زهير التستري إمام كبير ثقة كبير القدر .

(٢) هذا معنى حديث أخرجه : أبو داود ، والترمذي ، وابن ماجه في سننهم وهو من حديث أبي بكر رضي الله عنه ، وعزاه إليهم الإمام ابن كثير في تفسيره : ٦/ ٣٢٠ ، انظر الترمذي : برقم (٢٥١٣) ، وأبو داود (٤٩٠٢) ، وابن ماجه (٤٢١١) .

(٣) آل عمران : ١٣٢

٦٠ - التقوى أساس الصلاح ..

(الخطبة الثانية)

الحمد لله .. أحمده واستعينه ، وأستغفره ، وأتوب إليه .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك [١] .

صلّى اللّه عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فيا أيها الناس .. اتقوا اللّه تعالى فإن التقوى هي أساس الصلاح والفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة ، واعلموا أن الموت قد تخطاكم إلى غيركم وسيتخطى غيركم إليكم ، فخذوا حذركم . فأنتم تشاهدون أسباب المنايا قد نُوِّعت وكثر موت الفجأة فهو راحة للمؤمن وحسرة على الكافر . فحاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسَبوا وزنوها قبل أن توزنوا ، ومَن كان له شيء يوصي فيه فلا يبت ثلاث ليالٍ إلا ووصيته مكتوبة عند رأسه [٢] يقدِّم فيها خيراً لنفسه بلا إثم ولا قطيعة ، ويوضح فيها ما له وما عليه .

---

(١) إشارة إلى حديث العرباض بن سارية رضي اللّه عنه ، ابن ماجه برقم (٤٣) : ١٦/١ وإسناده حسن إن شاء اللّه تعالى .

(٢) إشارة إلى حديث أخرجه الشيخان في صحيحيهما ، والنسائي وابن ماجه في سننهما والترمذي في جامعه والإمام أحمد في المسند : ٤/٢ ، ١٠ ، ٥٠ ، ٥٧ ، ٨٠ كلهم من حديث عبد اللّه بن عمر رضي اللّه عنه ، ولفظه : « لا يبت أحد ثلاث ليالٍ إلا ووصيته مكتوبة » قال - أي ابن عمر - : فما بتُّ من ليلة بعد إلا ووصيتي عندي موضوعة .

فكتابة الوصية لا تقرِّب أجلاً . وتركها لا يدفع قدراً .

عباد الله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾[1] .....

* * *

(١) الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٦١ - أسباب شرح الصدر

(الخطبة الأولى)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ (١) .

حبَّبَ إلينا الإيمان وزيَّنه في قلوبنا ، وكرَّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان ، اللَّهم اجعلنا من الراشدين (٢) .

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللَّه وحده لا شريك له . إلَهُ الأوَّلين والآخرين . وقيومُ السموات والأرضين ، لا فوز إلا بطاعته . ولا عز إلا بالتذلل لعظمته ، ولا غنىً إلا بالافتقار إليه ، ولا راحة للنفس إلا بالاعتماد عليه .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله وأمينه على وحْيه وخيرته من خلقه ، أرسله رحمة للعالمين ، وإماماً للمتقين ، وحُجَّة على الخلق أجمعين .

اللَّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك سيدنا محمد الذي شرحت له صدره ، ووضعتَ عنه وزره ، ورفعتَ له ذِكره ، وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

---

(١) الفاتحة : ٢ - ٣

(٢) من دعاء النبي ﷺ أخرجه أحمد في المسند : ٤٢٤/٣ ، وذلك من حديث عبيد بن رفاعة الزرقي رحمه اللَّه تعالى الذي ولد في عهد النبي ﷺ وهو مرسل عنه ، كما قال الحافظ في التهذيب (٦٥/٧) ، وهو من التابعين وإن رجال الإسناد كلهم ثقات عند الإمام أحمد ولا بأس بهذا الدعاء ولم ينسب لفظه إلى رسول اللَّه ﷺ .

أما بعد ..

فإنَّ من مطالب الإنسان راحةَ باله وانشراحَ صدره ، فلا لذة للحياة ولا طِيبَ للعيش إلا بانشراح الصدر ، وراحة النفس .

فأعظم أسباب شرح الصدر : الإيمان الخالص ، التوحيد الصافي . وعلى حسب كماله وقوته يكون انشراح الصدر . قال تعالى : ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾(١) ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾(٢)

فالهُدَى والتوحيدُ من أعظم أسباب شرح الصدر ، والشركُ والضلالُ من أعظم أسباب ضيق الصدر ، ومهما يجد بعض الناس من راحة نفسية في مبدأ من المبادىء غير التوحيد أو اطمئنان إلى هدف غير الإسلام فإنما هى راحة مؤقتة ، وانشراح خادع لا يلبث إلا أن ينقلب حسرة وضيقاً .

ومن أسباب شرح الصدر : العلم بكتاب اللّه وسُنَّة رسوله ﷺ . فإنه يشرح الصدَر ويوسِّعه حتى يكون أوسع من الدنيا .

والجهل يسبب الضيق وحَصْر الصدر ، فكلما اتسع علم العبد في دين اللّه انشرح صدره ، فعلماء الإسلام أشرح الناس صدوراً ، وأوسعهم قلوباً ، وأحسنهم أخلاقاً وأطيبهم عيشاً على ما كانوا وأنفعهم للناس ، وأنصحهم للأمة ، ومن أسباب شرح الصدر ، الإنابةُ إلى اللّه تعالى ، ومحبتُه بكل القلب والإقبالُ عليه ، والتنعم بعبادته ، ودوامُ ذكره على كل حال ، وفي كل موطن : ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾(٣) فمحبة اللّه ودوام ذكره هى جنة الدنيا

---

(١) الزمر : ٢٢

(٢) الأنعام : ١٢٥

(٣) الرعد : ٢٨

وسرور النفس ، وراحة القلب ، ونعيم الروح ، وغذاؤها ، ودواؤها ، وكلما كانت المحبة أقوى كان الصدر أشرح وأفسح .

والإعراض عن اللّه وتعلق القلب بغيره والغفلة عن ذكره من أسباب ضيق الصدر وسجن القلب ، وعذاب الروح ، وغَم النفس وألمها ونكدها وعنائها .

والإحسانُ إلى خلق اللّه ونفعُهم بما يمكن من المال والجاه من أسباب شرح الصدر ، فإن الكريم المحسن أشرحُ الناس صدراً وأطيبُهم نفساً ، والبخيل الذي ليس فيه إحسان لأحد ، أضيقُ الناس صدراً وأنكدهُم عيشاً .

وصفاء القلب ، وطهارة النفس ، وحسنُ الظن ، وحمل الناس على أحسن المحامل ، وتأويلُ القول على أحسن احتمالاته من أسباب انشراح الصدر ، وطِيْب النفس وراحة القلب وحفظ اللسان عن فضول القول ، وحفظُ العين عن شطحات النظر ، وحفظ الأذن عن سماع المحرَّمات ، من أسباب رفعة النفس وقوتها ، كما أن فضولَ القول وفضولَ النظر والاستماع والإسرافِ في المباحات من الأكل والشرب والنوم ، يتحول آلاماً وهموماً على القلب تمرضه وتؤلمه .

والإيمان بالقدر من أسباب شرح الصدر ، فإذا علم الإنسان أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه لم يفرح بما أوتي ولا ييأس على ما فاته ، عن ابن عباس رضي اللّه عنهما قال : كنت خلف النبي ﷺ يوماً فقال لي : « يا غلام ، إني أعلمك كلمات : احفظ اللّه يحفظك ، احفظ اللّه تجده تجاهك ، إذا سألتَ فاسأل اللّه ، وإذا استعنتَ فاستعن باللّه ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه اللّه تعالى لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه اللّه تعالى عليك ، رُفعت الأقلام ، وجفَّت الصحف » . (رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح) (١) .

---

(١) أحمد في المسند : ١/١٩٣ ، من حديث ابن عباس رضي اللّه عنهما وإسناده صحيح ، وكذا الترمذي في الجامع - أبواب القيامة (٥٩) .

وفي رواية غير الترمذي : « احفظ الله تجده أمامك ، تعرَّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة ، واعلم أنَّ ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وما أصابك لم يكن ليخطئك . واعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفَرَج مع الكرب ، وأن مع العُسر يُسراً » (١) .

ورسولنا محمد ﷺ كان أكمل الخَلْق في كل صفة ، يحصل بها انشراح الصدر واتساعُ القلب ، وقُرَّةُ العين وحياة الروح ، شرح الله صدره حساً ومعنى ، بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤ ﴾(٢)

وأكمل الخَلْق متابعةً له أكملهم انشراح صدر ولذة باليقين ، وبطعم الإيمان ، وعلى حسَب متابعته ، ينال العبد من انشراح صدره ، وقُرَّة عينه ، ولَذة روحه ، ما ينال ، كما أن لاتْباعه حفظٌ من الله ، وعصمة ورعاية ، وعناية ، وإعزاز ونصر .

والصلاة على النبي ﷺ من أسباب شرح الصدر ، وهي من حقه على أمته ، ومن واجبات المسلم فلا يُرفع دعاء إلا بالصلاة عليه ، ولا تصح الصلاة إلا بالصلاة عليه ، ولا تصح الخطبة يوم الجمعة إلا بالصلاة عليه (٣) .

---

(١) أخرجه الإمام أحمد أيضاً من وجه آخر عن ابن عباس رضي الله عنهما : ٣٠٧/١ وإسناده صحيح .

(٢) الشرح : ١ - ٤

(٣) إشارة إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه : أخرجه الترمذي في الجامع (الدعوات) برقم (٣٥٤٥) : ٥٥٠/٥ وكذا برقم (٣٥٤٦) من حديث الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وإسناده صحيح بالشواهد الكثيرة ، وابن حبان في الصحيح كما في الموارد برقم (٢٣٨٧) وله لفظ آخر من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه ابن حبان في الصحيح برقم (٢٣٢٢) - الموارد ، والإمام أحمد في المسند : ٤٦٣/٣ ، ولفظه : « ما قعد قوم مقعداً لا يذكرون الله عَزَّ وجَلَّ ويصلون على النبي ﷺ إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة وإن دخلوا الجنة للثواب » .

ومَنْ أكثر من الصلاة عليه - عليه السلام - كفاه اللّه همه وقضي حاجته ويغفر له ذنبه ، وعلا قدرُه واستحق شفاعته ..

فاتقوا اللّه أيها المؤمنون ، قَوُّوا صلتكم باللّه . وأحسنوا متابعتكم لرسوله صلى اللّه عليه وسلم .

اللّهم اشرح صدورنا ويسِّر أمورنا واغفر ذنوبنا واستر عيوبنا ، واختم بالصالحات أعمالنا ، وقنا شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، واغفر لنا ، ولجميع المسلمين ، الأحياء والميتين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

٦١ - الإنابة إلى دار الخلود

(الخطبة الثانية)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ ﴾(١)

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فإن متابعة النبي ﷺ ، وإخلاص العبادة للّه وحده ، تشرح الصدر ، وتريح النفس ، وتصلح البال ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾(٢) ، فالإيمان له نور يجعله اللّه في قلب المؤمن يَشْرح به صدره . رُوِي عَنَ عبد اللّه بن مسعود رضي اللّه عنه - بطرق متعددة يشد بعضها بعضاً - عن النبي ﷺ أنه قال : « إذا دخل النورُ القلبُ انفسح وانشرح » قالوا : وما علامة ذلك يا رسول اللّه ؟ قال : « الإنابة إلى دار الخلود ، والتجافي عن دار الغرور ، والاستعداد للموت قبل نزوله » (٣) فإذا فقد القلبُ هذا النورَ ضاق الصدر فلا يطيب لصاحبه عيش ولا يهدأ له بال . مهما كان ومهما نال من

---

(١) الفاتحة : ٢ - ٣

(٢) الزمر : ٢٢

(٣) أورده ابن كثير في التفسير : ٣/٩٧ - ٩٨ ، ثم قال : فهذه الطرق مرسلة ومتصلة يشد بعضها بعضاً .

قلت : أخرج هذه الأحاديث ابن جرير الطبري في تفسيره وكذا ابن أبي حاتم من طرق عديدة وإنما يُحتج بها حسب الدراسة ، واللّه أعلم .

الدنيا وملذاتها . فالكفر والشرك من أعظم أسباب ضيق الصدر ، قال تعالى :

﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾(١)

فعلماء الإسلام صدورهم منشرحة وقلوبهم مطمئنة مَهْما حصل لهم من البلاء والاختبار .

والأعمال الصالحة كبيرُها وصغيرُها من أسباب شرح الصدر . والأعمال السيئة كبيرُها وصغيرُها من أسباب ضيق الصدر ، ومحبة الله تعالى ومحبة رسوله ﷺ ، والإحسان إلى خلق الله ونفعُهم بالمال والجاه وبأنواع الإحسان من أسباب شرح الصدر ، كما أن الكفر والشرك والبدع من أسباب ضيق الصدر .

وأيضاً فُضُولُ البصر بالنظر ، وفضول القول والاستماع ، وفضول الأكل والمخالطة ، وفضول النوم من أسباب ضيق الصدر ، فهي تتحول آلاماً وهموماً في القلب تحْصُره وتحبسه وتعذبه في الدنيا وفي الآخرة .

فاتقوا الله أيها المؤمنون . وراقبوا ربكم أيها الناس ، واسألوا ربكم الهداية والثبات . وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾(٢)

* * *

(١) الأنعام : ١٢٥

(٢) الأحزاب : ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٦٢ - وصف قيام الساعة والبعث [١]

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[٢]

وأشهد أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، صلّى اللّه عليه وعلى آله وصحبه ، ومَن تبعهم بإحسان وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد ..

فإن الإنسان إذا أراد السفر إلى جهة لم يسبق أن رآها يتشوق إلى وصفها ومعرفة الطريق الموصل إليها ، ويتأمل متى يكون وصوله إليها ، وكيف يكون مقامه فيها ؟ ولما كان الإنسان لا بد له من الانتقال من هذه الدنيا إلى الدار الآخرة ، أرسل رب العالمين جلّ شأنه إلى عباده رسلاً منهم . لتعريفهم بالدار التي سيُنتقلون إليها ، وبصفة الطريق الموصل إليها .

ولقد أنزل تبارك وتعالى على رسوله محمد ﷺ وصفاً موجزاً واضحاً شافياً كافياً لقيام الساعة ، وفناء العالم كله ولما بعده من البعث ، حتى يدخل كل إنسان منزلته ، أعوذ باللّه من الشيطان الرجيم ، قال وهو أصدق القائلين :

﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا

---

(١) ألقيت في ٩٥/٨/٢٣ أو ٩٤ هـ .

(٢) فاطر : ١

وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِا۟ىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾(١)

فتأمل أخي المسلم هذه الآيات من آخر سورة الزمر . وتعرّف على ما دلّت عليه . وتفكر في عظمة اللّه وكمال قدرته . حتى تتيقن بأنه واحد أحد ، فرد صمد ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، حي قيوم ليس له شريك ولا معين ولا وزير . بل جميعُ الخلق في قبضته وتحت قهره ، يراهم ويسمع كلامهم ، ويعلم سرهم ونجواهم .

فلا يجوز لك أيها المسلم أن تجعل واسطة بينك وبين ربك . فإنه قريب إليك أقرب إليك من حبل الوريد . وهو سبحانه بائن من خلقه مستوٍ على عرشه .

فاتق اللّه أيها المسلم .. علّق آمالك باللّه وحده . والجأ إليه في جميع الأمور ، واستحضر عظمة اللّه وقدرته في كل الأحوال . اطلبوا منه المدد وقضاء الحوائج فهو الذي بيده مقادير الأمور وخزائنُ السموات والأرض . ومفاتيح كل شيء .

---

(١) الزمر : ٦٨ - ٧٥

وما سواه ملك لله ففروا إليه : ﴿لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾[1] إلا ما شاء الله ، واسئلوا الله الهداية والتوفيق فلا يملكهما أحد سواه .

اللّهم ألهمنا رشدنا وقنا شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا .

اللّهم إنّا نسألك شفاعة نبيك محمد ﷺ فشفعه فينا .

اللّهم بارك لنا في القرآن العظيم . وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم .

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

* *

(١) الفرقان : ٣ بلفظ : ﴿ ولا .... ﴾ .

٦١ - مفتاح الجنة : لا إلَهَ إلاَّ اللّه

(الخطبة الثانية)

الحمد للّه على نعمه وآلائه .

وأشهدُ أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللّه ، وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله . صلّى اللّه وسلّم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان .

أما بعد ..

فإن أحسن الحديث كتاب اللّه ، وخير الهَدْى هَدْى نبينا محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدَثة بدعة . وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار [١] .

فتحصنوا بكتاب اللّه وسُنَّة نبيه ﷺ من محدثات الأمور ، واعبدوا اللّه على علم وبصيرة ، واتقوا اللّه وراقبوه فإنه يراكم ويسمعكم فاجعلوا هواكم تبعاً لما جاء به رسوله ﷺ [٢] .

وأكثروا من قول لا إلَهَ إلاَّ اللّه ، فإنها مفتاح الجنة [٣] وحققوا معناها . وصلُّوا على البشير النذير فقد أمرنا اللّه بذلك في كتابه المنير . فقال تعالى :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [٤]

(١) إشارة إلى حديث جابر بن عبد اللّه الأنصاري رضي اللّه عنه : مسلم في الصحيح برقم (٤٣٠ خاص) ، و (عام ٨٦٧) : الجمعة .

(٢) إشارة إلى حديث عبد اللّه بن عمرو بن العاص رضي اللّه عنهما : أخرجه البغوي في شرح السنة برقم (١٠٤) : ٢١٢/١ - ٢١٣ ، وإسناده حسن إن شاء اللّه .

(٣) إشارة إلى حديث وهب بن منبه رحمه اللّه تعالى : البخاري معلقاً ، انظر الفتح : ١٠٩/٣

(٤) الأحزاب : ٥٦

وقال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ صلّى عليّ مرة واحدة صلّى الله عليه بها عشراً » (١) .

اللّهم صلِّ وسلّم وبارك وأنعم على صاحب المقام المحمود والحوض المورود نبينا محمد .

اللّهم ارض عن الأربعة الخلفاء الراشدين : أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ . وعن بقية أصحاب نبيك أجمعين ، وزوجاته أمهات المؤمنين ، وأهل بيته الطيبين الطاهرين ومَنْ تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

اللّهم ارض عنا معهم بمنّك وإحسانك يا أرحم الراحمين .

اللّهم أعز الإسلام والمسلمين ، وأذل الشرك والمشركين ، ودمر أعداء الدين ، واحم حَوْزة الإسلام يا رب العالمين .

اللّهم أدم الأمن والاستقرار في أوطاننا . واحفظ إمامنا ووفّقه لما تحب وترضي ولما فيه صلاح بلاده ورعيته . اللّهم أيده بالإسلام وانصر به المسلمين .

اللّهم ادفع عنا الغلاء والوباء والربا والزلازل والمحن وسوء الفتن ، ما ظهر منها وما بطن ، عن بلادنا هذه وعن سائر بلاد المسلمين .

اللّهم اغفر لجميع المسلمين الذين شهدوا لك ، بالوحدانية ولنبيك بالرسالة ، وماتوا على ذلك .

اللّهم فَرِّج هم المهمومين ، ونفِّس كرب المكروبين ، واقض الدَّيْنَ عن المدينين ، واشف مرضى المسلمين .

﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾(٢)

* * *

---

(١) أخرجه العلامة إسماعيل بن إسحاق القاضي في فضل الصلاة على النبي ﷺ برقم (٨) وذلك من حديث أبي هريرة رضي الله عنه (٢٦) وإسناده صحيح .

(٢) العنكبوت : ٤٥

قائمة المراجع

١ - القرآن الكريم .

٢ - الجامع لأحكام القرآن : للإمام الشيخ أبى عبد الله محمد بن أحمد القرطبي - دار إحياء التراث .

٣ - جامع البيان في تفسير القرآن : للإمام أبى جعفر محمد بن جرير الطبري - دار المعرفة - بيروت .

٤ - أضواء البيان : للعلامة سماحة الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكي الشنقيطي - مطبعة المدنى .

٥ - أحكام الأحكام القرآن : للإمام الشيخ عماد الدين بن محمد الطبري - مطبعة حسان - القاهرة .

٦ - تفسير القرآن العظيم : للإمام الحافظ الشيخ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل ابن كثير - دار الكتب المصرية .

٧ - زاد المسير : لابن الجوزي طبعة المكتب الإسلامي .

٨ - فتح القدير : للإمام الشوكاني - مطبعة مصطفى الحلبي - القاهرة .

٩ - تفسير القاسمي : للشيخ محمد جمال الدين القاسمي - دار الفكر - بيروت .

١٠ - تفسير التحرير والتنوير : للإمام الشيخ محمد الطاهر عاشور - الدار التونسية للنشر .

١١ - الكشاف عن حقائق التنزيل : للإمام محمود بن عمر الزمخشري - مطبعة مصطفى محمد .

١٢ - دقائق التفسير لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية . طبعت دار الأنصار في مصر .

١٣ - التفسير الكبير للفخر الرازي . المطبعة البهية المصرية .

١٤ - صحيح البخاري : للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن بردزبه البخاري - مطبعة مصطفى الحلبي - مصر .

١٥ - فتح الباري : للشيخ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني - المطبعة السلفية - مصر .

١٦ - عمدة القاريء : للإمام بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني - مطبعة مصطفى الحلبي - مصر .

١٧ - شرح السُنَّة : للإمام الحافظ أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي - المكتب الإسلامي .

١٨ - جامع الأصول : للإمام أبي السعادات مبارك بن محمد الأثير الجزري - مطبعة السُنَّة المحمدية .

١٩ - مشكاة المصابيح : للشيخ ولي الدين محمد بن عبد الله الخطيب العمري - المكتب الإسلامي - دمشق .

٢٠ - الترغيب والترهيب : للإمام زكي الدين عبد العظيم المنذري - إحياء التراث - بيروت .

٢١ - جامع العلوم : لزين الدين أبي الفرج عبد الرحمن الحنبلي البغدادي - مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت .

٢٢ - رياض الصالحين : للإمام الشيخ زكريا بن يحيى النووي - دار العهد الجديد .

٢٣ - السنن الكبرى : للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي - مطبعة مجلس دائرة المعارف - الهند .

٢٤ - سنن أبي داود : للإمام سلمان بن الأشعث طبعت دار الحديث .

٢٥ - شرح مختصر سنن أبي داود : لابن القيم الجوزية مطبعة السنة .

٢٦ - بذل المجهود : للشيخ خليل أحمد الهارنفوري - دار الكتب العلمية .

٢٧ - مسند الإمام أحمد : للإمام أحمد بن محمد بن حنبل - دار صادر - بيروت .

٢٨ - الفتح الرباني : للشيخ أحمد عبد الرحمن البنا (الساعاتي) - دار الحديث - القاهرة .

٢٩ - المنتقى : لسليمان بن خلف بن وارث - مطبعة السعادة - القاهرة .

٣٠ - الموطأ : للإمام مالك بن أنس تحقيق : فاروق سعد - دار الآفاق الجديدة - بيروت .

٣١ - التمهيد : للإمام الحافظ أبي عمر يوسف بن عبد الله القرطبي - مطبعة فضالة - المغرب .

٣٢ - صحيح الإمام مسلم : للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري - دار إحياء التراث العربي .

٣٣ - شرح النووي : للإمام النووي - المطبعة المصرية .

٣٤ - المغني : للإمام أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي - دار المناخ .

٣٥ - زاد المعاد : للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الذرعي ابن القيم - دار المعاد - بيروت .

٣٦ - إعلام الموقعين : للإمام محمد بن أبي بكر المعروف بابن القيم - مطبعة السعادة .

٣٧ - الإنصاف : للشيخ علاء الدين بن الحسن علي بن سليمان المرداري - مطبعة السنة المحمدية - غزة .

٣٨ - تصحيح الفروع : لعليّ بن سليمان المقدسي - مطبعة المنار - مصر .

٣٩ - كشاف القناع عن متن الإقناع : للشيخ منصور بن يونس بن إدريس البهوتي - مطبعة الحكومة - مكة .

٤٠ - فتاوى الشيخ ابن تيمية : جمع : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي - مطابع الرياض .

٤١ - فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم : جمع : محمد بن عبد الرحمن بن قاسم - مطعبة الحكومة - مكة .

٤٢ - الرسائل والمسائل : علماء نجد - مطبعة المنار - القاهرة .

٤٣ - البحر الرائق شرح كنز الرقائق : لزين الدين بن نجيم الحنفي - دار المعرفة - بيروت .

٤٤ - شرح فتح القدير : للإمام كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسى - مطبعة مصطفى الحلبي - مصر .

٤٥ - البناية في شرح الهداية : لأبي محمد محمود بن أحمد العيني - دار الفكر .

٤٦ - بدائع الصنائع : للفقيه إمام الدين أبي بكر بن مسعود الكاساني الحنفي - مطبعة الإمام - القاهرة .

٤٧ - المدونة الكبرى : للإمام مالك بن أنس - دار صادر - بيروت .

٤٨ - روض الطالب : للإمام أبي يحيي زكريا الأنصاري الشافعي - المكتبة الإسلامية .

٤٩ - شرح منح الجليل : للشيخ محمد عليش - مؤسسة عبد الحفيظ البساط .

٥٠ - الخرشي : على مختصر سيدي الخليل - دار صادر - بيروت .

٥١ - روضة الطالبين : للإمام أبي زكريا يحيي بن شرف النووي - المكتب الإسلامي .

٥٢ - المبدع في شرح المقنع : لإبراهيم بن محمد بن عبد الله بن مفلح - المكتب الإسلامي .

٥٣ - حاشية الدسوقي : للشيخ شمس الدين محمد عرفة الدسوقي - دار إحياء الكتب .

٥٤ - المبسوط : لشمس الدين السرخسي - دار المعرفة - بيروت .

٥٥ - المجموع شرح المهذب : للإمام محيي الدين النووي - مطبعة الإمام .

٥٦ - المبدع : لأبي إسحاق برهان الدين إبراهيم بن محمد بن عبد الله - المكتب الإسلامي - بيروت .

٥٧ - إحياء علوم الدين : لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي - دار المعرفة - بيروت .

٥٨ - المستدرك : للحافظ أبي عبد الله محمد الحاكم النيسابوري - دار الفكر - بيروت .

٥٩ - معالم السنن : للإمام أبي سليمان محمد بن محمد الخطابي البستي - المكتبة العلمية - لبنان .

٦٠ - حاشية الأحوزي على الترمذي : للإمام الحافظ ابن العربي المالكي - دار الكتب - بيروت .

٦١ - تحفة الأحوزي : للإمام الحافظ أبي العليّ محمد عبد الرحمن عبد الرحيم المباركفوري - مطبعة المعرفة - مصر .

* * *

الفهـرس

فهرس المجلد الأول - الإيمان

الصفحة

كلمة تعريف من الشيخ عبد القادر ٥
موجز عن حياة المؤلف ١١
مقدمة المؤلف ١٥

الباب الأول : الإيمان

(١٧ - ٢٩٤)

١ - ألقيت في ١٤٠٢/٥/١٧ هـ .
الخطبة الأولى : بعثة الرسول عليه الصلاة والسلام ١٩
الخطبة الثانية : ما يراد بالأمة ٢٤
٢ - ألقيت في ١٤١٠/٨/١٢ هـ .
الخطبة الأولى : رسالة محمد عليه الصلاة والسلام رحمة ٢٥
الخطبة الثانية : متابعة النبي عليه الصلاة والسلام ٣١
٣ - ألقيت في ١٤٠٢/٢/٨ هـ .
الخطبة الأولى : ضرورة الإيمان للإنسان ٣٣
الخطبة الثانية : من خوارق العادات ٣٩
٤ - ألقيت في ١٣٨٣/٨/١٠ هـ .
الخطبة الأولى : إفراد الله بالعبادة ٤١
الخطبة الثانية : قول العالم الحنفي ٤٦
٥ - ألقيت في ١٤١٣/٧/٢٢ هـ .

الصفحة

الخطبة الأولى : الإسراء ثابت بالكتاب والسنة ٤٨
الخطبة الثانية : سعادة الأمة فى أخلاقها ٥٤
٦ - ألقيت في ١٤٠٤/٧/٢٦ هـ .
الخطبة الأولى : سورة الإسراء لم تذكر المعراج ٥٦
الخطبة الثانية : لا يجوز إطراء الرسول عليه الصلاة والسلام .. ٥٩
٧ - ألقيت في ١٤٠٢/٧/٢٨ هـ .
الخطبة الأولى : الاحتفال بالإسراء ٦١
الخطبة الثانية : تاريخ الإسراء غير ثابت ٦٥
٨ - ألقيت في ١٤٠١/٨/٢٣ هـ .
الخطبة الأولى : الحكمة فى الإسراء ٦٧
الخطبة الثانية : الإسراء حركة تشريعية ٧٢
٩ - ألقيت في ١٤٠٧/٧/٢٠ هـ .
الخطبة الأولى : نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم ٧٥
الخطبة الثانية : نداء من الرسول عليه السلام للشباب ٨٢
١٠ - ألقيت في ١٤٠٠/٤/١٣ هـ .
الخطبة الأولى : التفكر فى ملكوت السموات والأرض ٨٥
الخطبة الثانية : الخلائق التي تعمر الأرض ٩٠
١١ - ألقيت في ١٤٠٩/١١/٢٨ هـ .
الخطبة الأولى : في التوحيد ٩٢
الخطبة الثانية : ونبلوكم بالشر [١] والخير فتنة ٩٨

---

(١) الإشارة ٣٥

الصفحة

١٢ - ألقيت في ١٣٩٦/٧/٢٧ هـ .
الخطبة الأولى : تحريم الرقي والتمائم ١٠٠
الخطبة الثانية : الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم ١٠٥
١٣ -
الخطبة الأولى : الاعتراف بالفضل للمتفضل ١٠٨
الخطبة الثانية : الحازم يحتاط للأمور ١١٣
١٤ -
الخطبة الأولى : القرآن الكريم يربي الأجيال ١١٥
الخطبة الثانية : من كان يريد العزة فللّه العزة جميعاً ١٢٠
١٥ - ألقيت في ١٤٠٠/٤/٢٧ هـ .
الخطبة الأولى : الناس في الإيمان باللّه قسمان ١٢٢
الخطبة الثانية : ولاية المسلم نعمة من اللّه ١٢٧
١٦ - ألقيت في ١١ /١٤١٢/١٢ هـ .
الخطبة الأولى : الدين شامل كامل ١٢٩
الخطبة الثانية : ما نقص مال من صدقة ١٣٣
١٧ - ألقيت في ٩٣/٦/١٣ هـ .
الخطبة الأولى : من قواعد الدين الأمر بالمعروف ١٣٥
الخطبة الثانية : خيركم من تعلم القرآن وعلمه ١٤٠
١٨ - ألقيت في ٩٥/١١/١٨ هـ .
الخطبة الأولى : منافع التشريع الإسلامي ١٤٣
الخطبة الثانية : يجب أن تكون العبادة على وفق الشريعة ١٤٧

الصفحة

١٩ - ألقيت في ١٤٠٠/٢/٢ هـ .
الخطبة الأولى : التحذير من الشذوذ ١٤٩
الخطبة الثانية : التعاون واجب ١٥٤
٢٠ - ألقيت في ٩٣/٧/٢٦ هـ .
الخطبة الأولى : قبول التوبة رحمة من الله ١٥٦
الخطبة الثانية : الاستغفار مفاتيح الخير ١٦٠
٢١ - ألقيت في ١٤٠٩/١٠/٢١ هـ .
الخطبة الأولى : الولاية لله لا للعمال غير المسلمين ١٦٣
الخطبة الثانية : الذين يستقدمون عمال غير مسلمين ١٦٩
٢٢ - ألقيت في ٩٧/٧/١٤ هـ .
الخطبة الأولى : التحذير من البدع ١٧٣
الخطبة الثانية : الوصية بالتقوى وإتباع الكتاب والسنة ١٧٨
٢٣ - ألقيت في ١٤٠٠/٧/٢٥ هـ .
الخطبة الأولى : التفريق بين السنة والبدعة ١٨٠
الخطبة الثانية : الشيطان ينزغ بين الناس ١٨٥
٢٤ - ألقيت في ١٤٠٧/٧/٢٧ هـ .
الخطبة الأولى : سبب إنحطاط المسلمين (مخالفة الشريعة)... ١٨٨
الخطبة الثانية : التحذير من محدثات الأمور ١٩٥
٢٥ - ألقيت في ١٤٠٩/١٠/٢١ هـ .
الخطبة الأولى : الإيمان بالقدر ١٩٧
الخطبة الثانية : لا يؤاخذ الله بحزن قلبي ودمع العين ٢٠٥

الصفحة

٢٦ - ألقيت في ١٤٠٠/٧/١٤ هـ .

الخطبة الأولى : إبليس يتوعد بني آدم ٢٠٧

الخطبة الثانية : إبليس يستدرج الإنسان ٢١١

٢٧ - ألقيت في ١٤٠٦/٨/٢ هـ .

الخطبة الأولى : ثبات الأمة خير لها ٢١٤

الخطبة الثانية : من أراد الاستقامة فليتبع القرآن ٢١٨

٢٨ - ألقيت في ١٤١١/٢/١١ هـ .

الخطبة الأولى : الانتصار على النفس ٢٢٠

الخطبة الثانية : الرب لا يطرد الإنسان إذا عصاه ٢٢٨

٢٩ - ألقيت في ١٤٠٦/٦/٢٣ هـ .

الخطبة الأولى : التحذير من الدسائس ٢٢٩

الخطبة الثانية : المعصية إذا خفيت لا تضر إلا صاحبها ٢٣٤

٣٠ -

الخطبة الأولى : الحث على العلم النافع ٢٣٧

الخطبة الثانية لا يجوز حمل الناس على الشواذ ٢٤٣

٣١ - ألقيت في ١٤٠١/٣/٣ هـ .

الخطبة الأولى : اختبار المؤمن ٢٤٦

الخطبة الثانية : الحلال بيّن والحرام بيّن ٢٥١

٣٢ - ألقيت في ١٤٠٠/١١/١٠ هـ .

الخطبة الأولى : نعمة الهداية للإسلام ٢٥٣

الخطبة الثانية : يد الله مع الجماعة ٢٥٧

الصفحة

٣٣ - ألقيت في ١٤٠٦/٦/٤ هـ .

الخطبة الأولى : التحاكم إلى القرآن والسنة ٢٦٠

الخطبة الثانية : الإسلام قواعدٌ مترابطة ٢٦٥

٣٤ - ألقيت في ١٤٠٧/٣/١٩ هـ .

الخطبة الأولى : واقع الحال فتنة ٢٦٧

الخطبة الثانية : كفالة الأطفال وحضانتهم ٢٧٢

٣٥ - ألقيت في ١٤٠٣/٢/١٩ هـ .

الخطبة الأولى : الأمر بالمعروف ٢٧٥

الخطبة الثانية : صدق أبيّ ٢٨٠

٣٦ - ألقيت في ١٣٩٥/٤/٧ هـ .

الخطبة الأولى : الحديث القدسي يا عبادي ٢٨٢

الخطبة الثانية : ليس بين الله وبين خلقه واسطة ٢٩١

الباب الثاني : الاعتصام .. والطاعة

(٢٩٥ - ٤٩٤)

٣٧ - ألقيت في ١٤١٠/١/٢٣ هـ .

الخطبة الأولى : الدين النصيحة ٢٩٧

الخطبة الثانية : الاستحياء من الله جماع الأمر ٣٠٢

٣٨ - ألقيت في ١٤١٣/٣/٢٩ هـ .

الخطبة الأولى : الشورى من قواعد الشريعة ٣٠٤

الخطبة الثانية : محاسبة النفس ٣٠٩

الصفحة

٣٩ - ألقيت في ١٤١١/١٢/٢٣ هـ .
الخطبة الأولى : الرجوع إلى الكتاب والسنة ٣١١
الخطبة الثانية : إنما خلق الإنسان للعبادة ٣١٧
٤٠ - ألقيت في ١٤١٣/٥/٢ هـ .
الخطبة الأولى : من الإيمان الصلاة والذبح لله ٣١٩
الخطبة الثانية : بركة دعاء النبي ﷺ ٣٢٤
٤١ - ألقيت في ١٤١٣/٦/١٧ هـ .
الخطبة الأولى : تعيين الإمام ومبايعته من أصول الإيمان ٣٢٦
الخطبة الثانية : حال المسلمين المضطهدين (البوسنة وفلسطين) . ٣٣١
٤٢ - ألقيت في ١٤١٣/٦/٢٤ هـ .
الخطبة الأولى : المقارنة بين النعم وضدها ٣٣٣
الخطبة الثانية : بعدل السلطان تتوفر الخيرات ٣٣٨
٤٣ - ألقيت في ١٤١١/٥/١٣ هـ .
الخطبة الأولى : طاعة ولي الأمر ٣٤٠
الخطبة الثانية : النصح حق للمسلم على المسلم ٣٤٦
٤٤ - ألقيت في ١٤١٢/٦/٧ هـ .
الخطبة الأولى : الجماعة قوة ومنعه ٣٤٨
الخطبة الثانية : رد الخلاف إلى الكتاب والسنة ٣٥٣
٤٥ - ألقيت في ١٣٩٨/٨/٢ هـ .
الخطبة الأولى : ضرر تفريق الكلمة ٣٥٥
الخطبة الثانية : الحذر من النفس الأمارة بالسوء ٣٥٩

الصفحة

٤٦ - ألقيت في ١٣١١/٤/٨ هـ .
الخطبة الأولى : إن الله يدافع عن المؤمنين ٣٦١
الخطبة الثانية : صفات المتقيين ٣٦٧
٤٧ - ألقيت في ١٣٩٤/٢/٢١ هـ .
الخطبة الأولى : حاجة الإنسان إلى خالقه ٣٦٩
الخطبة الثانية : الأموال والأولاد ودائع ٣٧٦
٤٨ - ألقيت في ١٤١٣/٤/٢ هـ .
الخطبة الأولى : الزلازل إما امتحان أو عقوبة ٣٧٩
الخطبة الثانية : وجوب الإنصات للقراءة في الصلاة ٣٨٥
٤٩ -
الخطبة الأولى : المؤمن بين الخوف والرجاء ٣٨٧
الخطبة الثانية : الإنسان يطغى إذا استغنى ٣٩٠
٥٠ - ألقيت في ١٤٠٨/٣/٨ هـ .
الخطبة الأولى : التواصى بالحق ٣٩٣
الخطبة الثانية : التواضع في غير مذله ٤٠٠
٥١ - ألقيت في ١٤٠٣/١١/٢ هـ .
الخطبة الأولى : التقوى قوة للمؤمنين ٤٠١
الخطبة الثانية : تبرز الأخوّة في تجمع الحج ٤٠٦
٥٢ - ألقيت في ١٣٩٤/٨/٥ هـ .
الخطبة الأولى : الزجر عن الظلم ٤٠٧
الخطبة الثانية : الخيانة من الظلم ٤١٢

الصفحة

٥٣ - ألقيت في ٨/٦/ . ١٤١ هـ .

الخطبة الأولى : احفظ اللّه يحفظك ٤١٥

الخطبة الثانية : إذا سألت فاسأل اللّه ٤٢٢

٥٤ - ألقيت في ١٥/٤/١٤١١ هـ .

الخطبة الأولى : فضل الرباط في سبيل اللّه ٤٢٦

الخطبة الثانية : واقع المسلمين مؤلم ٤٣٢

٥٥ - ألقيت في ٢٥/٧/٩٨ هـ

الخطبة الأولى : سبعة يظلهم اللّه في ظله ٤٣٥

الخطبة الثانية : مسجد المرأة في قعر بيتها ٤٤٠

٥٦ - ألقيت في : ٨/٤/١٣٩١ هـ .

الخطبة الأولى : التفكر في المآل ٤٤٣

الخطبة الثانية : النفوس مجبولة على الاتصال باللّه ٤٤٨

٥٧ - ألقيت في : . ٣/١/١٣٩٣ هـ .

الخطبة الأولى : ماضي المرء ومستقبله ٤٥٠

الخطبة الثانية : الحذر من النفس الأمارة ٤٥٦

٥٨ - ألقيت في : ٢٦/ . ١/ . . ١٤ هـ .

الخطبة الأولى : الإيمان قوة مضادة للأعداء ٤٥٨

الخطبة الثانية : تسلط الأعداء على المسلمين فتنة ٤٦٢

٥٩ - ألقيت في ٩/٨/٩٤ هـ .

الخطبة الأولى : تذكر الموت ٤٦٤

الخطبة الثانية : النعم إما عقوبة وإما استدراج . أو انتقام ... ٤٦٨

الصفحة

٦٠ - ألقيت فى ١٣٩٦/٨/٣

الخطبة الأولى : بر الوالدين ٤٧٠

الخطبة الثانية : التقوى أساس الصلاح ٤٧٥

٦١ -

الخطبة الأولى : أسباب شرح الصدر ٤٧٧

الخطبة الثانية : الإنابة إلى دار الخلود ٤٨٢

٦٢ - ألقيت في ٩٥/٨/٢٣ أو ٩٤

الخطبة الأولى : وصف قيام الساعة والبعث ٤٨٤

الخطبة الثانية : مفتاح الجنة لا إله إلا الله ٤٨٧

قائمة المراجع ٤٨٩

محتويات الكتاب ٤٩٥

* * *